

سلسلة
عالم
الثقافة

8

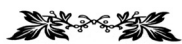


بقلم

الأزرق بن علو

قلائد الذهب
في الحكمة والأدب

قلائد الذهب في
الحكمة والأدب



قلائد الذهب

في الحكمة والأدب

إعداد

الأزرق بن علو

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اسم الكتاب: قلائد الذهب في الحكمة والأدب

اسم المؤلف: الأزرق بن علو

سنة النشر: 2008 م

رقم الإيداع: 2007/21954م

الترقيم الدولي: 4 - 09 - 6240 - 977 - 978 .

الناشر

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

الإدارة: (16) عمارات العبور - شارع صلاح سالم -

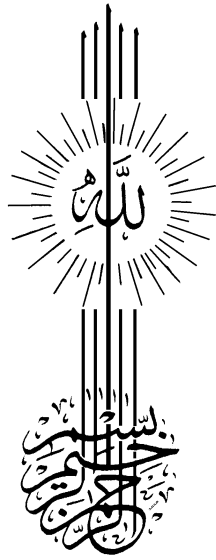
الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

تليفاكس: 02/22621365

محمول: 0123140315 - 0123171722 - 0123171744

حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف

2008م



الإهداء



إلى جميع المسيحيين الأحرار في مصر،
وسوريا، ولبنان، وفلسطين، والعراق، وفي
شمال إفريقيا، الذين ساندوا قضايانا بنفوس
حرة وضمائر واعية وقلوب شجاعة لاتخشى
في الحق لومة لائم.

فهرس عام



رقم الصفحة	الموضوع
21	* المقدمة
القسم الأول	

● من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم :	
27	- الصدق ، الوفاء بالعهود ، احترام المواعد
29	- العدل ، الأمانة
31	- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
32	- المزيد من صفات المؤمنين
37	- فعل الخير ، بذل المال في سبيل الله
39	- لمن تقدم الصدقات؟
40	- الإنفاق ابتغاء مرضاة الله ، ليس رياء الناس
42	- برّ الوالدين
44	- الزواج ، والطلاق ، والإحسان في معاملة المرأة
48	- من الأوامر الأخلاقية للمؤمنات
49	- مال اليتيم
51	- وحرّم الله الفواحش
52	- أحلّ الله البيع وحرّم الربا

رقم الصفحة	الموضوع
53	- حسن التصرف في المال
55	- المنافقون والمفسدون والأشرار
57	- الغيبة، النميمة ، التنازب بالألقاب
59	- الكيل والميزان
60	- توثيق الديون
62	- من آداب الزيارة
63	- السحر والسحرة
64	- الذهب ، الفضة ، الشهوات ... وما عند الله خير
65	- كل امرئ بما كسب رهين
67	- وقل ربّي زدني علما
69	- وكان سعيكم مشكورا
70	- القول يتبعه العمل
71	- صفات متأصلة في الإنسان
73	- النفس القلقة
74	- تألف المسلمين واتحادهم وتعاونهم
75	- اختلاف المظهر والجوهر
76	- الشكر والاعتراف بالجميل
77	- الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة
78	- هذا بلاغ للناس ولينذروا به
81	- الأمل في الرحمة والمغفرة

الموضوع	رقم الصفحة
● كتاب الإنجيل المقدس (ويعرف أيضاً بالعهد الجديد):	
- مقتطفات من إنجيل مَتَّى	85
- مقتطفات من إنجيل يوحنا	102

● الكتاب المقدس لدي اليهود (ويعرف أيضاً بالعهد القديم):	
- مقتطفات من سفر الأحبار	128
- مقتطفات من سفر تشية الاشتراع	135
- نشيد النبي موسى (عليه السلام)	150
- مقتطفات من سفر النبي أيّوب (عليه السلام)	159
- مقتطفات من سفر المزامير من أناشيد وصحف النبيّ (داود عليه السلام)	169
- مقتطفات من سفر الأمثال (للنبيّ سليمان عليه السلام).	173
- مقتطفات من سفر الحكمة (للنبيّ سليمان عليه السلام)..	189
- عمل الحكمة في التاريخ (من آدم إلى موسى عليهما السلام)	206
- مقتطفات من سفر دانيال	211

الفسم الثاني	

● مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني :	
- من أفكار وتعاليم الحكيم الصيني لاوتسي	221

الموضوع	رقم الصفحة
- الفيلسوف كونفوشيوس (من مآثور أقواله)	227
- من تعاليم شوانغْتسي	234
- الكائن الأسمى	238
- «الطاو» الأصلية	239
- الشيخ	241
- وجهات نظر	245
- جنيُّ البحر وجنيُّ النهر	250
- دورات الحياة	252
- قالت لي البومة	253
- الطبيعي والاصطناعي	256
- حول الموسيقى	257
- الماء والأدب	258
- حول الجمال	260
- مشاعر	262
- الابتزاز	264
- الحياة حركة واسترخاء	266
- من أقوال الأديب لوسين	268

● مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي :	
- البوذا المستتير	273

الموضوع رقم الصفحة

274 - موعظة النار (للبوذا)

276 - حكم ومواعظ من الهند القديمة

● مقتطفات من الأدب اليونانى :

295 - حول مصر القديمة

300 - الروح التائهة

302 - الفتاة السمراء

302 - الحبّ يشكو

303 - إلى الشباب

304 - فرار الحبّ

306 - تعاليم أخلاقية

307 - نشوء العناصر

309 - الخلود

310 - الشيخوخة والموت

311 - أنا أفكر، إذاً أنا موجود

312 - أنشودة الشمس

314 - أنشودة الليل

315 - قصيدة ذهبية

317 - المتعة

318 - لذة الانتقام

رقم الصفحة	الموضوع
319	- نحن والآلهة
320	- قصيدة غنائية
321	- جنّة المؤمنين
322	- نشيد الإنسان
324	- استيلاء الجيوش اليونانية على طروادة
325	- أنشودة الحبّ
326	- الآلهة
327	- الزواج
328	- دور الشاعر
329	- العدم
329	- الروح
330	- فوق طاقة الإنسان

● **مقتطفات من الأدب الرومانى :**

333	- حول الشيخوخة وخلود الروح
337	- رسالة إلى سكيفا
340	- رسالة إلى غيوس ماسيناس
343	- من أحاديث الحكمة
345	- رسالة إلى فوسكوس أرسطيوس
347	- رسالة إلى لوسيليوس

رقم الصفحة	الموضوع
350	- الإدمان على الخمر
352	- عبء الأرق
354	- الجنود والقانون
356	- مرحلة التقاعد
358	- قتل يوليوس قيصر

● مقتطفات من الأدب الفرنسي :

365	- حول الثقة
368	- حب الذات
370	- حول معايشرة الناس
373	- الأشياء ومواصفاتها
375	- أفكار
381	- أفكار
383	- الرواقية
384	- حول الحديث والمحاورة
386	- المال، البخل، الورثة
387	- الإنسان
393	- أيها الأغنياء
395	- حول خصائص الشعب الروماني
397	- حوار
399	- الطبع

رقم الصفحة	الموضوع
401	- حبّ الذات
402	- حدود الفكر
403	- زيف الفضائل
404	- الحق والباطل
407	- حول الحرية
410	- الحس المشترك
410	- الفضيلة
412	- التعصّب الأعمى
415	- جميع الكائنات في تحول مستمر
417	- أزمة الروح

● **مقتطفات من الأدب الألماني :**

421	- حول الأسلوب
425	- بعض أنواع الأدب
429	- تناغم الحركة والحياة
431	- حول الشيخوخة
433	- في رحلة
435	- نهاية الصيف

● **مقتطفات من الأدب الأسباني :**

439	- سلوك
-----	--------------

رقم الصفحة	الموضوع
440	- ضريح في تاركوينا
441	- ليل آخر بعد الليل
442	- حول المتناقضات
444	- شبكة الحياة والأمل
449	- بين الكذب والخيال
451	- ما زلت أؤمنُ بالحياة
452	- عيد مسيحي

● **مقتطفات من الأدب الروسي :**

455	- إلى أصحاب السلطة إلى القضاة
457	- رسالة إلى الشاعر
458	- النبيّ
459	- الشيطان
460	- ثلاثة منابع
461	- روح الإنسان الروسي
462	- شجر الكرز البري
464	- الطبيعة في بلدي
467	- الإيطالي
469	- منطوق سارق

القسم الأول



المقدمة



انتشر الفساد في البر والبحر، وفي الأنهار والغابات والجبال، وفي القطبين وطبقات الهواء العليا، وشمل حياة النبات والحيوان . وقد يؤدي فساد الإنسان وجشعه وأنانيته إلى تدمير ما صنعه الطبيعة خلال مئات ملايين السنين ، في قرون قليلة . ويذكرنا هذا بقول الملائكة في التنزيل الحكيم ، عندما أبلغهم الله بأنه سيخلق كائناً جديداً فوق هذا الكوكب :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة - الآية 30

ثم بعث الله الأنبياء والرسل، وكان خاتمهم الرسول الكريم ﷺ، بالهدى ودين الحق ، فجاء بالكتاب المقدس ، القرآن العظيم ، ليصلح بعض ما أفسده البشر ، ويصحح علاقات العباد بخالقهم، ويعالج علاقات البشر وسلوكهم ومعاملاتهم اليومية فيما بينهم:

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ . سورة آل عمران - الآية 164

أجل جاء الرسول الكريم ليعلم الناس الكتاب والحكمة ، وكان أول
وحي نزل عليه يأمره بأن يقرأ :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)
اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
يَعْلَمُ ﴾ . سورة العلق - الآيات 1 - 5

وأمر الرسول الكريم بأن يبلغ رسالة ربه بالحكمة والموعظة
الحسنة، وأن يجادل الناس بالتتي هي أحسن وليس بالعنف والقوة كما
يزعم بعض المغرضين:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . سورة النحل - الآية 125

ومن فضائل الدين الحنيف أنه أكد بكل وضوح بأن الناس إخوة،
لا يفضل مسلم على مسلم بماله أو سلطانه أو لونه.. بل جعل المعيار
الوحيد هو التقوى والاستقامة والالتزام بشرائع الله:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

سورة الحجرات - الآية 13

يسمع المسلمون عن حوارات بين الحضارات ، وعن لقاءات بين رجال العقائد المختلفة، فيستبشرون خيراً آمليين أن يتعمق التعارف والتفاهم والتعاون بين الشعوب من أجل الحد من الفساد والنزاع والحروب والدمار الذي يسلطه الأقوياء على الضعفاء.

ومن جهة أخرى يسمع المسلمون ويقرأون عن اتهامات كاذبة ومغرضة، يلفقها أشخاص ومؤسسات ، بهدف الإساءة إلى عقيدة المسلمين. والواقع أن هؤلاء المعتدين والمفسدين قلة. والأسباب التي تدفعهم إلى الإساءة إلى الدين الحنيف، وإلى الرسول المصطفى الكريم مختلفة، منها:

- الجهل جهلاً مطبقاً بتعاليم الدين الحنيف.
- الكراهية والتعصب الأعمى.
- استغلال عقول البسطاء وعامة الناس لنيل الشهرة.
- الترويج لمبادئ وأفكار معادية للإسلام.
- السعي لتحقيق أهداف استعمارية من أجل السيطرة على منابع الثروات.

وقد جمعت في هذا الكتاب عدداً من آيات الذكر الحكيم، آيات بينات أنزلها الله على لسان النبي المصطفى الكريم (ﷺ)، توضح جوانب من فضائل الإسلام، وما جاء به من أخلاق إنسانية شاملة فيها

— فلأند الذهب في الحكمة والأدب —

عبر وحكم. وهذه الأخلاق الفاضلة التي يدعو إليها الإسلام تدحض مزاعم المغرضين وتكذب اتهاماتهم.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

صدق الله العظيم

* * * * *

من أخلاق المسلمين
في
القرآن الكريم

الصدق ، الوفاء بالعهود ، احترام المواعد



إنه لمن المؤسف حقاً أن يلاحظ المسلم في المعاملات اليومية، في الأسواق، والأحياء السكنية، وحتى ضمن أفراد الأسرة، أن نسبة كبيرة من المسلمين لا يلتزمون بما جاء به الذكر الحكيم من الأخلاق الفاضلة والإستقامة في السلوك . ويلاحظ المرء هذه المخالفات، قبل كل شيء، في مجال صدق القول واحترام المواعد، والوفاء بالعهود .

ومن الآيات البيّنات التي حثت المسلم على الإلتزام بهذه الصفات:

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ .

سورة النحل - الآية 91

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . سورة آل عمران - الآية 77

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصَلِّحُوا
بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . سورة البقرة - الآية 224

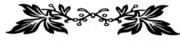
﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

سورة النحل - الآية 94

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . سورة البقرة - الآية 225

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا
عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ
أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ
لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ . سورة المائدة - الآية 89

العدل ، الأمانة



ومن أخلاق المؤمن الصادق أن يقول كلمة الحق ولو على نفسه وأهله وأقاربه ، وأن يحكم بالعدل ، وألا يشهد شهادة كاذبة ، فيغطي الحق بالباطل ، وأن يحافظ على الأمانة حتى يردها إلى أهلها .

ومن الآيات البينات التي تأمر بهذا السلوك الرشيد :

﴿ وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

سورة البقرة - الآية 42

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ . سورة النساء - الآية 135

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

سورة النحل - الآية 90

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ . سورة المائدة - الآية 8

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . سورة النساء - الآية 58

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . سورة الأنعام - الآية 152

* * * * *

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر



سلوك المسلم في هذا المجال من أساسيات الأخلاق التي حث عليها الذكر الحكيم . غير أن كثيراً من الناس لا يهتمون بهذا العمل الإجتماعي لهداية من ضل وإصلاح ما اعوج . والواقع أن الظروف الاجتماعية تجعل من الصعب على المرء أن يتدخل لتغيير المنكر بيده أو بلسانه ، وأصبح الشعار السائد «لا يضركم من ضل إذا اهتديتم».

ومن الآيات الكريمة التي عالجت هذا الموضوع :

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

سورة آل عمران - الآية 104

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ . سورة آل عمران - الآية 110

﴿يَا بَنِي آدَمَ اصْبِرُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ . سورة لقمان - الآية 17

المزيد من صفات المؤمنين



وأسجل فيما يلي مجموعة من آيات الذكر الحكيم التي جمعت بعض صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم مثل التعاون في ميدان البر والتقوى، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر عند الابتلاء، وبذل المال في سبيل الله دون تبذير ولا إسراف. وجميع هذه الصفات تأتي بعد التأكيد على أركان الإيمان وقواعد الإسلام :

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يَضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا (٧٣) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)
أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥)
خَالِدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا .

سورة الفرقان - الآيات 63 إلى 76

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ
اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ
جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ .

سورة آل عمران - الآيات 134 إلى 136

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠)﴾ وَالَّذِينَ
يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ
لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ (٢٢)﴾ . سورة الرعد - الآيات 20 إلى 22

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ . سورة البقرة - الآية 177

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ .

سورة التوبة - الآيات 71

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (٣٦) . سورة النساء - الآيات 36

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥)
الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ .

سورة البقرة - الآيتان 45 - 46

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
وَالتَّعَدُّوا نِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ .

سورة المائدة - الآية 2

﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ . سورة المائدة - الآية 119

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ .

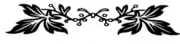
سورة الأعراف - الآية 199

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ
رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ
مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ
وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ .

سورة البلد - الآيات 11 - 18

* * * * *

فعل الخير، بذل المال في سبيل الله



يحثُّ الذكر الحكيم المسلم على الإحسان إلى الفقراء والمساكين ،
وبذل المال في سبيل الله ، ويورد تفاصيل بينات لأبواب البر وفعل
الخير .. ويدمُّ، بل ويعد من يكتزون الذهب والفضة (وأنواع الرزق
العصرية) بعذاب شديد، هذا إذا لم يتصدقوا، ويؤدوا واجبات الزكاة
في مواعيدها. ومن الآيات البينات التي تعالج هذا الموضوع ما يلي:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا
أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ
بِأَخْذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٢٦٧) .

سورة البقرة - الآية 267

﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٧٤) .

سورة البقرة - الآية 274

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٥٤) .

سورة البقرة - الآية 254

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠) . سورة المنافقون - الآية 10

﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٢٦٢) . سورة البقرة - الآية 262

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ (٢٩) . سورة الإسراء - الآية 29

﴿ وَيَلْ لَكُلِّ هَمَزَةٍ لُزَّةٍ ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴾ (٢) .
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ (٣) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ (٤) .

سورة الهمزة - الآيات 1 - 4

* * * * *

من تقدم الصدقات ؟



﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا
وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٦٠) . سورة التوبة - الآية 60

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى
وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢٢) .

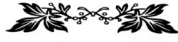
سورة النور - الآية 22

﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (٨)
﴿ إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (٩) .

سورة الإنسان - الآيتان 8 - 9

* * * * *

الإِنْفَاقُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، لَيْسَ رِيَاءَ النَّاسِ، وَلَا يَتَّبِعُهُ أَدَى



﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ﴾ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ
كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ
شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمِثْلُ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ
بَرْبُورَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ .

سورة البقرة - الآيات 263 - 265

وينصح الذكر الحكيم الإنسان بأن يلتزم في إنفاقه بالإعتدال وأن
يتوخى الإحسان من غير تفريط ولا إفراط :

﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

تَبَذِّرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ
كَفُورًا (٢٧) ﴿ . سورة الإسراء - الآيتان 26 - 27

﴿ وَأَنْفَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ .

سورة البقرة - الآية 195

* * * * *

بر الوالدين



شدد الإسلام على الإحسان إلى الأبوين وطاعتهما (فى غير معصية الله)، وجاءت التوصية بهما مباشرة بعد الأمر بعبادة الله وحده:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) ﴾ .

سورة الإسراء - الآيتان 23 - 24

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥) ﴾ . سورة الأحقاف - الآية 15

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ .

سورة لقمان - الآيات 13 - 15

* * * * *

الزواج والطلاق والإحسان في معاملة المرأة



بالزواج يكتمل دين الرجل والمرأة ، ويجد كلُّ منهما ما كان ينقصه من مودة وسكينة ورحمة وتعاون وأنس، وبذلك تبدأ الأسرة مسيرتها ليحقق سنة الطبيعة . وفي الذكر الحكيم آيات بينات تقنن العلاقات بين الزوجين، وتحث على حسن معاملتها ، وتوصي بمراعاة حقوق المرأة واحترام أموالها :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢١) .

سورة الروم - آية 21

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ . سورة النساء - آية 19

﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَتَبْنَ وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (٣٢) . سورة النساء - آية 32

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ .

سورة البقرة - الآية 237

﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ .

سورة النساء - الآية 128

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

سورة البقرة - الآية 228

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلِيَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)﴾ . سورة النور - الآيتان 32 - 33

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٢١) . سورة البقرة - الآية 221

﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا ﴾ (٢٠) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٢١) . سورة النساء - الآيتان 20 - 21

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنَصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢٣٧) . سورة البقرة - الآية 237

﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤١) .

سورة البقرة - الآية 241

— من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم —

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ . سورة البقرة - الآية 231

* * * * *

من الأوامر الأخلاقية للمؤمنات



﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ
وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ
أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ
نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣١) . سورة النور - الآية 31

* * * * *

مال اليتيم



لقد حث القرآن الكريم على الإحسان إلى اليتيم ورعايته والمحافظة على ماله، ووعد من يعتدى على حقوقه بعذاب شديد. وفيما يلي بعض الآيات عن الموضوع فيها موعظة وعبرة :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبَكُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ . سورة البقرة - الآية 220

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ .

سورة الإسراء - الآية 34

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ . سورة النساء - الآية 10

﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾﴾ .

سورة النساء - الآية 6

* * * * *

وحرّم الله الفواحش



ومن الأفعال القبيحة والفواحش المنكرة التي نهى الذكر الحكيم عنها لما تلحق بالأسرة والمجتمع من أضرار مادية ومعنوية، ولما تشتمل عليه من تعدّد على الأخلاق الفاضلة: الزنا، والخمر، والقمار، والربا، وتناول لحم الخنزير .. وأوضحت الآيات البيّنات أن عقابها عند الله شديد:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) .

سورة المائدة - الآيتان 90 - 91

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣) .

سورة الأعراف - الآية 33

وأحلَّ اللهُ البيعَ وحرَّم الربا



﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَتِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ .

سورة البقرة - الآيتان 275 - 276

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)﴾ . سورة آل عمران - الآية 130

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيُرَبُّوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرُبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَوَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ (٣٩)﴾ .

سورة الروم - الآية 39

* * * * *

حسن التصرف في المال



المال أمانة لدى المؤمن ، وقد أوصاه الله بأن يحسن التصرف،
وينفق منه في أعمال البرِّ والإحسان ، وأن يكون معتدلاً في تصرفاته،
وأن يتجنب الإسراف والبخل، وأن يتجنب كذلك المنِّ والرياء والتظاهر
والمفاخرة، وحرِّم الله الرشوة، ورجب في الإنفاق في الخير بأن جعل
الحسنة بعشر أمثالها :

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) . سورة آل عمران - الآية 92

﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨) .

سورة النساء - الآية 38

﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ .

سورة آل عمران - الآية 180

﴿الَّذِينَ يَخْلُونُ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٣٧) .

سورة النساء - الآية 37

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٢٩) وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) . سورة النساء - الآيتان 29 - 30

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١٨٨) .

سورة البقرة - الآية 188

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) . سورة الأنعام - الآية 160

* * * * *

المنافقون ، المفسدون والأشرار



من الناس من عميت بصائرهم فصدوا عن الحق واتبعوا أهواءهم، و«استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير» فانضموا إلى فئة الأشرار والمفسدين في الأرض، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، و«لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل أضل » .

وقد جاء الذكر الحكيم بآيات بيّنت في وصف سلوك هؤلاء الأشرار، وما ينتظرهم من سوء المصير :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) ﴾ .

سورة البقرة - الآية 204

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (١٤٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (١٤٦) ﴾ . سورة النساء - الآية 145 - 146

﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (١١٢) . سورة النساء - الآية 112

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ
اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٢٧) .

سورة البقرة - الآية 27

* * * * *

الغيبة، النميمة، التنابز بالألقاب



قدم لنا القرآن الكريم صورة معبرة قوية عن المسلم الذي يتحدث بالسوء عن شخص في غيابه : إنه كمن «يأكل لحم أخيه ميتاً» .

ونهى المسلم عن أن يسخر من أخيه المسلم أو يستهزئ به ، ويقلل من قدره . وحذر المسلمين من التعامل على أساس الظنون والشائعات لأن «الظن لا يغني من الحق شيئاً» . ومن الآيات التي عالجت هذه الأخلاق المنبوذة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

سورة الحجرات - الآيتان 11 - 12

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ
بُضَارَهُمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

سورة المجادلة - الآيتان 9 - 10

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا
قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ .

سورة الحجرات - الآية 6

* * * * *

الكيل والميزان



من الآيات البيّنات التي عالجت موضوع الكيل والميزان الآية الأولى من سورة «المطففين» التي جاء فيها :

﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) ﴾ .

سورة المطففين - الآيات 1 - 3

﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥) ﴾ . سورة الإسراء - الآية 35

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ (٨) وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (٩) ﴾ . سورة الرحمن - الآيتان 8 - 9

* * * * *

توثيق الديون



إن من النصائح الهامة التي يحث عليها الإسلام في المعاملات أن يكتب المسلم قروضه ويسجل المبالغ التي يقرضها ، مع تحديد الشروط والمبالغ والآجال ... لدرء ما قد يطرأ من خلاف وتنازع . ويؤكد الذكر الحكيم ، في هذه المناسبات ، واجب المسلم أن يعيد الأمانات إلى أصحابها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ﴾ .

سورة البقرة - الآية 282

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ . سورة البقرة - الآية 283

* * * * *

من آداب الزيارة



ليس من اللياقة دائماً أن يفاجئ المرء قريبه أو جاره أو صديقه بالزيارة، بل المطلوب هو ألا يدخل البيت حتى يأتكد من أن الوقت مناسب للزيارة، وحتى يأذن له رب المنزل بالدخول . ومن آداب الزيارة كذلك ألا يطيلها المرء ويثقل على من يزورهم . وهذا ما ترشد إليه الآيات التالية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعَمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

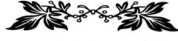
سورة الأحزاب - الآية 53

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧)
فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (٢٨) .

سورة النور - الآيتان 27 - 28

السحر والسحرة

« واتبعوا ما تتلوا الشياطين ... »



﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى
الْمَلَائِكَةِ بَبَابِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا
نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا
يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا
شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

سورة البقرة - الآية 102

* * * * *

الذهب ، الفضة ، الشهوات ... وما عند الله خير



﴿ زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ
الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾ .

سورة آل عمران - الآية 14

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ
نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾ .

سورة الأعراف - الآية 32

* * * * *

كل امرئ بما كسب رهين



من فضائل الإسلام ومزاياه، وما اتسمت به تعاليمه من منطقية وواقعية، أن جعل الإنسان مسؤولاً وحده عن أفعاله. فلا يجازي عن فعل خير أنجزه غيره؛ ولا يعاقب عن فعل شر ارتكبه غيره. وينبغي لهذه المنطقية الصريحة أن تقلل من ادعاءات من يفتخرون بشرف نسبهم؛ ويتعظون بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ومن الآيات البيئات التي تجعل الإنسان مسؤولاً وحده عن عمله :

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ .
البقرة - الآية 48

- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ .
البقرة - الآية 281

- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ .
المدثر - الآية 38

- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ .
النساء - الآية 111

- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ .
الأنعام - الآية 104

- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ .

فصلت - الآية 46

الإسراء - الآية 13 - ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ .

يونس - الآية 26 - ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ .

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ .

التوبة - الآية 105

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَن سَعِيَ سَوْفَ يَرَى﴾ .

النجم - الآية 40

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

الأنعام - الآية 164

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

الزلزلة - الآيتان 7 ، 8

يَرَهُ﴾ .

* * * * *

وقل ربى زدنى علما



ومما يرفع من شأن الدين الإسلامي ويزيد في عظمته وسموه عن العقائد الأخرى اهتمامه بالعلم والعقل والحكمة، وتكريمه للعلماء، وحرصه على أن يتدبر أولوا الأبواب أسرار الكون وعجائب المخلوقات. ومما خص به التنزيل الحكيم هذا الموضوع الآيات التالية :

- ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . فاطر - الآية 28

- ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . الزمر - الآية 9

- ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . النحل - الآية 43

- ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ .

العنكبوت - الآية 43

- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ .

آل عمران - الآية 18

- ﴿ قَالَ إِنْ اللَّهُ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ .

البقرة - الآية 247

- ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ . النساء - الآية 157

- 143 الأنعام - الآية ﴿ نَبُؤُنِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .
- ﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ .
- 76 يوسف - الآية ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ .
- 52 الأعراف - الآية ﴿ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .
- 27 النحل - الآية ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ .
- 36 الإسراء - الآية ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .
- 85 الإسراء - الآية ﴿ وَلَوْ طَآءَنَّا هُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ .
- 74 الأنبياء - الآية ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّمْنَا هَارُونَ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ .
- 79 الأنبياء - الآية ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ .
- 15 النمل - الآية

* * * * *

وكان سعيكم مشكورا



ويحث الذكر الحكيم الإنسان على السعي لطلب الرزق، وألا يهمل نصيبه من الدنيا. وكم ينال المرء من الثواب عندما يجتهد في عمله لرعاية الأسرة وخدمة المجتمع. ومما جاء به التنزيل في هذا الصدد الآيات التالية :

- ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ . الملك - الآية 15
- ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ . النساء - الآية 97
- ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ . الأحقاف - الآية 19
- ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا﴾ . الأنعام - الآية 132
- ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ . المطففين - الآية 26
- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ . الملك - الآية 15

* * * * *

القول يتبعه العمل



مدح القرآن الكريم الذين يتبعون أقوالهم بالعمل الصالح، وذم من يعدون ولا ينجزون، ويقولون ما لا يفعلون . ومن الآيات التي توبخ هذا النوع من المسلمين ما يلي:

- ﴿كِبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .
الصف - الآية 3
- ﴿اتَّأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ .
البقرة - الآية 44
- ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .
الجمعة - الآية 5
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .
الصف - الآية 2

* * * * *

صفات متأصلة في الإنسان



العدوانية ، الأنانية، الظلم، الخوف، الحقد، نكران الجميل، الطمع، حب الذات، الغيرة وغيرها من الصفات المتأصلة في الإنسان، التي أفسدت سلوكه في كل زمان ومكان، وما زالت تفسده على الرغم مما جاءت به العقائد، وما هتف به الوعاظ والمرشدون من وعد ووعيد. ومما جاء في التنزيل الحكيم حول الموضوع الآيات التالية:

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ .

المعارج - الآيات 19 - 20 - 21

- ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ . عيس - الآية 17

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ . إبراهيم - الآية 34

- ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ . الكهف - الآية 54

- ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ (٦) أَن رَّاهُ اسْتَعْتَضَى (٧)﴾ .

العلق - الآيتان 6 ، 7

- ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ . الأنبياء - الآية 37

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

الأحزاب - الآية 72

﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ . فصلت - الآية 51

* * * * *

النفس القلقة



وحرص القرآن الكريم على أن يطمئن النفوس القلقة، ويهدئ من روع المؤمن الخائف المضطرب، ففتح له كثيراً من أبواب الرحمة والرضى والتوبة، كما نجد ذلك في الآيات التالية :

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ .

الأحزاب - الآية 5

- ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ .

البقرة - الآية 173

- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ .

الرعد - الآية 6

- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ .

النساء - الآية 110

- ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ .

البقرة - الآية 178

- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

البقرة - الآية 185

* * * * *

تآلف المسلمين واتحادهم وتعاونهم



كم حث التنزيل الحكيم ونبيّ الله المصطفى الكريم المسلمين على
التآخي والتعاون ليكونوا يداً واحدة وصفاً واحداً ضد المعتدين. ومن
الآيات التي تناولت هذا الموضوع ما يلي:

- ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا وأذكروا نعمتَ الله عليكم إذ
كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ .

آل عمران - الآية 103

- ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ .

الأنفال - الآية 46

- ﴿ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ .

النحل - الآية 92

* * * * *

اختلاف المظهر والجوهر



توضح الآيات التالية بعض ما ورد في الذكر الحكيم حول
اختلاف المظاهر والمشاهد وقيمها وأوضاعها الحقيقية :

- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهِمْ
خُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ﴾ .
المنافقون - الآية 4
- ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ .
الحشر - الآية 14
- ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ .
الجمعة - الآية 5
- ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ .
الكهف - الآية 18
- ﴿يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ .
النور - الآية 39

* * * * *

الشكر والاعتراف بالجميل



ومن مكارم الأخلاق التي جاء بها الدين الحنيف أن جعل الاعتراف بالجميل، والإقرار بالفضل لأولي الفضل من مكارم الأخلاق؛ وجعل نكران المعروف من الرذائل، فمدح الخلق الأول، ووبخ الفئة الثانية:

- ﴿ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ .

النمل - الآية 40

- ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ . إبراهيم - الآية 7

- ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ . الإنسان - الآية 3

- ﴿ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾ . الإنسان - الآية 22

- ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ . عبس - الآية 17

- ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لِيطْغَى ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ ﴾ . العلق - الآية 6 - 7

- ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضُّوهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضَرْبِ مَسِّهِ ﴾ .

يونس - الآية 12

- ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ .

المؤمنون - الآية 75

* * * * *

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة



﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) ﴾ .

سورة إبراهيم - الآيات 24 - 26

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) ﴾ .

سورة فصلت - الآيات 34 - 35

* * * * *

هذا بلاغ للناس ولينذروا به



لا تتوقف مفاصد الإنسان ومساوئ سلوكه عندما ذكر من صفاته السيئة المتأصلة ، بل نجد في تصرفاته الشريرة ما أعجز النبيين والوعاظ والمصلحين تقويمه عبر قرون طويلة. وقد سأل أحد المرشدين الناس في الشوارع : ماذا تشتكون من «الناس» في سلوكهم اليومي؟

لقد كانت نتيجة بحثه أن جميع الناس يشكون من صفة ما في سلوك «جميع الناس»، ومن هذه الصفات السلوكية المنتشرة التي لم تستطع حتى التعاليم العقائدية معالجتها: عدم احترام المواعد؛ الأنانية؛ الغش؛ الجشع؛ حب المال؛ الظلم؛ نكران الجميل؛ عدم الوفاء بالديون؛ الحسد؛ النميمة؛ الكبرياء؛ الحقد؛ النفاق؛ الرشوة؛ إهمال الشعائر العقائدية؛ تبرج النساء؛ وقاحة الرجال؛ بخل الأغنياء على المشاريع الخيرية؛ عدم احترام العهود والمواثيق؛ استغلال العلاقات الشخصية على حساب المستضعفين.. والقائمة طويلة.

وفيما يلي بعض آيات التنزيل الحكيم تذكرنا بمغبة المافسد والمساوئ، وتندر بالعواقب الوخيمة، إذا لم تنفع الذكرى، واستمر المسلمون في إهمالهم لتعاليم الدين القيم الحنيف:

﴿ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ .

البقرة - الآية 79

من أخلاق المسلمين في القرآن الكريم —————

- ﴿ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .
الأنعام - الآية 24
- ﴿ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيْمَاهُمْ ﴾ .
الرحمان - الآية 41
- ﴿ هَمَّازٌ مِّشَاءً بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَتِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ .
القلم - الآية 11
- ﴿ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ ﴾ .
غافر - الآية 56
- ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .
الزمر - الآية 60
- ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ .
الحج - الآية 18
- ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .
المرسلات - الآية 46
- ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .
المجادلة - الآية 19
- ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ﴾ .
إبراهيم - الآية 52
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴾ .
الطارق - الآية 13 - 14
- ﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ .
المرسلات - الآية 7
- ﴿ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ .
الأنعام - الآية 67
- ﴿ ذُرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ .
الحجر - الآية 3

- ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . البقرة - الآية 178
- ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ .
- التوبة - الآية 82
- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ .
- التوبة - الآية 55
- ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ . الأنفال - الآية 25
- ﴿وَسَيَعْلَمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ . الشعراء - الآية 227
- ﴿فَانتظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ﴾ . الأعراف - الآية 71

* * * * *

الأمل في الرحمة والمغفرة..



﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) .

سورة الزمر - الآية 53

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (١٥٩) .

سورة آل عمران - الآية 159

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٨٦) .

سورة البقرة - الآية 286

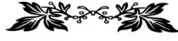
كتاب الإنجيل المقدس

ويعرف أيضاً

بالعهد الجديد

مقتطفات من إنجيل متي

عظة يسوع الكبرى



السعادة الحق:

فلما رأى الجموع ، صعدَ الجبلَ وجلسَ ، فدنا إليه تلاميذه فشرعَ
يُعلِّمهم قال:

«طوبى لفقراءِ الرُّوحِ

فإنَّ لهم ملكوتَ السَّمواتِ .

طوبى للودعاءِ

فإنَّهم يرثون الأرضَ .

طوبى للمحزونين ، فإنَّهم يُعزَّون .

طوبى للجِياعِ والعطاشِ إلى البرِّ

فإنَّهم يُشبعون .

طوبى للرحماءِ ، فإنَّهم يُرحَمون .

طوبى لأطهارِ القلوبِ

فإنَّهم يُشاهدون اللهَ .

طوبى للسَّاعينِ إِلَى السَّلَامِ

فإنَّهُم أبناءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.

طوبى للمُضْطَهَدِينَ عَلَى الْبِرِّ

فإنَّ لَهُم مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ.

طوبى لكم، إذا شتموكم واضطهدوكم وافترؤا عليكم كلَّ كذبٍ من أجلي، افرحوا وأبتهجوا: إنَّ أجركم في السَّمَوَاتِ عَظِيمٌ، فهكذا اضطهدوا الأنبياءَ من قبلكم .

ملح الأرض ونور العالم :

«أنتم ملحُ الأرض، فإذا فسَدَ الملحُ، فأىُّ شَيْءٍ يُمَلِّحُه؟ إنَّه لا يصلحُ بعدَ ذلكِ إلا لأنَّ يُطْرَحَ فِي خَارِجِ الدَّارِ فَيَدُوسُه النَّاسُ».

«أنتم نورُ العالم. لا تخفى مدينةٌ على جبلٍ، ولا يُوقدُ سراجٌ ويوضعُ تحتَ المكيالِ، بل على المنارةِ، فيضيءُ لجميعِ الذينَ في البيتِ. هكذا فليضيءِ نورُكم للناسِ، ليروا أعمالكم الصَّالحةَ، فيمجِّدوا أبائكم الذي في السَّمَوَاتِ».

يسوع والشريعة

«لا تظنُّوا أنَّي جئتُ لأبطلَ الشريعةَ أو الأنبياءَ: ما جئتُ لأبطلَ، بل لأكملَ» .

الحقُّ أقولُ لكم : لن يزولَ حرفٌ أو نقطةٌ من الشريعةِ حتَّى يتمَّ

كُلُّ شَيْءٍ، أَوْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ . فَمَنْ خَالَفَ وَصِيَّةً مِنْ أَصْغَرَ تِلْكَ
الْوَصَايَا وَعَلَّمَ النَّاسَ أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَهُ، عُدَّ الصَّغِيرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ .
وَأَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ بِهَا وَيُعَلِّمُهَا فَذَاكَ يُعَدُّ كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ .

البر القديم والبر الجديد

«فإني أقول لكم : إن لم يزد بركم على برِّ الكتبة والفريسيين، لا
تدخلوا ملكوت السموات .

سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ: «لَا تَقْتُلْ، فَإِنَّ مَنْ يَقْتُلْ يَسْتَوْجِبُ حُكْمَ
القضاء». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ اسْتَوْجِبَ حُكْمَ
القضاء، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: «يَا أَحْمَقُ» اسْتَوْجِبَ حُكْمَ المَجْلِسِ، وَمَنْ قَالَ
لَهُ: «يَا جَاهِلٌ» اسْتَوْجِبَ نَارَ جَهَنَّمَ. فَإِذَا كُنْتَ تَقْرُبُ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ
وَذَكَرْتَ هُنَاكَ أَنَّ لِأَخِيكَ عَلَيْكَ شَيْئًا، فَدَعْ قُرْبَانَكَ هُنَاكَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ،
وَاذْهَبْ أَوَّلًا فَصَالِحْ أَخَاكَ، ثُمَّ عُدْ فَقْرَبْ قُرْبَانَكَ. سَارِعْ إِلَى إِرْضَاءِ
خَصْمِكَ مَا دُمْتَ مَعَهُ فِي الطَّرِيقِ، لِيَلَّا يُسَلِّمَكَ الْخَصْمُ إِلَى الْقَاضِيِ
وَالْقَاضِيِ إِلَى الشَّرْطِيِّ، فَتَلْقَى فِي السِّجْنِ . الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: لَنْ تَخْرُجَ
مِنْهُ حَتَّى تُؤَدِّيَ آخِرَ فِلسٍ.

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «لَا تَزْنِ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ
بِشَهْوَةٍ، زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ. فَإِذَا كَانَتْ عَيْنُكَ الِیْمَنَى سَبَبَ عَثْرَةٍ لَكَ،
فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، فَلَأَنْ يَهْلِكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ
يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . وَإِذَا كَانَتْ يَدُكَ الِیْمَنَى سَبَبَ عَثْرَةٍ لَكَ،
فَاقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ، فَلَأَنْ يَهْلِكَ عُضْوٌ مِنْ أَعْضَائِكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ
يَذْهَبَ جَسَدُكَ كُلُّهُ إِلَى جَهَنَّمَ».

«وقد قيل: «مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، إِلَّا فِي حَالَةِ الْفَحْشَاءِ عَرَّضَهَا لِلزَّنى، وَمَنْ تَزَوَّجَ مُطَلَّقَةً فَقَدْ زَنَى.»

«سَمِعْتُمْ أَيْضًا أَنَّهُ قِيلَ لِلأَوَّلِينَ: «لَا تَحْنُثْ، بَلْ أَوْفِ لِلرَّبِّ بِأَيْمَانِكَ»، أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَحْلِفُوا أَبَدًا، لَا بِالسَّمَاءِ فَهِيَ عَرْشُ اللَّهِ، وَلَا بِالأَرْضِ فَهِيَ مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، وَلَا بِأورشليمَ فَهِيَ مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ. وَلَا تَحْلِفْ بِرَأْسِكَ فَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَجْعَلَ شَعْرَةً وَاحِدَةً مِنْهُ بَيْضَاءَ أَوْ سَوْدَاءَ. فَلْيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، وَلَا لَا. فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ كَانَ مِنَ الشَّرِّيرِ.»

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «العَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالسُّنُّ بِالسُّنِّ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوَمُوا الشَّرِّيرِ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ، فَاعْرِضْ لَهُ الأَخْرَ. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَاكِمَكَ لِيَأْخُذَ قَمِيصَكَ، فَاتْرِكْ لَهُ رِدَائِكَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ أَنْ تَسِيرَ مَعَهُ مِيلاً وَاحِداً، فَسِرْ مَعَهُ مِائَتَيْ مِيلَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ اسْتَقْرَضَكَ فَلَا تُعْرِضْ عَنْهُ.»

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: «أَحَبُّ قَرِيبِكَ وَأَبْغَضُ عَدُوِّكَ». أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَصَلُّوا مِنْ أَجْلِ مُضْطَهَدِكُمْ، لِتَصِيرُوا بَنِي أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ، لِأَنَّهُ يُطَلِّعُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ والأَخْيَارِ، وَيُنْزِلُ المَطَرَ عَلَى الأَبْرَارِ وَالفُجَّارِ. فَإِنْ أَحَبَبْتُمْ مَنْ يُحِبُّكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَوَلَيْسَ العَشَّارُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَانِكُمْ وَحَدَثْتُمْ، فَأَيُّ زِيَادَةٍ فَعَلْتُمْ؟ أَوَلَيْسَ الوَثَّيُونَ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ، كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ السَّمَاوِيِّ كَامِلٌ.»

الصدقة

«إِيَّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِرَّكُمْ بِمَرَأَى مِنْ النَّاسِ لِكِي يَنْظُرُوا إِلَيْكُمْ، فَلَا يَكُونْ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. فَإِذَا تَصَدَّقْتَ فَلَا يُنْفَخْ أَمَامَكَ فِي الْبُوقِ. كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَالشُّوَارِعِ لِيُعَظَّمَ النَّاسُ شَأْنَهُمْ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا تَصَدَّقْتَ، فَلَا تَعْلَمْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينِكَ، لِتَكُونَ صَدَقَتَكَ فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ.»

الصلاة

«وَإِذَا صَلَّيْتُمْ، فَلَا تَكُونُوا كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ الصَّلَاةَ قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَمُلْتَقَى الشُّوَارِعِ، لِيَرَاهُمُ النَّاسُ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا صَلَّيْتَ فَادْخُلْ حُجْرَتَكَ وَأَغْلِقْ عَلَيْكَ بَابَهَا وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ. وَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تُكْرِرُوا الْكَلَامَ عَبَثًا مِثْلَ الْوَتْنِيِّينَ، فَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ إِذَا أَكْثَرُوا الْكَلَامَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ، لِأَنَّ أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ.»

الصلاة الربّية

«فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَذِهِ الصَّلَاةَ :

أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ

لِيُقَدِّسَ اسْمُكَ

لِيَأْتِ مَلَكُوتَكَ

لِيَكُنَّ مَا تَشَاءُ

فِي الْأَرْضِ كَمَا فِي السَّمَاءِ

أَرْزُقْنَا الْيَوْمَ خُبْزَ يَوْمِنَا

وَأَعْفِنَا مِمَّا عَلَيْنَا

فَقَدْ أَعْفَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا مَنْ لَنَا عَلَيْهِ

وَلَا تُعَرِّضْنَا لِلتَّجْرِبَةِ

بَلْ نَجِّنَا مِنَ الشَّرِّيرِ

فَإِنْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَاتِهِمْ

يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ السَّمَاوِيِّ

وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ

لَا يَغْفِرَ لَكُمْ أَبُوكُمْ زَلَاتِكُمْ.

الصوم

«وَإِذَا صُمْتُمْ فَلَا تُعْبِسُوا كَالْمُرَائِنِ، فَإِنَّهُمْ يُكَلِّحُونَ وُجُوهَهُمْ، لِيُظْهَرَ لِلنَّاسِ أَنَّهَمْ صَائِمُونَ. الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ، فَإِذَا صُمْتَ، فَادْهِنِ رَأْسَكَ وَاغْسِلِ وَجْهَكَ، لِكَيْلَا يَظْهَرَ لِلنَّاسِ

أَنْتَ صَائِمٌ، بَلْ لِأَبِيكَ الَّذِي فِي الْخُفْيَةِ، وَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخُفْيَةِ يُجَازِيكَ.

الكنز الحقيقي

«لَا تَكْنِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ كُنُوزًا فِي الْأَرْضِ، حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالْعُثَّةُ، وَيَنْقُبُ السَّارِقُونَ فَيَسْرِقُونَ. بَلْ اكْنِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لَا يُفْسِدُ السُّوسُ وَالْعُثَّةُ، وَلَا يَنْقُبُ السَّارِقُونَ فَيَسْرِقُوا. فَحَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ يَكُونُ قَلْبُكَ.»

العين سراج الجسد

«سِرَاجُ الْجَسَدِ هُوَ الْعَيْنُ. فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ سَلِيمَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ نَيِّرًا. وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ مَرِيضَةً، كَانَ جَسَدُكَ كُلُّهُ مُظْلَمًا. فَإِذَا كَانَ النُّورُ الَّذِي فِيكَ ظَلَامًا، فَيَا لَهُ مِنْ ظَلَامٍ!»

الله والمال

«مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ لِسَيِّدَيْنِ، لِأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا وَيُحِبَّ الْآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلْزِمَ أَحَدَهُمَا وَيَزْدَرِيَ الْآخَرَ. لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَعْمَلُوا لِلَّهِ وَلِلْمَالِ.»

العناية الإلهية

«لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لَا يُهْمَكُمُ اللَّعِيشُ مَا تَأْكُلُونَ وَلَا لِلْجَسَدِ مَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتْ الْحَيَاةُ أَعْظَمُ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَعْظَمُ مِنَ اللَّبَاسِ؟ أَنْظَرُوا إِلَى طُيُورِ السَّمَاءِ كَيْفَ لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَخْزُنُ فِي

الأهراء، وأبوكم السماوي يرزقها . أفلستم أنتم أتمن منها كثيراً؟ ومن منكم، إذا اهتم، يستطيع أن يضيف إلى حياته مقدار ذراع واحدة؟

«ولماذا يهتمكم اللباس؟ إعتبروا بزنابق الحقل كيف تنمو، فلا تجهد ولا تغزل . أقول لكم إن سليمان نفسه في كل مجده لم يلبس مثل واحدة منها . فإذا كان عشب الحقل، وهو يوجد اليوم ويطرح غداً في التنور، يلبسه الله هكذا، فما أحرأه بأن يلبسكم، يا قليلي الإيمان!

«فلا تهتموا فتقولوا: ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب؟ أو ماذا نلبس؟ فهذا كله يسعى إليه الوثنيون، وأبوكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذا كله . فاطلبوا أولاً ملكوته وبره تزدادوا هذا كله . لا يهتمكم أمر الغد، فالغد يهتم بنفسه . ولكل يوم من العناء ما يكفيه .

لا تدن قريبك بل نفسك

«لا تدينوا لئلا تدينوا، فكما تدينون تدانون، ويكال لكم بما تكيلون . لماذا تنظر إلى القذى الذي في عين أخيك؟ والخشبة التي في عينك أفلا تأبه لها؟ بل كيف تقول لأخيك: «دعني أخرج القذى من عينك؟» فما هي ذي الخشبة في عينك . أيها المرأى، أخرج الخشبة من عينك أولاً، وعندئذ تبصر فتخرج القذى من عين أخيك .

صون الأشياء المقدسة

«لا تعطوا الكلاب ما هو مقدس، ولا تلقوا لؤلؤكم إلى الخنازير، لئلا تدوسه بأرجلها، ثم تتردد إليكم فتمزقكم .

الله يحسن الاستجابة لنا

«إِسْأَلُوا تُعْطُوا. أَطْلُبُوا تَجِدُوا، إِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ. لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَنَالُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ. مَنْ مِنْكُمْ إِذَا سَأَلَهُ ابْنُهُ رَغِيْفًا أَعْطَاهُ حَجْرًا، أَوْ سَأَلَهُ سَمَكَةً أَعْطَاهُ حَيَّةً؟ فَإِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمْ الْأَشْرَارَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا الْعَطَايَا الصَّالِحَةَ لِأَبْنَائِكُمْ، فَمَا أَوْلَى أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ بِأَنْ يُعْطِيَ مَا هُوَ صَالِحٌ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ!»

القاعدة المثلى

«فَكُلُّ مَا أَرَدْتُمْ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ لَكُمْ، افْعَلُوهُ أَنْتُمْ لَهُمْ: هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ.»

الطريقان

«أَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ. فَإِنَّ الْبَابَ رَحْبٌ وَالطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْهَلَاكِ وَاسِعٌ، وَالَّذِينَ يَسْلُكُونَهُ كَثِيرُونَ. مَا أَضْيَقَ الْبَابَ وَأَحْرَجَ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى الْحَيَاةِ، وَالَّذِينَ يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ قَلِيلُونَ.»

قل الحق ولا تخف

«لَا تَخَافُوهُمْ إِذَا! فَمَا مِنْ مَسْتُورٍ إِلَّا سَيُكشَفُ، وَلَا مِنْ مَكْتُومٍ إِلَّا سَيُعْلَمُ. وَالَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ، قُولُوهُ فِي وَضْحِ النَّهَارِ. وَالَّذِي تَسْمَعُونَهُ يُهْمَسُ فِي آذَانِكُمْ، نَادُوا بِهِ عَلَى السُّطُوحِ.»

لا السلام بل السيف

«لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَحْمِلَ السَّلَامَ إِلَى الْأَرْضِ، مَا جِئْتُ لِأَحْمِلَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا:

جَبَّتْ لِأُفْرُقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَبِيهِ
وَالْبِنْتِ وَأُمِّهَا، وَالْكَنَّةِ وَحَمَاتِهَا.
فِيكُونُ أَعْدَاءَ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ.

النصح الأخوي

«إِذَا خَطِيءَ أَخُوكَ، فَادْهَبْ إِلَيْهِ وَانْفَرِدْ بِهِ وَوَبِّخْهُ. فَإِذَا سَمِعَ لَكَ،
فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ لَكَ فَخُذْ مَعَكَ رَجُلًا أَوْ رَجُلَيْنِ، لِكَيْ
يُحْكَمَ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ بِنَاءً عَلَى كَلَامِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ
لَهُمَا، فَأَخْبِرِ الْكَنِيسَةَ بِأَمْرِهِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ لِلْكَنَيْسَةِ أَيْضًا، فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ
كَالْوَثِيِّ وَالْعَشَّارِ.»

«الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: مَا رَبِطْتُمْ فِي الْأَرْضِ رُبِطَ فِي السَّمَاءِ، وَمَا
حَلَلْتُمْ فِي الْأَرْضِ حُلَّ فِي السَّمَاءِ.»

صلاة الجماعة

«وَأَقُولُ لَكُمْ: إِذَا اتَّفَقَ اثْنَانِ مِنْكُمْ فِي الْأَرْضِ عَلَى طَلَبِ أَيِّ حَاجَةٍ
كَانَتْ، حَصَلًا عَلَيْهَا مِنْ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ. فَحَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ
ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي، كُنْتُ هُنَاكَ بَيْنَهُمْ.»

الصفح عن القريب

فَدَنَا بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَبِّ، كَمْ مَرَّةً يَخْطَأُ إِلَيَّ أَخِي وَأَغْفِرَ لَهُ؟
أَسْبَعُ مَرَّاتٍ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لَا أَقُولُ لَكَ: سَبْعَ مَرَّاتٍ، بَلْ سَبْعِينَ مَرَّةً
سَبْعَ مَرَّاتٍ.»

الخدام القليل الشفقة

«لذلك مثل ملكوت السموات كمثل ملك أراد أن يحاسب خدمه. فلما شرع في محاسبتهم أتى بواحد منهم عليه عشرة آلاف وزنة. ولم يكن عنده ما يؤدي به دينه، فأمر مولاه أن يباع هو وامرأته وأولاده وجميع ما يملك ليؤدي دينه. فجثا له الخادم ساجداً وقال: «أمهلني أودد لك كل شيء». فأشفق مولى ذلك الخادم وأطلقه وأعفاه من الدين. ولما خرج ذلك الخادم لقي خادماً من أصحابه مديناً له بمائة دينار. فأخذ بعنقه يخنقه وهو يقول له: «أد ما عليك». فجثا صاحبه يتوسل إليه فيقول: «أمهلني أودد لك». فلم يرض، بل ذهب به وألقاه في السجن إلى أن يؤدي دينه. وشهد أصحابه ما جرى فاغتموا كثيراً، فمضوا وأخبروا مولاهم بكل ما جرى. فدعاه مولاه وقال له: «أيها الخادم الشرير، ذاك الدين كله أعفيتك منه، لأنك سألتني. أفما كان يجب عليك أنت أيضاً أن ترحم صاحبك كما رحمتك أنا؟» وغضب مولاه فدفعه إلى الجلادين، حتى يؤدي له كل دينه. فهكذا يفعل بكم أبي السماوي، إن لم يغفر كل واحد منكم لأخيه من صميم قلبه».

الزواج المسيحي والعضاف

ولما أتم يسوع هذا الكلام، ترك الجليل وجاء بلاد اليهودية عند عبر الأردن. فتبعته جموع كثيرة، فشفاهم هناك.

فدنا إليه بعض الفريسيين وقالوا له ليخرجوه: «أيحل لأحد أن

يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ لِأَيَّةٍ عَلَّةٍ كَانَتْ؟ فَأَجَابَ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الْخَالِقَ مُنْذُ الْبَدْءِ جَعَلَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى وَقَالَ: لِذَلِكَ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْزِمُ امْرَأَتَهُ وَيَصِيرُ الْإِثْنَانُ جَسَدًا وَاحِدًا؟»

فلا يكونان اثنتين بعد ذلك، بل جسد واحد. فما جمعه الله فلا يُفَرِّقُهُ الْإِنْسَانُ. فَقَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَمَرَ مُوسَى أَنْ تُعْطَى كِتَابَ طَلَاقٍ وَتُسَرَّحَ؟ قَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَجْلِ قِسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ رَخَّصَ لَكُمْ مُوسَى فِي طَلَاقِ نِسَائِكُمْ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُنْذُ الْبَدْءِ هَكَذَا. أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، إِلَّا لِفَحْشَاءٍ، وَتَزَوَّجَ غَيْرَهَا فَقَدْ زَنَى.»

فقال له التلاميذ: «إِذَا كَانَتْ حَالَةُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ هَكَذَا، فَلَا خَيْرَ فِي الزَّوْجِ». فَقَالَ لَهُمْ: «هَذَا الْكَلَامُ لَا يَفْهَمُهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ، بَلِ الَّذِينَ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ. فَهُنَاكَ خَصِيَانٌ وُلِدُوا مِنْ بُطُونِ امْهَاتِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، وَهُنَاكَ خَصِيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ، وَهُنَاكَ خَصِيَانٌ خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ. فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَفْهَمَ فَلْيَفْهَمْ!»

يسوع والأطفال

وَأَتَوْهُ بِأَطْفَالٍ لِيَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ، فَانْتَهَرَهُمُ التَّلَامِيذُ. فَقَالَ يَسُوعُ: «دَعُوا الْأَطْفَالَ، لَا تَمْنَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيَّ، فَإِنَّ لَأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ». ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ.

الشاب الغني

وَإِذَا بَرَجُلٌ يَدْنُو فَيَقُولُ لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ مِنْ صَالِحٍ لِأَنَالَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ إِنَّمَا الصَّالِحُ

واحد. فإذا أردت أن تدخل الحياة، فأحفظ الوصايا». قال له: «أي وصايا؟» فقال يسوع:

«لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأُمَّك»
و«أحب قريبك حبك لنفسك».

قال له الشاب: «هذا كله قد حفظته، فماذا ينقصني؟» قال له يسوع: «إذا أردت أن تكون كاملاً، فاذهب وبع أموالك وأعطها للفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال فاتبعني». فلما سمع الشاب هذا الكلام، انصرف حزينا لأنه كان ذا مال كثير.

خطر الغنى

فقال يسوع لتلاميذه: «الحق أقول لكم: يعسر على الغني أن يدخل ملكوت السموات. وأقول لكم: لأن يمرّ الجمل من ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت السموات». فلما سمع التلاميذ هذا الكلام دهشوا دهشاً شديداً وقالوا: «من تراه يقدر أن يخلص؟» فحدق إليهم يسوع وقال لهم: «أما الناس فهذا شيء يعجزهم، وأما الله فإنه على كل شيء قدير».

جزاء من يبذل في سبيل يسوع

فقال له بطرس: «ها قد تركنا نحن كل شيء وتبعناك، فماذا يكون مصيرنا؟» فقال لهم يسوع: «الحق أقول لكم: أنتم الذين تبعوني، متى جلس ابن الإنسان على عرش مجده عندما يجدد كل شيء،

تَجْلِسُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا عَلَى اثْنِي عَشَرَ عَرْشًا، لِتَدِينُوا أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ
الْإِثْنِي عَشَرَ. وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بَيْوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمَّ أَوْ بَنِينَ
أَوْ حُقُولًا لِأَجْلِ اسْمِي، يَنَالُ مِائَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ.

«وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ يَصِيرُونَ آخِرِينَ، وَمِنَ الْآخِرِينَ أَوَّلِينَ.»

طلب أم ابني زبدي

فَدَنَّتْ إِلَيْهِ أُمُّ ابْنِي زَبْدَى وَمَعَهَا ابْنَاهَا، وَسَجَدَتْ لَهُ تَسْأَلُهُ حَاجَةً.
فَقَالَ لَهَا: «مَاذَا تُرِيدِينَ؟» قَالَتْ: «مُرَّ أَنْ يَجْلِسَ ابْنَايَ هَذَانِ أَحَدُهُمَا
عَنْ يَمِينِكَ وَالْآخَرَ عَنْ شِمَالِكَ فِي مَلَكُوتِكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّكُمْ لَا
تَعْلَمَانِ مَا تَسْأَلَانِ: أَتَسْتَطِيعَانِ أَنْ تَشْرَبَا الْكَأْسَ الَّتِي سَأَشْرِبُهَا؟» قَالَا لَهُ:
«نَسْتَطِيعُ». فَقَالَ لَهُمَا: «أَمَّا كَأْسِي فَسَوْفَ تَشْرَبَانِهَا، وَأَمَّا الْجُلُوسُ عَنْ
يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي، فَلَيْسَ لِي أَنْ أَمْنَحَهُ، بَلْ هُوَ لِلَّذِينَ أَعَدَّهُ لَهُمْ أَبِي.»

السلطة خدمة

وَسَمِعَ الْعَشْرَةَ ذَلِكَ الْكَلَامَ فَاسْتَأْوُوا مِنَ الْآخَوِينَ. فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ
إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ: «تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الْأُمَمِ يَسُودُونَهَا، وَأَنَّ أَكْبَرَهَا
يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهَا. فَلَا يَكُنْ هَذَا فِيكُمْ، بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ كَبِيرًا فِيكُمْ،
فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلَ فِيكُمْ، فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا:
هَكَذَا ابْنُ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ، بَلْ لِيُخْدَمَ وَيَفْدِيَ بِنَفْسِهِ جَمَاعَةَ
النَّاسِ.»

شفاء أعميين في أريحا

وبينما هم خارجون من أريحا، تبعه جمع كثير. وإذا أعميان جالسان على جانب الطريق، فلما سمعا أن يسوع مار من هناك صاحوا: «رحمك، يا رب، يا ابن داود!» فانتهرهما الجمع ليسكتا. فصاحا أشد الصياح: «رحمك يا رب، يا ابن داود!» فوقف يسوع ودعاهما وقال: «ماذا تريدان أن أصنع لكما؟»، قالا له: «يا رب، أن تفتح أعيننا». فأشفق يسوع عليهما، ولمس أعينهما، فأبصرا لوقتها وتبعاه.

يسوع في اورشليم

يسوع يدخل اورشليم

ولما قربوا من اورشليم، ووصلوا إلى بيت فاجي عند جبل الزيتون، حينئذ أرسل يسوع تلميذين وقال لهما: «اذهبا إلى القرية التي تجاهكما، تجدا أتاناً مربوطةً وجحشاً معها، فحلا رباطها وأتيا بهما. فإن قال لكما قائل شيئاً، فأجيبا: «الربُّ محتاج إليهما»، فيرسلهما لوقته». وإنما حدث هذا ليتم ما قيل على لسان النبي:

«قولوا لبنت صهيون:

هوذا ملكك آتياً إليك

وديعاً راكباً على أتان

وجحش ابن دابة».

فَذَهَبَ التِّلْمِيذَانِ وَفَعَلَا كَمَا أَمَرَهُمَا يَسُوعُ وَأَتِيَا بِالْأَتَانِ
وَالجَحَشِ. ثُمَّ وَضَعَا عَلَيْهِمَا رِدَائِيَهُمَا، فَرَكَبَ يَسُوعُ. وَكَانَ مِنَ النَّاسِ
جَمْعٌ كَثِيرٌ، فَبَسَطُوا أَرْدِيَّتَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ، وَقَطَعَ غَيْرُهُمْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ،
فَفَرَشُوا بِهَا الطَّرِيقَ. وَكَانَتِ الْجُمُوعُ الَّتِي تَتَقَدَّمُهُ وَالَّتِي تَتَّبَعُهُ تَهْتَفُ:

«هُوشَعْنَا لِابْنِ دَاوُدَ!»

تَبَارَكَ الْآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»

هُوشَعْنَا فِي الْعُلَى!»

وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ضَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَسَأَلَتْ: «مَنْ هَذَا؟»
فَأَجَابَتْ الْجُمُوعُ: «هَذَا النَّبِيُّ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ.»

طرد الباعة من الهيكل

ثُمَّ دَخَلَ يَسُوعُ الْهَيْكَلَ وَطَرَدَ جَمِيعَ الَّذِينَ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي
الْهَيْكَلِ، فَقَلَبَ طَاوِلَاتِ الصَّيَّارِفَةِ وَمَقَاعِدِ بَاعَةِ الْحَمَامِ. وَقَالَ لَهُمْ:
«مَكْتُوبٌ:

«بَيْتِي بَيْتَ صَلَاةٍ يُدْعَى

وَأَنْتُمْ تَجْعَلُونَهُ مَغَارَةً لُصُوصٍ.»

وَدَنَا إِلَيْهِ عُمَيَّانٌ وَعُرِّجٌ فِي الْهَيْكَلِ فَشَفَاهُم. فَلَمَّا رَأَى عُظْمَاءُ
الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةَ مَا أَتَى بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ، وَرَأَوْا الْأَطْفَالَ يَهْتَفُونَ فِي
الْهَيْكَلِ: «هُوشَعْنَا لِابْنِ دَاوُدَ!»، اسْتَأْوَوْا فَقَالُوا لَهُ: «أَتَسْمَعُ مَا يَقُولُ
هَؤُلَاءِ؟»

فقال لهم يسوع: «نعم، أما قرأتم قط: «على السنة الصغار والرضع أعددت لِنفسِك تسيحًا؟» ثم تركهم وخرج من المدينة إلى بيت عنيا فبات فيها.

يسوع يلعن التينة

وبينما هو راجع إلى المدينة عند الفجر، أحس بالجوع. فرأى تينة عند الطريق فذهب إليها، فلم يجد عليها غير الورد. فقال لها: «لا يخرجن منك ثمر للأبد». فبيست التينة من وقتها. فلما رأى التلاميذ ذلك، تعجبوا وقالوا: «كيف بيست التينة من وقتها؟» فأجابهم يسوع: «الحق أقول لكم: إن كان لكم إيمان ولم تشكوا، لا تفعلون ما فعلت بالتينة فحسب، بل كنتم إذا قُلتُم لهذا الجبل: قم فاهبط في البحر، يكون ذلك. فكلُّ شيء تطلبونه وأنتم تصلون بإيمان تتألونه».

سلطة يسوع

ودخل الهيكل، فدنا إليه عظماء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلم وقالوا له: «بأي سلطان تعمل هذه الأعمال؟ ومن أولك هذا السلطان؟» فأجابهم يسوع: «وأنا أسألكم سؤالاً واحداً، إن أحبتموني عنه، قلت لكم بأي سلطان أعمل هذه الأعمال: من أين جاءت معمودية يوحنا: أم من السماء أم من الناس؟» فقالوا في أنفسهم: «إن قلنا: من السماء، يقول لنا: فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا: من الناس، نخاف الجمع، لأنهم كلهم يعدون يوحنا نبياً». فأجابوا يسوع: «لا ندري». فقال لهم: «وأنا لا أقول لكم بأي سلطان أعمل هذه الأعمال».

مقتطفات من إنجيل يوحنا



يسوع نور العالم

وكلّمهم أيضاً يسوعُ قال:

«أنا نُورُ العالمِ

مَنْ يَتَّبِعْنِي لَا يَمْشِي فِي الظَّلامِ

بل يكونُ له نورُ الحياة».

فقالَ له الفريسيُّونَ: «أنتَ تشهدُ لِنَفْسِكَ، فشهادتُكَ لا تصحُّ».

أجابهم يسوعُ:

إني، وإنْ شَهِدْتُ لِنَفْسِي

فشهادتي تصحُّ

فأنا أعلمُ من أين أتيتُ

وإلى أين أذهبُ

أما أنتم فلا تعلمونَ من أين أتيتُ

ولا إلى أين أذهبُ.

أَنْتُمْ تَحْكُمُونَ حُكْمَ الْبَشَرِ

وَأَنَا لَا أَحْكُمُ عَلَى أَحَدٍ.

وَإِذَا حَكَمْتُ، فَحُكْمِي صَحِيحٌ

لَأَنِّي لَسْتُ وَحْدِي

بَلْ أَنَا وَالَّذِي أَرْسَلَنِي.

وَكُتِبَ فِي شَرِيعَتِكُمْ:

شَهَادَةٌ شَاهِدِينَ تَصِحُّ.

أَنَا أَشْهَدُ لِنَفْسِي

وَالآبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي أَيْضًا.»

فَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ أَبوك؟»

أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتُمْ لَا تَعْرِفُونِي وَلَا تَعْرِفُونَ أَبِي، وَلَوْ عَرَفْتُمُونِي
لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا.»

قَالَ هَذَا الْكَلَامَ عِنْدَ الْخِزَانَةِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ، فَلَمْ يُمَسِّكْهُ
أَحَدٌ لِأَنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَكُنْ قَدْ جَاءَتْ.

يسوع ينذر اليهود

فَقَالَ لَهُمْ ثَانِيَةً:

«أَنَا ذَاهِبٌ

سَتَطْلُبُونِي

وَمَعَ ذَلِكَ تَمُوتُونَ فِي خَطِيئَتِكُمْ.

وَحَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ

فَأَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا».

فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَتَرَاهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ؟ فَقَدْ قَالَ: حَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ فَأَنْتُمْ

لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا».

قَالَ لَهُمْ:

«أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلَ، وَأَنَا مِنْ عَلٍ.

أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ

وَأَنَا لَسْتُ مِنْ الْعَالَمِ هَذَا.

لِذَلِكَ قُلْتُ لَكُمْ:

سَتَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ

فَإِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِأَنِّي أَنَا هُوَ

تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ».

فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟»

فَقَالَ يَسُوعُ:

«أنا ما أقوله لكم منذُ بدءِ الأمرِ .

عندي في شأنِكُم أشياءٌ كثيرة

أقولها وأحْكُمُ فيها .

على أنَّ الَّذي أرسلَنِي صادق

وما سمعته منه أقوله للعالمِ» .

فلَم يفهموا أَنَّهُ كَلَّمَهُم على الآب .

فقالَ لهم يسوع :

«متى رفَعْتُم ابْنَ الإنسانِ

عرَفْتُم أَنِّي أنا هو

وَأني لا أعملُ شيئاً منِ عِندي

بل أقولُ ما علَّمَنِي الآب .

إِنَّ الَّذي أرسلَنِي هو معي

لَم يتركْنِي وِحدِي

لأنِّي أعملُ دائماً أبداً ما يُرضيه» .

وبينما هو يتكلمُ بذلكَ، آمَنَ به خُلُقٌ كثير .

يسوع وإبراهيم

فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به:

«إن ثبتُّم في كلامي

كنتم تلاميذي حقًّا

تعرفون الحقَّ

والحقُّ يُحرِّركم».

أجابوه: «نحن نسلُّ إبراهيم، لم نكن يوماً عبيداً لأحد! فكيف
تقول: ستصيرون أحراراً؟»

أجابهم يسوع:

«الحقَّ الحقَّ أقول لكم:

«كلُّ من يرتكبُ الخطيئة

يكونُ عبداً للخطيئة.

والعبدُ لا يُقيمُ في البيتِ دائماً أبداً

بل الابنُ يُقيمُ فيه للأبد.

فإذا حرَّركم الابنُ

كنتم أحراراً حقًّا.

أَنَا أَعْلَمُ أَنَّكُمْ نَسَلُ إِبْرَاهِيمَ

وَلَكِنَّكُمْ تُرِيدُونَ قَتْلِي

لَأَنَّ كَلَامِي لَا يَجِدُ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا.

أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي

وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ بِمَا سَمِعْتُمْ مِنْ أَبِيكُمْ».

أَجَابُوهُ: «إِنَّ أَبَانَا هُوَ إِبْرَاهِيمَ».

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:

«لَوْ كُنْتُمْ أَبْنَاءَ إِبْرَاهِيمَ

لَعَمِلْتُمْ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ.

وَلَكِنَّكُمْ تُرِيدُونَ الْآنَ قَتْلِي، أَنَا الَّذِي قَالَ لَكُمْ الْحَقَّ الَّذِي سَمِعْتُمْهُ

مِنَ اللَّهِ، وَذَلِكَ عَمَلٌ لَمْ يَعْمَلْهُ إِبْرَاهِيمَ.

أَنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ أَبِيكُمْ».

قَالُوا لَهُ: «نَحْنُ لَمْ نُوَلِّدْ لِرَبِّنَا، وَلَنَا أَبٌ وَاحِدٌ هُوَ اللَّهُ». فَقَالَ لَهُمْ

يَسُوعُ:

«لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَأَحْبَبْتُمُونِي

لَأَنِّي مِنَ اللَّهِ خَرَجْتُ وَأَتَيْتُ».

وما أتيتُ من نفسي

بل هو الذي أرسلني.

لماذا لا تفهمون ما أقول؟

لأنكم لا تطيقون الاستماع

إلى كلامي.

أنتم أولاد أبيكم إبليس

تريدون إتمام شهوات أبيكم.

كان منذ البدء قتالاً للناس

ولم يثبت على الحق

لأنه ليس فيه شيء من الحق.

فإذا تكلم بالكذب تكلم بما عنده

لأنه كذابٌ وأبو الكذب.

أما أنا فلأني أقول الحق لا تؤمنون بي.

من منكم يثبت عليّ خطيئة؟

فإذا كنت أقول الحق

فلماذا لا تؤمنون بي؟

مَنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ اسْتَمَعَ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ.

فَإِذَا كُنْتُمْ لَا تَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ

فَلَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ.»

أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «أَلَسْنَا عَلَى صَوَابٍ فِي قَوْلِنَا إِنَّكَ سَامِرِيٌّ، وَإِنَّ بَكَ مَسًّا مِنَ الشَّيْطَانِ؟»

أَجَابَ يَسُوعُ:

«لَيْسَ بِي مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَلَكِنِّي أَكْرَمُ أَبِي

وَأَنْتُمْ تُهِينُونِي.

أَنَا لَا أَطْلُبُ مَجْدِي

فَهُنَاكَ مَنْ يَطْلُبُهُ وَيَحْكُمُ.

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ:

مَنْ يَحْفَظُ كَلَامِي

لَا يَرِ الْمَوْتَ أَبَدًا.»

قَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «الآنَ عَرَفْنَا أَنَّ بَكَ مَسًّا مِنَ الشَّيْطَانِ. مَاتَ إِبْرَاهِيمُ وَمَاتَ الْأَنْبِيَاءُ، وَأَنْتَ تَقُولُ: مَنْ يَحْفَظُ كَلَامِي لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ

أَبَدًا. أَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي مَاتَ؟ وَقَدْ مَاتَ الْأَنْبِيَاءُ أَيْضًا.
مَنْ تَجْعَلُ نَفْسَكَ؟»

أَجَابَ يَسُوعُ:

«لَوْ مَجَّدْتُ نَفْسِي لَكَانَ مَجْدِي بَاطِلًا

وَلَكِنَّ أَبِي هُوَ الَّذِي يُمَجِّدُنِي

ذَلِكَ الَّذِي تَقُولُونَ أَنْتُمْ: هُوَ إِلَهُنَا.

أَنْتُمْ لَمْ تَعْرِفُوهُ: أَمَّا أَنَا فَأَعْرِفُهُ.

وَلَوْ قُلْتُ إِنِّي لَا أَعْرِفُهُ.

لَكُنْتُ مِثْلَكُمْ كَاذِبًا.

وَلَكِنِّي أَعْرِفُهُ وَأَحْفَظُ كَلِمَتَهُ.

إِبْتَهَجَ أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمَ

رَاجِيًا أَنْ يَرَى يَوْمِي

وَرَأَهُ فَفَرِحَ.»

قَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «أَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا بَلَغَتْ الْخَمْسِينَ؟»

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:

«الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمَ، أَنَا هُوَ.»

فَأَخَذُوا حِجَارَةً لِيَرْمُوهُ بِهَا، فَتَوَارَى يَسُوعُ وَخَرَجَ مِنَ الْهَيْكَلِ.

العشاء الأخير

قَبْلَ عِيدِ الْفِصْحِ، كَانَ يَسُوعُ يَعْلَمُ بَأَن قَدْ أَتَتْ سَاعَةُ انْتِقَالِهِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ إِلَى أَبِيهِ، وَكَانَ قَدْ أَحَبَّ خَاصَّتَهُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ، فَبَلَغَ بِهِ الْحُبُّ لَهُمْ إِلَى أَقْصَى حُدُودِهِ. وَفِي أَثْنَاءِ الْعِشَاءِ، وَقَدْ أَلْقَى إِبْلِيسُ فِي قَلْبِ يَهُوذَا بْنِ سَمْعَانَ الْإِسْخَرِيوطِيَّ أَنَّ يُسَلِّمَهُ، وَكَانَ يَسُوعُ يَعْلَمُ أَنَّ الْآبَ جَعَلَ فِي يَدَيْهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ خَرَجَ مِنَ اللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ يَمْضِي، فَقَامَ عَنِ الْعِشَاءِ فَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مَنَدِيلًا فَاتَّزَرَ بِهِ، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مَطْهَرَةٍ وَأَخَذَ يَغْسِلُ أَقْدَامَ التَّلَامِيذِ، وَيَمْسَحُهَا بِالْمَنَدِيلِ الَّذِي اتَّزَرَ بِهِ. فَجَاءَ إِلَى سَمْعَانَ بُطْرُسَ فَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ، يَا رَبُّ، تَغْسِلُ قَدَمَيَّ؟» أَجَابَهُ يَسُوعُ: «مَا أَنَا فَاعِلٌ، أَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ الْآنَ، وَلَكِنَّكَ سَتُدْرِكُهُ بَعْدَ حِينٍ». قَالَ لَهُ بُطْرُسُ: «لَنْ تَغْسِلَ قَدَمَيَّ أَبَدًا». أَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِذَا لَمْ أَغْسِلِكَ فَلَا نَصِيبَ لَكَ مَعِي». فَقَالَ لَهُ سَمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبُّ، لَا قَدَمَيَّ فَقَطْ، بَلْ يَدَيَّ وَرَأْسِي أَيْضًا». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «مَنْ اسْتَحَمَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَّا إِلَى غَسْلِ قَدَمَيْهِ، فَهُوَ كُلُّهُ طَاهِرٌ. وَأَنْتُمْ أَيْضًا أَطْهَارُ، وَلَكِنْ لَا كُلُّكُمْ». فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ مَنْ سَيُسَلِّمُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ: لَسْتُ كُلُّكُمْ أَطْهَارًا. فَلَمَّا غَسَلَ أَقْدَامَهُمْ لَبَسَ ثِيَابَهُ وَعَادَ إِلَى الْمَائِدَةِ فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْفَهُمُونَ مَا صَنَعْتُ إِلَيْكُمْ؟

أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي «الْمُعَلِّمَ وَالرَّبَّ» وَأَصَبْتُمْ فِيمَا تَقُولُونَ، فَهَكَذَا أَنَا. فَإِذَا كُنْتُ أَنَا الرَّبُّ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَقْدَامَكُمْ، فَيَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَقْدَامَ بَعْضٍ. فَقَدْ جَعَلْتُ لَكُمْ مِنْ نَفْسِي قُدُورَةً لِتَصْنَعُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مَا صَنَعْتُ إِلَيْكُمْ.

الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:

مَا كَانَ الْخَادِمُ أَعْظَمَ مِنْ سَيِّدِهِ
وَلَا كَانَ الرَّسُولُ أَعْظَمَ مِنْ مُرْسِلِهِ.

أَمَّا وَقَدْ عَلِمْتُمْ هَذَا

فَطُوبَى لَكُمْ إِذَا عَمَلْتُمْ بِهِ.

يسوع ينبئ بخيانة يهوذا

لَا أَقُولُ هَذَا فِيكُمْ جَمِيعًا، فَأَنَا أَعْرِفُ الَّذِينَ اخْتَرْتُهُمْ ، وَلَكِنْ لِأَبَدٍ
أَنْ يَتِمَّ مَا كُتِبَ:

أَنَّ الْأَكْلَ خُبْزِي رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ.

مُنْذُ الْآنَ أَكَلْتُكُمْ بِالْأَمْرِ

قَبْلَ حُدُوثِهِ

حَتَّى إِذَا حَدَّثَ تَوَّامِنُونَ بَأَنِّي أَنَا هُوَ

الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ:

مَنْ قَبْلَ الَّذِي أُرْسِلُهُ قَبْلَنِي أَنَا

وَمَنْ قَبْلَنِي قَبْلَ الَّذِي أُرْسِلَنِي.

قَالَ يَسُوعُ هَذَا فَاضْطَرَبَتْ نَفْسُهُ فَأَعْلَنَ قَالَ:

«الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ:

إِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ سَيُسَلِّمُنِي».

فَنَظَرَ التَّلَامِيذُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَائِرِينَ لَا يَدْرُونَ عَلَى مَنْ يَتَكَلَّمُ. وَكَانَ أَحَدُ تَلَامِيذِهِ، وَهُوَ الَّذِي أَحَبَّهُ يَسُوعُ، مُتَّكِنًا إِلَى جَانِبِ يَسُوعَ، فَأَوْمَأَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: «سَلِّهُ عَلَيَّ مَنْ يَتَكَلَّمُ». فَمَالَ دُونَ تَكَلُّفٍ عَلَى صَدْرِ يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ: «يَا رَبِّ، مَنْ هُوَ؟». فَأَجَابَ يَسُوعُ: «هُوَ الَّذِي أَنَاؤُلَهُ اللَّقْمَةَ الَّتِي أَغْمَسْتُهَا». فَغَمَسَ اللَّقْمَةَ وَرَفَعَهَا وَنَاوَلَهَا يَهُوذَا بْنَ سِمْعَانَ الْإِسْخَرِيوُطِيِّ. فَمَا إِنِ أَخَذَ اللَّقْمَةَ حَتَّى دَخَلَ فِيهِ الشَّيْطَانُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «إِفْعَلْ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ وَعَجِّلْ». فَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنَ الَّذِينَ عَلَى الطَّعَامِ لِمَاذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ، وَلَمَّا كَانَ صُنْدُوقُ الدَّرَاهِمِ عِنْدَ يَهُوذَا، ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ يَسُوعَ قَالَ لَهُ: اشْتَرِ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِلْعِيدِ، أَوْ أَمْرَهُ بِأَنْ يُعْطِيَ الْفُقَرَاءَ شَيْئًا. فَتَنَاوَلَ اللَّقْمَةَ إِذَا وَخَرَجَ مِنْ وَقْتِهِ، وَكَانَ قَدْ أَظْلَمَ اللَّيْلُ.

فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ يَسُوعُ:

«الآن مُجَدِّدَ ابْنِ الْإِنْسَانِ

وَمُجَدِّدَ اللَّهِ فِيهِ

وَإِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ مُجَدِّدَ فِيهِ

فَسَيُجَدِّدُهُ اللَّهُ فِي ذَاتِهِ

وَبَعْدَ قَلِيلٍ يُجَدِّدُهُ.

الوداع

يَا بَنِيَّ، لَسْتُ بِأَقِيًّا مَعَكُمْ

إِلَّا وَقْتًا قَلِيلًا،

فَسَتَطْلُبُونِي

وَمَا قَلْتُهُ لِلْيَهُودِ أَقُولُهُ الْآنَ لَكُمْ أَيْضًا:

حَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ

لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَأْتُوا.

أَعْطَيْكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً:

أَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

كَمَا أَحْبَبْتُمْكُمْ

أَحِبُّوا أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.

إِذَا أَحَبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

عَرَفَ النَّاسُ جَمِيعًا

أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي.»

فَقَالَ لَهُ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «يَا رَبِّ، إِلَى أَيِّنَ تَذْهَبُ؟» أَجَابَ يَسُوعُ:
«إِلَى حَيْثُ أَنَا ذَاهِبٌ لَا تَسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ تَتَّبَعَنِي، وَلَكِنْ سَتَتَّبَعُنِي بَعْدَ

حين». قال له بطرس: «لماذا لا أستطيع أن أتبعك الآن؟ لأبذلن نفسي في سبيلك».

أجاب يسوع: «أتبذل نفسك في سبيلي؟ الحق الحق أقول لك: لا يصيح الديك إلا وقد أنكرتني ثلاث مرات.

لا تضطرب قلوبكم.

إنكم تؤمنون بالله فآمنوا بي أيضاً

في بيت أبي منازل كثيرة

ولو لم تكن، أتراني قلت لكم

إني ذاهب لأعد لكم مقاماً؟

وإذا ذهب وأعدت لكم مقاماً

أرجع فأخذكم إليّ

لتكونوا أنتم أيضاً حيث أنا أكون.

أنتم تعرفون الطريق

إلى حيث أنا ذاهب».

قال له توما: «يا رب، إننا لا نعرف إلى أين تذهب، فكيف نعرف الطريق؟»

قال له يسوع:

«أنا الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ.

لَا يَمْضِي أَحَدٌ إِلَى الْآبِ إِلَّا بِي.

فَلَوْ كُنْتُمْ تَعْرِفُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا. مُنْذُ الْآنَ تَعْرِفُونَهُ وَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ».

قال له فيلبس: «يا رب، أرنا الآبَ وَحَسْبُنَا».

قال له يسوع:

«إِنِّي مَعَكُمْ مُنْذُ وَقْتِ طَوِيلٍ، أَفَلَا تَعْرِفُونِي، يَا فِيلِبُّسُ؟

مَنْ رَأَى رَأَى الْآبَ. فَكَيْفَ تَقُولُ: أَرْنَا الْآبَ؟ أَلَا تُؤْمِنُ بِأَنِّي فِي الْآبِ وَأَنَّ الْآبَ فِيَّ؟

إِنَّ الْكَلَامَ الَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ

لَا أَقُولُهُ مِنْ عِنْدِي

بَلِ الْآبِ الْمُقِيمِ فِيَّ يِعْمَلُ أَعْمَالَهُ.

صَدَّقُونِي: إِنِّي فِي الْآبِ وَإِنَّ الْآبَ فِيَّ.

وَإِذَا كُنْتُمْ لَا تُصَدِّقُونِي

فَصَدِّقُوا مِنْ أَجْلِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ.

الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ:

مَنْ آمَنَ بِي

يَعْمَلُ هُوَ أَيْضًا الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْمَلُهَا أَنَا

بَلْ يَعْمَلُ أَعْظَمَ مِنْهَا

لَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ

فَكُلُّ شَيْءٍ سَأَلْتُمْ بِاسْمِي أَعْمَلُهُ

لِكِي يُمَجِّدَ الْآبُ فِي الْإِبْنِ.

إِذَا سَأَلْتُمُونِي شَيْئًا بِاسْمِي، فَإِنِّي أَعْمَلُهُ.

إِذَا كُنْتُمْ تُحِبُّونِي، حَفِظْتُمْ وَصَايَايَ.

وَأَنَا سَأَسْأَلُ الْآبَ

فِيهِبُ لَكُمْ مُؤَيِّدًا آخَرَ

يَكُونُ مَعَكُمْ لِلْأَبَدِ

رُوحَ الْحَقِّ

الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَتَلَقَّاهُ

لَأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ.

أَمَّا أَنْتُمْ فَتَعَلَّمُونَ

أَنَّهُ يُقِيمُ عِنْدَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ.
لَنْ أَدْعَكُمْ يَتَامَى، فَإِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكُمْ.
بَعْدَ قَلِيلٍ لَنْ يَرَانِي الْعَالَمُ.
أَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَرُونَنِي لِأَنِّي حَيٌّ
وَلَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَتَحْيُونَ.
إِنَّكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَعْرِفُونَ
أَنِّي فِي أَبِي
وَأَنَّكُمْ فِيَّ وَأَنِّي فِيكُمْ.
مَنْ تَلَقَى وَصَايَايَ وَحَفِظَهَا
فَذَاكَ الَّذِي يُحِبُّنِي
وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي
وَأَنَا أَيْضًا أُحِبُّهُ فَأُظْهِرُ لَهُ نَفْسِي.»
قَالَ لَهُ يَهُودًا، غَيْرُ الْإِسْخَرِيوطِيِّ:
«يَا رَبِّ، مَا الْأَمْرُ حَتَّى إِنَّكَ تُظْهِرُ نَفْسَكَ لَنَا وَلَا تُظْهِرُهَا لِلْعَالَمِ؟»
أَجَابَهُ يَسُوعُ:
«إِذَا أَحْبَبَنِي أَحَدٌ

حَفِظْ كَلَامِي فَأَحَبَّهُ أَبِي
وَنَاتِي إِلَيْهِ فَجَعَلْ لَنَا عِنْدَهُ مَقَامًا .
وَمَنْ لَا يُحِبُّنِي لَا يَحْفَظُ كَلَامِي .
وَالكَلِمَةُ الَّتِي تَسْمَعُونَهَا لَيْسَتْ كَلِمَتِي
بَلْ كَلِمَةُ الْآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي .
قُلْتُ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَأَنَا مُقِيمٌ عِنْدَكُمْ
وَلَكِنَّ الْمُؤَيَّدَ، الرُّوحَ الْقُدُسَ
الَّذِي يُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي
هُوَ يُعَلِّمُكُمْ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ
وَيُذَكِّرُكُمْ جَمِيعَ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ .
السَّلَامَ أَسْتَوْدِعُكُمْ
وَسَلَامِي أُعْطِيكُمْ .
لَا أُعْطِي أَنَا كَمَا يُعْطِي الْعَالَمَ .
فَلَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَفْزَعْ .
سَمِعْتُمُونِي أَقُولُ لَكُمْ : أَنَا ذَاهِبٌ
ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَيْكُمْ .

لو كُنْتُمْ تُحِبُّونِي
لَفَرِحْتُمْ بَأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى الْآبِ
لَأَنَّ الْآبَ أَعْظَمُ مِنِّي.
لَقَدْ أَنبَأْتُكُمْ مُنْذُ الْآنَ بِالْأَمْرِ قَبْلَ حُدُوثِهِ
حَتَّى إِذَا حَدَّثْتُ تَوَّامِنُونَ.
لَنْ أُطِيلَ الْكَلَامَ عَلَيْكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَأَنَّ سَيِّدَ هَذَا الْعَالَمِ آتٍ
وَلَيْسَ لَهُ يَدٌ عَلَيَّ.
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِيَعْرِفَ الْعَالَمُ
أَنِّي أَحِبُّ الْآبَ
وَأَنِّي أَعْمَلُ كَمَا أَوْصَانِي الْآبُ.
قَوْمُوا نَذْهَبُ مِنْ هَهْنَا.

يسوع عند بيلاطس

وساقوا يسوع من عند قيافا إلى دار الحاكم. وكان ذلك عند
الفجر، فلم يدخلوا دار الحاكم مخافة أن يتنجسوا فلا يتمكنوا من أكل
الفصح. فخرج إليهم بيلاطس وقال: «بماذا تتهمون هذا الرجل؟»

فأجابوه: «لو لم يكن فاعل شرٍّ لما أسلمناه إليك». فقال لهم بيلاطس: «خذوه أنتم فحاكموه بحسب شريعتكم». قال له اليهود: «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً». بذلك تمَّ الكلام الذي قاله يسوع مُشيراً إلى الميتة التي سيموتها.

فعاد بيلاطس إلى دار الحاكم، ثمَّ دعا يسوع وقال له: «أأنت ملك اليهود؟» أجاب يسوع: «أمن عندك تقول هذا أم قاله لك في آخرون؟» أجاب بيلاطس: «أتراني يهودياً؟ إنَّ أمتك وعظماء الكهنة أسلموك إليَّ. ماذا فعلت؟»

أجاب يسوع:

«ليست مملكتي من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم لدافع عني حرسى

لكي لا أسلم إلى اليهود.

ولكن مملكتي ليست من ههنا».

فقال له بيلاطس: «فأنت ملك إذن!»

أجاب يسوع:

«هو ما تقول، فإنني ملك.

وأنا ما وُلدتُ وأتيتُ العالم

إلا لأشهد للحقّ.

فَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنَ الْحَقِّ

يُصْغِي إِلَى صَوْتِي.»

قَالَ لَهُ بِيلاطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ»

قَالَ ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ ثَانِيَةً إِلَى الْيَهُودِ فَقَالَ لَهُمْ: «إِنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ سَبَبًا لِاتِّهَامِهِ. وَلَكِنْ جَرَّتِ الْعَادَةُ عِنْدَكُمْ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ أَحَدًا فِي الْفِصْحِ. أَفْتَرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟» فَعَادُوا إِلَى الصِّيَاحِ: «لَا هَذَا، بَلْ بَرَّابَّا!». وَكَانَ بَرَّابَّا لُصًّا.

فَأَخَذَ بِيلاطُسُ يَسُوعَ وَجَلَدَهُ. ثُمَّ ضَمَرَ الْجُنُودُ إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً أَرْجَوَانِيًّا، وَأَخَذُوا يَدُونَهُ مِنْهُ فَيَقُولُونَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَكَانُوا يَلْطِمُونَهُ.

وَخَرَجَ بِيلاطُسُ ثَانِيًا وَقَالَ لَهُمْ: «هَا إِنِّي أُخْرِجُهُ إِلَيْكُمْ لِتَعْلَمُوا أَنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ سَبَبًا لِاتِّهَامِهِ.»

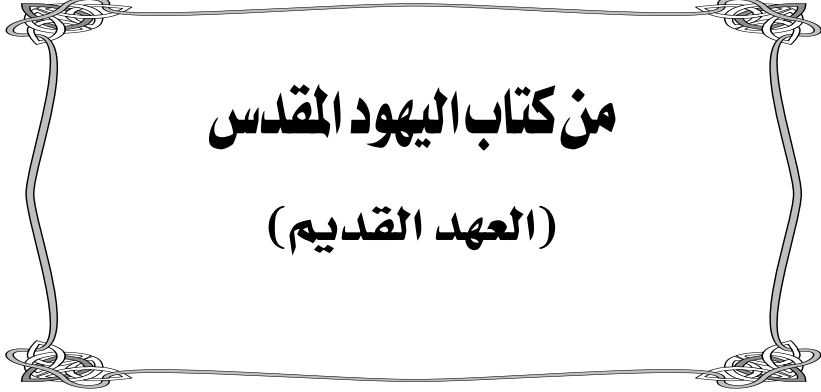
فَخَرَجَ يَسُوعُ وَعَلَيْهِ إِكْلِيلُ الشَّوْكِ وَالرِّدَاءُ الْأَرْجَوَانِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ: «هَا هُوَذَا الرَّجُلُ!» فَلَمَّا رَأَى عُظْمَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْحَرَسَ صَاحُوا: «اصْلِبْهُ! اصْلِبْهُ!» قَالَ لَهُمْ بِيلاطُسُ «خُذُوهُ أَنْتُمْ فَاصْلِبُوهُ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ فِيهِ سَبَبًا لِاتِّهَامِهِ.» أَجَابَهُ الْيَهُودُ: «لَنَا شَرِيعَةٌ، وَبِحَسَبِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللَّهِ.»

فَلَمَّا سَمِعَ بِيلاطُسُ هَذَا الْكَلَامَ اشْتَدَّ خَوْفُهُ. فَعَادَ إِلَى دَارِ الْحُكُومَةِ وَقَالَ لِيَسُوعَ: «مِنْ أَيْنَ أَنْتَ؟» فَلَمْ يُجِبْهُ يَسُوعُ بِشَيْءٍ. فَقَالَ لَهُ

بيلاطس: «ألا تكلمني؟ أفلم تستعلم أن لي سلطاناً على أن أخلي سبيلاً. وسلطاناً على أن أصليبك؟» أجابه يسوع: «لو لم تعط السلطان من عل، لما كان لك علي من سلطان، ولذلك فالذي أسلمني إليك عليه خطيئة كبيرة».

الحكم على يسوع بالموت

فحاول بيلاطس من ذلك الحين أن يخلي سبيله، ولكن اليهود صاحوا: «إن أخليت سبيله، فلست صديقاً لقيصر، لأن كل من يجعل نفسه ملكاً يخرج على قيصر». فلما سمع بيلاطس هذا الكلام، أمر بإخراج يسوع، وأجلسه على كرسي القضاء في مكان يسمى البلاط ويقال له بالعبرية غباشة. وكان ذلك اليوم يوم تهيئة الفصح، والساعة تقارب الظهر. فقال لليهود: «ها هوذا ملككم!» فصاحوا: «أعدمه! أعدمه! اصليه!» قال لهم بيلاطس: «أأصيب ملككم؟» أجاب عظماء الكهنة: «لا ملك علينا إلا قيصر!» فأسلمه إليهم ليصلب.



من كتاب اليهود المقدس
(العهد القديم)

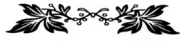
ورد في «مدخل إلى الكتاب المقدس لدى اليهود (العهد القديم)»

ما يلي:

«... ما هو الكتاب المقدس ؟ إنه «مكتبة» ، بل مجموعة كتب مختلفة جداً. وإنّ رجعنا إلى مداخل هذه الكتب، تأكدّ هذا الانطباع ، ذلك أنها تمتدّ على أكثر من عشرة قرون، وتتسب إلى عشرات من المؤلفين المختلفين . بعضها وضع بالعبرية (مع بعض المقاطع بالآرامية) وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشدّ الفنون الأدبية اختلافاً، كالرواية التاريخية ومجموعة القوانين والوعظ والصلاة والقصيدة الشعرية والرسالة والقصة.»

مقتطفات من سفر الأخبار

شريعة القداسة⁽¹⁾



المحرّمات الجنسية

كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «خَاطِبْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. كَصَنِّعَ أَرْضِ مِصْرَ الَّتِي أَقَمْتُمْ فِيهَا لَا تَصْنَعُوا، وَكَصَنِّعِ أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أَنَا مُدْخِلُكُمْ إِلَيْهَا لَا تَصْنَعُوا، وَعَلَى فَرَائِضِهِمْ لَا تَسِيرُوا. اِعْمَلُوا بِأَحْكَامِي وَاحْفَظُوا فَرَائِضِي وَسِيرُوا عَلَيْهَا. أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ، فَاحْفَظُوا فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي. فَمَنْ حَفِظَهَا يَحْيَا بِهَا: أَنَا الرَّبُّ.»

لَا يَقْتَرِبُ أَيُّ رَجُلٍ مِنْ ذَاتِ قَرَابَتِهِ لِكَشْفِ عَوْرَتِهَا: أَنَا الرَّبُّ. عَوْرَةَ أَبِيكَ وَعَوْرَةَ أُمَّكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا أُمَّكَ، فَلَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. وَعَوْرَةَ زَوْجَةِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ، فَإِنَّهَا عَوْرَةُ أَبِيكَ. وَعَوْرَةَ أُخْتِكَ، ابْنَةَ أَبِيكَ كَانَتْ أَوْ ابْنَةَ أُمَّكَ، مَوْلُودَةً فِي الْبَيْتِ كَانَتْ أَوْ فِي خَارِجِهِ، لَا تَكْشِفُ. وَعَوْرَةَ بِنْتِ ابْنِكَ أَوْ بِنْتِ ابْنَتِكَ لَا تَكْشِفُ، فَإِنَّهَا عَوْرَتُكَ. وَعَوْرَةَ بِنْتِ زَوْجَةِ أَبِيكَ الْمَوْلُودَةِ مِنْ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ، إِنَّهَا أُخْتُكَ، فَلَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. وَعَوْرَةَ أُخْتِ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ، فَإِنَّهَا ذَاتُ قَرَابَةٍ لِأَبِيكَ. وَعَوْرَةَ أُخْتِ أُمَّكَ لَا تَكْشِفُ، فَإِنَّهَا ذَاتُ قَرَابَةٍ لِأُمَّكَ. وَعَوْرَةَ عَمَّتِكَ لَا تَكْشِفُ وَإِلَى امْرَأَتِهِ لَا تَقْتَرِبُ، فَإِنَّهَا عَمَّتُكَ. وَعَوْرَةَ كَنَّتِكَ لَا تَكْشِفُ، إِنَّهَا زَوْجَةُ ابْنِكَ فَلَا

(1) مقتطفات من سفر الأخبار .

تَكْشِفَ عَوْرَتَهَا. وَعَوْرَةَ زَوْجَةِ أَخِيكَ لَا تَكْشِفُ، فَإِنَّهَا عَوْرَةُ أَخِيكَ. وَعَوْرَةَ امْرَأَةِ أَبِيكَ وَابْنَتِهَا لَا تَكْشِفُ، وَلَا تَتَّخِذُ ابْنَةَ ابْنِهَا وَلَا ابْنَةَ ابْنَتِهَا لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا، فَهِنَّ ذَوَاتُ قَرَابَتِكَ: إِنَّهَا فَاحِشَةٌ. وَامْرَأَةٌ مَعَ أُخْتِهَا لَا تَتَّخِذُ لِتَكُونَ ضَرَّتَهَا فَتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا وَهِيَ حَيَّةٌ. وَإِلَى امْرَأَةٍ فِي نَجَاسَةٍ طَمَثِهَا لَا تَقْتَرِبُ لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا. وَمَعَ زَوْجَةِ قَرِيبِكَ لَا يَكُنْ لَكَ عِلَاقَاتٌ جِنْسِيَّةٌ وَلَا تَتَّجَسَّ بِهَا.

لَا تُعْطِ مِنْ نَسْلِكَ مُحْرَقَةً لِمَوْلِكَ، وَلَا تُدْنِسُ اسْمَ إِلَهِكَ: أَنَا الرَّبُّ. وَالذَّكَرُ لَا تُضَاجَعُهُ مُضَاجَعَةَ النِّسَاءِ: إِنَّهَا قَبِيحَةٌ. وَمَعَ أَيَّةِ بَهِيمَةٍ لَا يَكُنْ لَكَ عِلَاقَاتٌ جِنْسِيَّةٌ، وَلَا تَتَّجَسَّ بِهَا. وَلَا تَقِفِ امْرَأَةً أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِتَسْفِدَهَا: إِنَّهَا فَاحِشَةٌ.

لَا تَتَّجَسَّوْا بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ، فَإِنَّهُ بِمِثْلِهَا تَتَّجَسَّتِ الْأُمَّمُ الَّتِي أَنَا طَارِدُهَا مِنْ أَمَامِكُمْ. تَتَّجَسَّتِ الْأَرْضُ فَافْتَقَدَتْ إِثْمَهَا وَتَقَيَّاتِ الْأَرْضِ سُكَّانَهَا. فَاحْفَظُوا أَنْتُمْ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، وَلَا تَصْنَعُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِحِ، لَا ابْنُ الْبَلَدِ وَلَا النَّزِيلُ الْمُقِيمُ فِي وَسْطِكُمْ. فَإِنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْقَبَائِحِ صَنَعَهَا أَهْلُ الْأَرْضِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، فَتَتَّجَسَّتِ الْأَرْضُ. لَكِنَّ الْأَرْضَ لَا تَتَّقِيكُمْ إِذَا نَجَسْتُمُوهَا، كَمَا تَقَيَّاتِ الْأُمَّمُ الَّتِي مِنْ قَبْلِكُمْ. لِأَنَّ مَنْ ارْتَكَبَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْقَبَائِحِ، تُفْصَلُ تِلْكَ النُّفُوسُ الْمُرْتَكِبَةُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِهَا. فَاحْفَظُوا أَحْكَامِي لِئَلَّا تَصْنَعُوا شَيْئًا مِنَ الْمُمَارَسَاتِ الْقَبِيحَةِ الَّتِي صُنِعَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ، وَلَا تَتَّجَسَّوْا بِهَا: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ».

أحكام في الأخلاق والعبادة :

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «مُرَّ كُلَّ جَمَاعَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: كُونُوا قَدِيسِينَ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ قُدُّوسٌ. لِيَهَبَ كُلُّ إِنْسَانٍ أُمَّهَ وَأَبَاهُ. وَاحْفَظُوا سُبُوتِي: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ. لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى الْآلِهَةِ الْمَعْدُومَةِ، وَالْهَةِ مَسْبُوكَةً لَا تَصْنَعُوا لَكُمْ: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

وَإِذَا ذَبَحْتُمْ ذَبِيحَةً سَلَامِيَّةً لِلرَّبِّ، فَعَلَى مَا يُرِضِي بِهِ عَنْكُمْ تَذْبَحُونَهَا. وَفِي يَوْمِ ذَبْحِكُمْ لَهَا تُؤْكَلُ وَفِي غَدِهِ أَيْضًا، وَمَا بَقِيَ إِلَى الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فليُحْرَقَ بِالنَّارِ. وَإِنْ أَكَلَ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، فَهِيَ قَبِيحَةٌ، وَلَا تَكُونُ مَرْضِيَّةً. وَمَنْ أَكَلَ مِنْهَا فَقَدْ حَمَلَ وَزْرَهُ، لِتَدْنِيَسَهُ قُدْسَ الرَّبِّ، فَتُفْصَلُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ شَعْبِهَا.

وَإِذَا حَصَدْتُمْ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ، فَلَا تَذْهَبْ فِي الْحِصَادِ إِلَى أَطْرَافِ حَقْلِكَ، وَلُقَاطِ حَصِيدِكَ لَا تَلْقُطْ. وَلَا تَعُدْ إِلَى فَضَلَاتِ كَرْمِكَ، وَلُقَاطِ كَرْمِكَ لَا تَلْقُطْ، بَلِ اتْرُكْ ذَلِكَ لِلْمَسْكِينِ وَالنَّزِيلِ، أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

لَا تَسْرِقُوا وَلَا تَكْذِبُوا وَلَا يَخْدَعْ أَحَدٌ قَرِيبَهُ. وَلَا تَحْلِفُوا بِاسْمِي كَذِبًا، فَتُدْنَسَ اسْمُ إِلَهِي: أَنَا الرَّبُّ. لَا تَظْلِمَ قَرِيبَكَ وَلَا تَسْلِبْهُ، وَلَا تُبِتْ أُجْرَةَ الْأَجِيرِ عِنْدَكَ إِلَى الْغَدِ. لَا تَلْعَنِ الْأَصَمَّ، وَأَمَامَ الْأَعْمَى لَا تَضَعْ مَعْتَرَةً، وَاتَّقِ إِلَهِي: أَنَا الرَّبُّ.

لَا تَجُورُوا فِي الْحُكْمِ، وَلَا تُحَابِ وَجْهَ الْفَقِيرِ وَلَا تُكْرِمُ وَجْهَ

العظيم، بل بالعدل تحكّم لقريبك. ولا تسع بالنميمة بين شعبك، ولا تطالب بدم قريبك: أنا الرب. لا تبغض أخاك في قلبك، بل عاتب قريبك عتاباً، فلا تحمل خطيئة بسببه. لا تتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، وأحب قريبك حبك لنفسك: أنا الرب.

احفظوا فرائضي. بهائمك لا تسفدها من نوعين، وحقلك لا تزرعه من صنفين، وثوباً منسوجاً من صنفين لا تلبس.

وأي رجل ضاجع امرأة وهي أمة مخطوبة لرجل لم تقد بفيديّة ولم تعتق، فتأديب، ولكن لا يقتلان، لأنها لم تعتق. وليأت بذبيحة إثمه للرب، إلى باب خيمة الموعد، أي بكبش ذبيحة إثم. فيكفر عنه الكاهن بكبش ذبيحة الإثم أمام الرب خطيئته التي خطئها، فتغفر له خطيئته التي خطئها.

وإذا دخلتم الأرض وغرستم كل شجر يؤكل، فاصنعوا بثمره صنيعكم بقلته: ثلاث سنين يكون لكم أقالف لا يؤكل منه، وفي السنة الرابعة يكون ثمره قدس ابتهاج للرب. وفي السنة الخامسة تأكلون ثمره لتزداد لكم غلته: أنا الرب الهكم.

لا تأكلوا شيئاً بدم، ولا تمارسوا العرافة ولا التنجيم. ولا تحلقوا رؤوسكم حلقاً مستديراً، ولا تقص أطراف لحيتك. وخدشاً من أجل ميت لا تضعوا في أبدانكم، وكتابة وسم لا تضعوا فيكم: أنا الرب.

لَا تُدْنَسُ ابْنَتُكَ بِجَعْلِهَا زَانِيَةً، كَيْلَا يَزْنِيَ أَهْلُ الْأَرْضِ، فَتَمْتَلِي
الْأَرْضُ فَوَاحِشًا.

إِحْفَظُوا سُبُوتِي وَتَهَيَّبُوا مَقْدِسِي: أَنَا الرَّبُّ.

لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى مُسْتَحْضِرِي الْأَرْوَاحِ، وَلَا تَقْصِدُوا الْعَرَافِينَ،
فَتَتَجَسَّسُوا بِهِمْ: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

فَمَّ قُدَّامَ الْأَشْيَبِ، وَكَرَّمْ وَجْهَ الشَّيْخِ، وَاتَّقِ إِلَهَكَ: أَنَا الرَّبُّ.

وَإِذَا نَزَلَ بِكُمْ نَزِيلٌ فِي أَرْضِكُمْ، فَلَا تَظْلِمُوهُ. وَلْيَكُنْ عِنْدَكُمْ النَّزِيلُ
الْمَقِيمِ فِيمَا بَيْنَكُمْ كَابْنِ بَلَدِكُمْ، تُحِبُّهُ حُبَّكَ لِنَفْسِكَ، لِأَنَّكُمْ كُنْتُمْ نُزُلَاءَ فِي
أَرْضِ مِصْرَ: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

لَا تَجُورُوا فِي الْحُكْمِ وَلَا فِي الْمِسَاحَةِ وَالْوَزْنِ وَالْكَيْلِ. بَلْ تَكُونُوا لَكُمْ
مَوَازِينُ عَادِلَةٌ وَعِيَارَاتٌ عَادِلَةٌ وَإِيفَةٌ عَادِلَةٌ وَهَيْئٌ عَادِلٌ: أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ
الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ.

فَاحْفَظُوا جَمِيعَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، وَاعْمَلُوا بِهَا: أَنَا الرَّبُّ.

عُقُوبَاتُ :

وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَيُّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَمِنْ النُّزُلَاءِ الْمَقِيمِينَ فِي إِسْرَائِيلَ أَعْطَى مِنْ نَسْلِهِ لِمَوْلَاكَ،
فَلْيُقْتَلْ قَتْلًا: يَرْجُمُهُ شَعْبُ الْأَرْضِ بِالْحِجَارَةِ. وَأَنَا أَنْقَلِبُ عَلَى ذَلِكَ

الرَّجُلِ وَأَفْصَلُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِهِ، لِأَنَّهُ أَعْطَى مِنْ نَسَلِهِ لِمَوْلِكَ فَنَجَّسَ مَقْدِسِي وَدَنَسَ اسْمِي الْقُدُّوسِ. وَإِنْ تَغَاضَى أَهْلُ الْأَرْضِ عَنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ فِي إِعْطَائِهِ مِنْ نَسَلِهِ لِمَوْلِكَ فَلَمْ يَقْتُلُوهُ، انْقَلَبْتُ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ وَعَلَى عَشِيرَتِهِ، وَفَصَلْتُهُمْ مِنْ وَسْطِ شَعْبِهِمْ، هُوَ وَجَمِيعَ مَنْ زَنَوْا مَعَهُ لِيَزْنُوا وَرَاءَ مَوْلِكَ.

وَأَيُّ إِنْسَانٍ التَفَتَ إِلَى مُسْتَحْضِرِي الْأَرْوَاحِ وَالْعَرَافِينَ لِيَزْنِي وَرَاءَهُمْ، انْقَلَبْتُ عَلَى ذَلِكَ الْإِنْسَانِ وَفَصَلْتُهُ مِنْ وَسْطِ شَعْبِهِ. فَتَقَدَّسُوا وَكُونُوا قَدِيسِينَ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ.

وَاحْفَظُوا فَرَائِضِي وَاعْمَلُوا بِهَا: أَنَا الرَّبُّ مُقَدِّسُكُمْ. أَيُّ رَجُلٍ لَعَنَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. فَلْيُقْتَلْ قَتْلًا. إِنَّهُ لَعَنَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ: دَمُهُ عَلَيْهِ. وَأَيُّ رَجُلٍ زَنَى بِامْرَأَةِ رَجُلٍ (الَّذِي يَزْنِي بِامْرَأَةِ قَرِيبِهِ)، فَلْيُقْتَلِ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ. وَأَيُّ رَجُلٍ ضَاجَعَ زَوْجَةَ أَبِيهِ، فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ، فَلْيُقْتَلَا كِلَاهُمَا: دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. وَأَيُّ رَجُلٍ ضَاجَعَ كَنَّتَهُ، فَلْيُقْتَلَا كِلَاهُمَا: إِنَّهُمَا صَنَعَا فَاحِشَةً، فَدَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. وَأَيُّ رَجُلٍ ضَاجَعَ ذَكَرًا مُضَاجَعَةَ النِّسَاءِ، فَقَدْ صَنَعَا كِلَاهُمَا قَبِيحَةً، فَلْيُقْتَلَا: دَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. وَأَيُّ رَجُلٍ اتَّخَذَ امْرَأَةً وَأُمَّهَا، فَتِلْكَ فَاحِشَةٌ، فَلْيُحْرَقْ هُوَ وَهِيَ بِالنَّارِ. فَلَا تَكُنْ فَاحِشَةً فِي وَسْطِكُمْ. وَأَيُّ رَجُلٍ جَامَعَ بَهِيمَةً فَلْيُقْتَلْ قَتْلًا، وَاقْتُلُوا الْبَهِيمَةَ أَيْضًا. وَأَيُّ امْرَأَةٍ تَقَدَّمَتْ إِلَى بَهِيمَةٍ لِتَسْفِدَهَا، فَاقْتُلِ الْمَرْأَةَ وَالْبَهِيمَةَ: إِنَّهُمَا تُقْتَلَانِ قَتْلًا، فَدَمُهُمَا عَلَيْهِمَا. وَأَيُّ رَجُلٍ اتَّخَذَ أُخْتَهُ، أَيْ ابْنَةَ أَبِيهِ أَوْ ابْنَةَ أُمَّهِ فَرَأَى عَوْرَتَهَا وَرَأَتْ عَوْرَتَهُ، فَذَلِكَ عَارٌ، فَلْيُفْصَلَا عَلَى عُيُونِ بَنِي شَعْبِهِمَا: إِنَّهُ

كَشَفَ عَوْرَةَ أُخْتِهِ، فَقَدَ حَمَلَ وَزْرَهُ. وَأَيُّ رَجُلٍ ضَاجَعَ امْرَأَةً طَامِئًا، فَكَشَفَ عَوْرَتَهَا: فَقَدَ عَرَىٰ مَنبَعَهَا وَهِيَ كَشَفَتْ مَنبَعَ دَمِهَا، فَلْيُفْصَلَا كِلَاهُمَا مِنْ بَيْنِ شَعْبِهِمَا. عَوْرَةَ خَالَاتِكَ وَعَمَّتِكَ لَا تَكْشِفْ، فَمَنْ صَنَعَ ذَلِكَ عَرَىٰ ذَاتَ قَرَابَتِهِ، فَحَمَلَا كِلَاهُمَا وَزْرَهُمَا. وَأَيُّ رَجُلٍ ضَاجَعَ زَوْجَةَ عَمِّهِ، فَقَدَ كَشَفَ عَوْرَةَ عَمِّهِ: إِنَّهُمَا يَحْمِلَانِ وَزْرَهُمَا، فَلْيَمُوتَا عَقِيمَيْنِ. وَأَيُّ رَجُلٍ اتَّخَذَ زَوْجَةَ أَخِيهِ، ارْتَكَبَ نَجَاسَةً، فَقَدَ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ، فَلْيَمُوتَا عَقِيمَيْنِ.

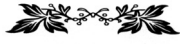
فاحفظوا جميع فرائضي وأحكامي واعملوا بها، لئلا تتقياكم الأرض التي أنا مدخلكم إليها لتسكنوا فيها. ولا تسيروا على ممارسات الأمم التي أنا طاردها من أمامكم، فقد صنعت هذا كله فكرهتها. وقلت لكم: ستمتلكون أنتم أرضها وأنا أعطيكم إياها لتملكوها أرضاً تدرُّ لبناً حليياً وعسلاً.

أنا الربُّ إلهكم الذي ميّزكم من بين الشعوب. فميّزوا البهيمة الطاهرة من النجسة والطير النجس من الطاهر، ولا تقبّحوا أنفسكم بالبهايم والطيور وسائر ما يدبُّ على الأرض ممّا ميّزته لكم كنجس. وكونوا لي قديسين لأنّي قدوس أنا الربُّ، وقد ميّزتك من الشعوب لتكونوا لي.

وأيُّ رجلٍ أو امرأةٍ كان مُستحضرِ أرواحٍ أو عرافاً، فليقتل قتلاً، بالحجارة يُرجم: دمه عليه.

مقتطفات من سفر تثنية الاشتراع

مجموعة فرائض وأحكام تثنية الاشتراع⁽¹⁾



إيضاحات في الذبائح

وتنبّه أن تُصعدَ مُحْرَقَاتِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ رَأَيْتَهُ، إِلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ مِنْ أَحَدِ أَسْبَاطِكَ، فَهُنَاكَ تُصْعَدُ مُحْرَقَاتِكَ وَهُنَاكَ تَصْنَعُ كُلَّ مَا أَمُرُكَ بِهِ.

لَكِنْ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ تَذْبِحُ وَتَأْكُلُ لَحْمًا كَبْرَكَةَ أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ إِيَّاهَا فِي مَدْنِكَ كُلِّهَا. النَّجْسُ وَالطَّاهِرُ يَأْكُلَانِهِ، كَمَا يُؤْكَلُ الطَّبِيُّ وَالْأَيْلُ. وَأَمَّا الدَّمُ فَلَا تَأْكُلُوهُ، بَلِ أَرْفِقْهُ عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَاءِ.

لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَأْكُلَ فِي مَدْنِكَ أَعْشَارَ قَمْحِكَ وَنَبِيذِكَ وَزَيْتِكَ وَلَا أَبْكَارَ بَقَرِكَ وَغَنَمِكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ نُدُورِكَ الَّتِي تَنْذِرُهَا وَتَقَادِمِكَ الطَّوْعِيَّةِ وَتَقْدِمَةِ يَدَيْكَ. وَلَكِنْ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ تَأْكُلُهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهَكَ، أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَخَادِمُكَ وَخَادِمَتُكَ وَاللَّاوِيُّ الَّذِي فِي مَدْنِكَ، وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهِكَ بِكُلِّ مَا اكْتَسَبْتَهُ يَدُكَ. وَتَنْبَهُ أَنْ تَهْمَلَ اللَّاوِيَّ كُلَّ أَيَّامِكَ عَلَى أَرْضِكَ.

وَإِذَا وَسَّعَ الرَّبُّ إِلَهَكَ حُدُودَكَ كَمَا قَالَ لَكَ، فَقُلْتَ: آكُلُ لَحْمًا، لِأَنَّ

(1) سفر تثنية الإشتراع.

نَفْسَكَ اشْتَهَتْ أَكَلَ اللَّحْمِ، فَمِنْ كُلِّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ تَأْكُلُ لَحْمًا. وَإِنْ بَعْدَ عِنكَ الْمَكَانُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهُكَ لِيَجْعَلَ فِيهِ اسْمَهُ، فَادْبَحْ مِمَّا أَعْطَاكَ الرَّبُّ مِنْ كُلِّ بَقْرِكَ وَغَنَمِكَ كَمَا أَمَرْتُكَ، وَكُلْ فِي مُدْنِكَ مِنْ كُلِّ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، كَمَا يُؤْكَلُ الطَّبِيُّ وَالْأَيْلُ تَأْكُلُهُ: النَّجْسُ وَالطَّاهِرُ يَأْكُلَانِهِ عَلَى السَّوَاءِ. لَكِنْ تَبَّهْ أَنْ تَأْكَلَ الدَّمَ، فَإِنَّ الدَّمَ هُوَ النَّفْسُ، فَلَا تَأْكُلِ النَّفْسَ مَعَ اللَّحْمِ. لَا تَأْكُلْهُ، بَلْ أَرْقَهُ عَلَى الْأَرْضِ كَالْمَاءِ. لَا تَأْكُلْهُ، فَتُصِيبَ خَيْرًا، أَنْتَ وَبَنُوكَ مِنْ بَعْدِكَ، لِأَنَّكَ تَصْنَعُ الْقَوِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ. وَأَمَّا أَقْدَاسُكَ الَّتِي لَكَ وَنُدُورُكَ، فَاحْمِلْهَا وَأْتِ بِهَا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ، وَقَرِّبْ مُحْرَقَاتِكَ لَحْمًا وَدَمًا عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَهُكَ، وَدَمَ ذَبَائِحِكَ يُرَاقُ عَلَى مَذْبَحِ الرَّبِّ إِلَهُكَ، وَاللَّحْمَ تَأْكُلُهُ. احْفَظْ وَاسْمَعْ جَمِيعَ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي أَنَا أَمْرُكَ بِهَا لِتُصِيبَ خَيْرًا، أَنْتَ وَبَنُوكَ مِنْ بَعْدِكَ لِلْأَبَدِ، لِأَنَّكَ تَصْنَعُ الصَّالِحَ وَالْقَوِيمَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ إِلَهُكَ.

البهائم الطاهرة والبهائم البخسة

لَا تَأْكُلْ آيَةً قَبِيحَةً. هَذَا مَا تَأْكُلُونَهُ مِنَ الْبِهَائِمِ: الْبَقَرُ وَالْغَنَمُ وَالْمَعِزُّ وَالْأَيْلُ وَالطَّبِيُّ وَالْيَحْمُورُ وَالْوَعْلُ وَالرَّئِمُ وَالنَّيْتَلُ وَالْمَعِزُّ الْبَرِّيُّ، وَكُلُّ بَهِيمَةٍ ذَاتِ حَافِرٍ مَشْقُوقٍ إِلَى ظُفْرَيْنِ وَهِيَ تَجْتَرُّ، مِنَ الْبِهَائِمِ، فَإِيَّاهَا تَأْكُلُونَ. وَأَمَّا هَذِهِ مِنَ الْمُجْتَرَّاتِ وَمِنْ ذَوَاتِ الْحَوَافِرِ الْمَشْقُوقَةِ، فَلَا تَأْكُلُوهَا: الْجَمَلُ وَالْأَرْنَبُ وَالْوَبْرُ، فَإِنَّهَا تَجْتَرُّ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِذَاتِ حَافِرٍ مَشْقُوقٍ، فَهِيَ نَجْسَةٌ لَكُمْ، وَالْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ ذُو حَافِرٍ مَشْقُوقٍ، وَلَكِنَّهُ لَا يَجْتَرُّ، فَهُوَ نَجْسٌ لَكُمْ. لَا تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنْ لَحْمِهَا وَلَا تَمَسُّوا مَيْتَتَهَا.

وهذا ما تَأْكُلُونَهُ مِنْ كُلِّ مَا فِي الْمَاءِ : كُلُّ مَا لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَاشِفٌ،
فَيَأِيَاهُ تَأْكُلُونَ. وَكُلُّ مَا لَيْسَتْ لَهُ زَعَانِفٌ وَحَرَاشِفٌ، فَلَا تَأْكُلُوهُ، إِنَّهُ نَجَسٌ لَكُمْ.

وَكُلُّ طَائِرٍ طَاهِرٍ فَكُلُوهُ. وَهَذَا مَا لَا تَأْكُلُونَهُ مِنْهُ: الْعُقَابُ وَكَاسِرُ
الْعِظَامِ وَالصَّقْرُ وَالْحِدَاةُ الْحَمْرَاءُ وَالْحِدَاةُ السَّوْدَاءُ وَالْحِدَاةُ بِأَصْنَافِهَا،
وَجَمِيعُ الْغُرْبَانِ بِأَصْنَافِهَا، وَالنَّعَامَةُ وَالْخَبْلُ وَزَمَجُ الْمَاءِ وَالْبَاشِقُ
بِأَصْنَافِهِ، وَالْبَوْمَةُ وَالْبَوْمَةُ الصَّمْعَاءُ وَأَبُو الْمِنْجَلِ، وَالْبَجَعَةُ وَالرَّخْمَةُ
وَالغَاقَةُ، وَاللَّقْلُقُ وَمَالِكُ الْحَزِينِ بِأَصْنَافِهِ وَالْهُدْهُدُ وَالْخُفَّاشُ. وَكُلُّ
الْحَشْرَاتِ الْمُجَنَّحَةِ هِيَ نَجَسَةٌ لَكُمْ، فَلَا تُؤْكَلُ. وَكُلُّ طَائِرٍ طَاهِرٍ فَكُلُوهُ.

وَلَا تَأْكُلُوا شَيْئًا مِنَ الْجَيْفِ، وَإِنَّمَا تُعْطِيهَا لِلنَّزِيلِ الَّذِي فِي مَدْنِكَ،
فِيَأْكُلُهَا أَوْ تَبِيعُهَا لِلْغَرِيبِ، لِأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلَهِكَ وَلَا تَطْبُخُ
جَدِيًّا بِلَبَنِ أُمَّه.

الأعشار السنوية :

وَأَدِّ الْعُشْرَ مِنْ جَمِيعِ غَلَّةِ زَرْعِكَ، أَي مَا أَخْرَجْتَهُ الْحَقُولُ سَنَةً
فَسَنَةً. وَكُلَّ أَمَامِ الرَّبِّ إِلَهِكَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ، لِيُحِلَّ اسْمَهُ فِيهِ،
عُشْرَ قَمْحِكَ وَنَبِيدِكَ وَزَيْتِكَ وَأَبْكَارَ بَقْرِكَ وَغَنَمِكَ، لِكَيْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ
تَتَّقِي الرَّبَّ إِلَهَكَ كُلَّ الْأَيَّامِ.

وَإِنْ طَالَ عَلَيْكَ الطَّرِيقُ، وَلَمْ تُطِقْ حَمْلَ الْأَعْشَارِ، وَبَعُدَ عَنْكَ
الْمَوْضِعُ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهَكَ لِيَجْعَلَ فِيهِ اسْمَهُ، وَبَارَكَكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ،

فَأَبْدَلْ بِهِ فِضَّةً وَصُرَّ الْفِضَّةُ فِي يَدِكَ وَامْضِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ الرَّبُّ إِلَهَكَ، وَأَبْدِلْ بِهَا كُلَّ مَا تَشْتَهِي نَفْسُكَ مِنْ بَقَرٍ وَغَنَمٍ وَخَمْرٍ وَمُسْكِرٍ وَكُلِّ مَا تَطْلُبُهُ نَفْسُكَ، وَكُلَّ هُنَاكَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهَكَ، وَافْرَحْ أَنْتَ وَبَيْتُكَ. وَلَا تُهْمِلِ اللَّاوِيَّ الَّذِي فِي مُدْنِكَ، إِذْ لَيْسَ لَهُ نَصِيبٌ مَعَكَ وَلَا مِيرَاثٌ.

الشهود :

لَا يَقُومُ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى أَحَدٍ فِي أَيِّ إِثْمٍ وَأَيَّةِ خَطِيئَةٍ يَرْتَكِبُهَا، وَلَكِنْ بِقَوْلِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ شُهَدَاءِ تَقُومُ الْقَضِيَّةُ.

إِنْ قَامَ عَلَى أَحَدٍ شَاهِدٌ ظَالِمٌ فَاتَّهَمَهُ بِتَمَرُدٍ، فَلْيَقِفِ الرَّجُلَانِ اللَّذَانِ بَيْنَهُمَا الدَّعْوَى أَمَامَ الرَّبِّ، أَمَامَ الْكَهَنَةِ وَالْقُضَاةِ الَّذِينَ يَكُونُونَ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ. وَلْيَبْحَثِ الْقُضَاةُ جَيِّدًا، فَإِنْ كَانَ الشَّاهِدُ شَاهِدَ زُورٍ وَقَدْ شَهِدَ بِالزُّورِ عَلَى أَخِيهِ، فَاصْنَعُوا بِهِ كَمَا نَوَى أَنْ يَصْنَعَ بِأَخِيهِ، وَأَقْلَعِ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ، فَيَسْمَعْ الْبَاقُونَ وَيَخَافُوا وَلَا يَعُودُوا يَصْنَعُونَ أَيْضًا مِثْلَ هَذَا الشَّرِّ فِي وَسْطِكَ. لَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ.

شريعة الأخذ بالثأر:

النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ، وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ، وَالْيَدُ بِالْيَدِ، وَالرَّجْلُ بِالرَّجْلِ.

الحرب والمحاربون :

إِذَا خَرَجْتَ لِلْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكَ، فَرَأَيْتَ خَيْلًا وَمَرَاقِبَ مَعَ قَوْمٍ

أَكْثَرَ مِنْكَ، فَلَا تَخَفْهُمْ، فَإِنَّ مَعَكَ الرَّبَّ إِلَهَكَ الَّذِي أَصْعَدَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ. وَعِنْدَ اقْتِرَابِكُمْ إِلَى الْحَرْبِ، يَتَقَدَّمُ الْكَاهِنُ وَيُخَاطِبُ الشَّعْبَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ، أَنْتُمْ الْيَوْمَ مُقْتَرِبُونَ إِلَى الْحَرْبِ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَلَا تَتَرَخَ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَخَافُوا وَلَا تَضْطَرِبُوا وَلَا تَرْتَعِدُوا مِنْ وُجُوهِهِمْ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ سَائِرٌ مَعَكُمْ لِيُحَارِبَ أَعْدَاءَكُمْ عَنْكُمْ وَيُخَلِّصَكُمْ.

ثُمَّ يَكَلِّمُ الْكَتَبَةُ الشَّعْبَ قَائِلِينَ: أَيُّ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا جَدِيدًا وَلَمْ يَدَشِّنْهُ، فَلْيَمِضْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ كَيْلًا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيُدَشِّنْهُ رَجُلٌ آخَرَ. وَأَيُّ رَجُلٍ غَرَسَ كَرْمًا وَلَمْ يَأْكُلْ بَاكُورَتَهُ، فَلْيَمِضْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ كَيْلًا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَأْكُلْ رَجُلٌ آخَرُ بَاكُورَتَهُ. وَأَيُّ رَجُلٍ خَطَبَ امْرَأَةً وَلَمْ يَأْخُذْهَا، فَلْيَمِضْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لئَلَّا يَمُوتَ فِي الْحَرْبِ فَيَأْخُذْهَا رَجُلٌ آخَرُ.

ثُمَّ يَعُودُ الْكَتَبَةُ إِلَى مُخَاطَبَةِ الشَّعْبِ وَيَقُولُونَ: أَيُّ رَجُلٍ كَانَ خَائِفًا وَمُتْرَاحِي الْقَلْبِ، فَلْيَمِضْ وَيَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهِ لئَلَّا يُذِيبَ قُلُوبَ إِخْوَتِهِ كَقَلْبِهِ. وَمَتَى انْتَهَى الْكَتَبَةُ مِنْ مُخَاطَبَةِ الشَّعْبِ، يُقِيمُونَ عَلَى الشَّعْبِ رُؤْسَاءَ جُيُوشَ.

فتح المدن :

وَإِذَا تَقَدَّمْتَ إِلَى مَدِينَةٍ لَتِقَاتِلَهَا، فَادْعُهَا أَوَّلًا إِلَى السَّلْمِ، فَإِذَا أَجَابَتْكَ بِالسَّلْمِ وَفَتَحَتْ لَكَ أَبْوَابَهَا، فَكُلُّ الْقَوْمِ الَّذِي فِيهَا يَكُونُ لَكَ تَحْتَ السُّخْرَةِ وَيَخْدُمُكَ. وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ، بَلْ حَارَبَتْكَ فَحَاصَرْتَهَا،

وَأَسْلَمَهَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَى يَدِكَ، فَاضْرِبْ كُلَّ ذَكَرٍ بَعْدَ السَّيْفِ. وَأَمَّا
النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَجَمِيعُ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ غَنِيمَةٍ، فَاغْتَنِمَهَا
لِنَفْسِكَ، وَكُلَّ غَنِيمَةٍ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا.

هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا والتي ليست من مدن
تلك الأمم هنا. وأما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الربُّ إلهك إياها
ميراثا، فلا تستبق منها نسمة، بل حرّمهم تحريماً: الحثيين والأموريين
والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين كما أمرك الربُّ إلهك،
كيلا تعلموكم أن تصنعوا مثل قبائحهم التي صنعوها لألهتهم، فتخطأوا
إلى الربِّ إلهكم.

وإذا حاصرت مدينة ما أياما كثيرة، محاربا لها لتفتحها، فلا
تتلف شجرها ملقيا عليه فأسا. إنك منه تأكل، فلا تقطعه، فهل شجر
الحقل إنسان حتى تعامله كالمحاصر؟ أما الشجر الذي تعلم أنه ليس
شجرا يؤكل منه، فأتلفه واقطعه، وابن آلات الحصار على المدينة التي
تحاربك حتى تسقط.

الأسيرات :

إذا خرجت لمقاتلة أعدائك، فأسلمهم الربُّ إلهك إلى يدك،
فأسرت منهم أسرى، ورأيت بين الأسرى امرأة جميلة الهيئة، فتعلقت
بها واتخذتها لك امرأة، فحين تدخلها بيتك، تحلق رأسها وتقلّم
أظفارها، وتنزع ثياب أسرها عنها، وتقيم في بيتك فتبكي أباه وأُمها

شَهْرًا، وَبَعْدَ ذَلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَكُونُ لَهَا زَوْجًا، وَهِيَ تَكُونُ لَكَ امْرَأَةً. ثُمَّ، إِنْ لَمْ تَعُدْ تُرِيدُهَا، فَأَطْلِقْهَا حُرَّةً، وَلَا تَبِعْهَا بِفِضَّةٍ، وَلَا تَظْلِمْهَا لِأَنَّكَ أَذَلَّتْهَا.

حق البكرية :

إِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَحَبُوبَةٌ وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ، فَوَلَدَتَا لَهُ كِلْتَاهُمَا بَنِينَ، الْمَحَبُوبَةُ وَالْمَكْرُوهَةُ، وَكَانَ الْإِبْنُ الْبِكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ، فَفِي يَوْمِ تَوْرِيثِهِ لِبَنِيهِ مَا يَكُونُ لَهُ، لَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يُعْطِيَ حَقَّ الْبِكْرِيَّةِ لِابْنِ الْمَحَبُوبَةِ دُونَ ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ، بَلْ يَعْتَرَفُ بِأَنَّ ابْنَ الْمَكْرُوهَةِ هُوَ الْبِكْرُ، فَيُعْطِيهِ سَهْمَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يَوْجَدُ لَهُ، فَإِنَّهُ أَوْلُ رُجُولَتِهِ، وَلَهُ حَقُّ الْبِكْرِيَّةِ.

الولد المتمرّد :

إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ ابْنٌ مُتَمَرِّدٌ عَاصٍ، لَا يُطِيعُ أَمْرَ أَبِيهِ وَلَا أَمْرَ أُمِّهِ، وَهُمَا يُؤَدَّبَانِهِ فَلَا يَسْمَعُ لَهُمَا، فَلْيَقْبِضْ عَلَيْهِ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَيُخْرِجَاهُ إِلَى شُيُوخِ مَدِينَتِهِ وَإِلَى بَابِ بَلَدَتِهِ، وَيَقُولَا لِشُيُوخِ مَدِينَتِهِ: إِنَّ ابْنَنَا هَذَا مُتَمَرِّدٌ عَاصٍ، لَا يُطِيعُ أَمْرَنَا، وَهُوَ أَكُولُ شَرِيبٍ. فَيَرْجُمُهُ جَمِيعُ رِجَالِ مَدِينَتِهِ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، وَاقْلَعِ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ، فَيَسْمَعِ إِسْرَائِيلُ كُلُّهُ وَيَخَافُ.

دفن المشنوقين :

وَإِذَا كَانَتْ عَلَى إِنْسَانٍ خَطِيئَةٌ تُسْتَوْجِبُ الْمَوْتَ، فَقُتِلَ وَعَلِقَتْهُ عَلَى

شَجْرَةَ، فَلَا تَبْتَ جُثَّتَهُ عَلَى الشَّجَرَةِ، بَلْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَدْفِنُهُ، لِأَنَّ الْمُعَلَّقَ
لَعْنَةٌ مِنَ اللَّهِ، فَلَا تَتَجَسَّسْ أَرْضَكَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ أَيَّاهَا مِيرَاثًا.

فرائض وأحكام مختلفة :

إِذَا رَأَيْتَ ثَوْرَ أَخِيكَ أَوْ حَمَلَهُ ضَالًّا، فَلَا تَتَغَافَلَ عَنْهُ، بَلْ رُدَّهُ إِلَى
أَخِيكَ. فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَخُوكَ جَارًا لَكَ أَوْ لَمْ تَعْرِفْهُ، فَأَوْ الْحَيَّوَانَ إِلَى بَيْتِكَ
فَيَكُونَنَّ عِنْدَكَ إِلَى أَنْ يَبْحَثَ أَخُوكَ عَنْهُ فَتُرُدَّهُ إِلَيْهِ. وَكَذَا تَصْنَعُ بِحِمَارِهِ
وَكَذَا تَصْنَعُ بِثَوْبِهِ وَكَذَا تَصْنَعُ بِكُلِّ مَا فُقِدَ لِأَخِيكَ، مَا فُقِدَ لَهُ وَوَجَدْتَهُ.
لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَتَغَافَلَ عَنْهُ. وَإِذَا رَأَيْتَ حِمَارَ أَخِيكَ أَوْ ثَوْرَهُ وَقَعَا فِي
الطَّرِيقِ، فَلَا تَتَغَافَلَ عَنْهُ، بَلْ أَنْهَضْهُ مَعَهُ. لَا تَكُنْ ثِيَابَ الرَّجُلِ عَلَى
الْمَرْأَةِ وَلَا يَلْبَسِ الرَّجُلُ لِبَاسَ الْمَرْأَةِ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ مُسْتَقْبَحٌ لَدَى
الرَّبِّ إِلَهِكَ.

إِذَا صَادَفْتَ عُشَّ طَائِرٍ فِي الطَّرِيقِ أَمَامَكَ أَوْ فِي شَجَرَةٍ أَوْ عَلَى
الْأَرْضِ، فِيهِ فِرَاحٌ أَوْ بَيْضٌ، وَالْأُمَّ حَاضِنَةٌ لِلْفِرَاحِ أَوْ الْبَيْضِ، فَلَا تَأْخُذِ
الْأُمَّ مَعَ الْفِرَاحِ، بَلْ أَطْلِقِ الْأُمَّ وَخُذْ لَكَ الْفِرَاحَ، لِكَيْ تُصِيبَ خَيْرًا وَتُطِيلَ
أَيَّامَكَ.

إِذَا بَنَيْتَ بَيْتًا جَدِيدًا، فَاصْنَعْ دَرَابِزُونَا لِسَطْحِكَ، لِئَلَّا تَجْعَلَ دَمًا
عَلَى بَيْتِكَ، إِذَا سَقَطَ عَنْهُ أَحَدٌ.

لَا تَزْرَعْ كَرْمَكَ صِنْفَيْنِ، كَيْلَا يُعَدَّ الزَّرْعُ الَّذِي تَزْرَعُهُ وَغَلَّةَ الْكَرْمِ

جميعاً مُقَدَّسًا. لا تَحْرُتْ عَلَى ثَوْرٍ وَحِمَارٍ مَعًا. لَا تَلْبَسْ ثَوْبًا مُخْتَلِطًا مِنْ صُوفٍ وَكَتَّانٍ مَعًا. وَاصْنَعْ لَكَ أَهْدَابًا فِي أَرْبَعَةِ أَطْرَافِ الرِّدَاءِ الَّذِي تَرْتَدِي بِهِ.

النَّيْلُ مِنْ سُمْعَةَ الْعُرُوسِ

إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَدَخَلَ عَلَيْهَا ثُمَّ أَبْغَضَهَا، فَنَسَبَ إِلَيْهَا مَا يَحْمِلُ عَلَى الثَّرَثَرَةِ، وَأَذَاعَ عَنْهَا سُمْعَةً سَيِّئَةً فَقَالَ: إِنِّي اتَّخَذْتُ هَذِهِ الْمَرْأَةَ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا، لَمْ أَجِدْهَا عَذْرَاءً، يَأْخُذُ الْفَتَاةَ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلَامَةَ بَكَارَةِ الْفَتَاةِ إِلَى شُيُوخِ الْمَدِينَةِ، إِلَى الْبَابِ. وَيَقُولُ أَبُوهَا لِلشُّيُوخِ: إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنَتِي امْرَأَةً لِهَذَا الرَّجُلِ فَأَبْغَضَهَا. وَهِيَ هُوَذَا قَدْ نَسَبَ إِلَيْهَا مَا يَحْمِلُ عَلَى الثَّرَثَرَةِ قَائِلًا: لَمْ أَجِدِ ابْنَتَكَ عَذْرَاءً. وَهَذِهِ عَلَامَةُ بَكَارَةِ ابْنَتِي. وَيَسْطُطَانِ الْمُنْدِيلَ أَمَامَ شُيُوخِ الْمَدِينَةِ. فَيَأْخُذُ شُيُوخُ الْمَدِينَةِ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَيُؤَدِّبُونَهُ، وَيَغْرَمُونَهُ مِئَةً مِنَ الْفِضَّةِ يَدْفَعُونَهَا إِلَى أَبِي الْفَتَاةِ، لِأَنَّ الرَّجُلَ أَذَاعَ سُمْعَةً سَيِّئَةً عَلَى عَذْرَاءٍ مِنْ إِسْرَائِيلَ. وَتَكُونُ لَهُ امْرَأَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُطَلِّقَهَا طَوْلَ أَيَّامِهِ.

وَإِنْ كَانَ الْأَمْرُ صَاحِحًا وَلَمْ تَوْجَدْ الْفَتَاةَ عَذْرَاءً، فليُخْرِجُوا الْفَتَاةَ إِلَى بَابِ بَيْتِ أَبِيهَا، وَيَرْجُمُوهَا جَمِيعُ أَهْلِ مَدِينَتِهَا بِالْحِجَارَةِ حَتَّى تَمُوتَ، لِأَنَّهَا صَنَعَتْ قَبِيحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِزِنَاهَا فِي بَيْتِ أَبِيهَا، وَاقْلَعِ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

الزنى

وإن أخذ رجلٌ يضاجعُ امرأةً متزوجةً ، فليَموتا كلاهما، الرجلُ
المُضاجعُ للمرأةِ والمرأة، واقلَعِ الشرَّ من إسرائيل.

وإذا كانت فتاةً عذراءً مخطوبةً لرجلٍ، فصادفها رجلٌ في المدينةِ
فضاجعها، فأخرجوهما كليهما إلى بابِ تلك المدينة وارجموهما
بالحجارة حتى يموتا. أمَّا الفتاة، فلأنها لم تصرخْ وهي في مدينة، وأمَّا
الرجل، فلأنه اغتصبَ امرأةً قريبه، فاقلَعِ الشرَّ من وسَطِك. فإن
صادفَ الرجلُ الفتاةَ المخطوبةَ في الحقل، فأمسكها وضاجعها، فليمتَّ
ذلك الرجلُ المضاجعُ لها وحده. وأمَّا الفتاة، فلا تصنعَ بها شيئاً، إذ
ليسَ عليها خطيئةٌ تستوجبُ الموت، فإنما هذا الأمرُ أمرُ رجلٍ وثبَ على
قريبه فقتله. ذلك بأنه صادفها في الحقل، فصرختِ الفتاةُ المخطوبة،
فلم يكنْ من يخلصُها.

وإذا صادفَ رجلٌ فتاةً عذراءً لم تُخطبْ، فأمسكها وضاجعها،
فوجدًا معاً، فليُعطِ ذلك الرجلُ المضاجعُ لها لأبي الفتاة، خمسَينَ من
الفضة وتكونُ له امرأةً، لأنه أذلها، ولا يحلُّ له أن يطلقها كلَّ أيامه.

لا يتزوجَ رجلٌ امرأةً أبيه، ولا ينزعَ ذيلَ رداءِ أبيه.

طهارة المخيم

إذا خرجتَ في جيشٍ على أعدائك، فاحفظْ نفسك من كلِّ أمرٍ

سَيِّئٌ. إِذَا كَانَ فِيكَ رَجُلٌ لَيْسَ بِطَاهِرٍ مِنْ سَيَّلَانِ مَنْوِيٍّ فِي اللَّيْلِ، فَلْيَخْرُجْ إِلَى خَارِجِ الْمُخَيِّمِ وَلَا يَدْخُلْ إِلَى دَاخِلِهِ. وَعِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَسَاءِ، يَسْتَحِمُّ فِي الْمَاءِ، وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يَدْخُلُ إِلَى دَاخِلِ الْمُخَيِّمِ.

وَلْيَكُنْ لَكَ خَلَاءٌ خَارِجَ الْمُخَيِّمِ تَخْرُجُ إِلَيْهَا. وَلْيَكُنْ لَكَ مِعْوَلٌ مَعَ عُدَّتِكَ لِتَحْفِرَ بِهِ عِنْدَمَا تَخْتَلِي، وَتَلْتَفِتَ وَتُغَطِّي بِرِازِكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ يَتَمَشَّى فِي وَسْطِ مُخَيِّمِكَ لِيُنْقِذَكَ وَيُسَلِّمَ أَعْدَاءَكَ أَمَامَكَ. فَلْيَكُنْ مُخَيِّمُكَ مُقَدَّسًا، لِئَلَّا يَرَى فِيكَ أَمْرًا غَيْرَ لَائِقٍ، فَيَنْصَرِفَ عَنْكَ.

فرائض وأحكام اجتماعية وطقسية :

لَا تُسَلِّمَ عَبْدًا هَرَبَ إِلَيْكَ مِنْ عِنْدِ سَيِّدِهِ، بَلْ لِيُقِمَّ مَعَكَ فِي وَسْطِكَ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَارُهُ فِي إِحْدَى مُدُنِكَ حَيْثُ يَطِيبُ لَهُ، وَلَا تَظْلِمَهُ.

لَا يَكُنْ فِي بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ بَغِيٌّ مُكْرَسَةً، وَلَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مَأْبُونٌ مُكْرَسٌ. وَلَا تُدْخِلْ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلَهِكَ هَدِيَّةَ زَانِيَةٍ وَلَا ثَمَنَ كَلْبٍ فِي نَذْرٍ مَا، لِأَنَّهُمَا كِلَيْهِمَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ الرَّبِّ إِلَهِكَ.

لَا تُقْرِضُ أَخَاكَ بِفَائِدَةٍ فِي فِضَّةٍ أَوْ طَعَامٍ أَوْ شَيْءٍ آخَرَ مِمَّا يُقْرِضُ بِالْفَائِدَةِ، بَلْ تُقْرِضُ الْغَرِيبَ بِالْفَائِدَةِ، وَأَمَّا أَخُوكَ فَلَا تُقْرِضُهُ بِالْفَائِدَةِ، لِكِي يُبَارِكَ الرَّبُّ إِلَهَكَ جَمِيعَ أَعْمَالِ يَدَيْكَ، فِي الْأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَرْتَهَا.

إِذَا نَذَرْتَ نَذْرًا لِلرَّبِّ إِلَهِكَ، فَلَا تُؤَخِّرْ وَفَاءً، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ يُطَالِبُكَ بِهِ، فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيئَةً. وَإِذَا لَمْ تَنْذِرْ نَذْرًا، فَلَا خَطِيئَةَ عَلَيْكَ. وَأَمَّا مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيْكَ، فَاحْفَظْهُ وَاَعْمَلْ كَمَا نَذَرْتَ لِلرَّبِّ إِلَهَكَ كَتَقْدِيمَةِ طَوْعِيَّةٍ، بِحَسَبِ مَا قُلْتَ بِفَمِكَ.

إِذَا دَخَلْتَ كَرَمَ قَرِيبِكَ، فَكُلْ مِنَ الْعِنَبِ عَلَى قَدْرِ شَهْوَتِكَ حَتَّى تَشْبَعَ، وَلَا تَجْعَلْ مِنْهُ شَيْئًا فِي سَلَّتِكَ. وَإِذَا دَخَلْتَ السُّبُلَ الْقَائِمَ الَّذِي لِقَرِيبِكَ، قَاقِطِفْ بِيَدِكَ فَرِيكًا، وَلَا تَلْقُ مِنْجَلًا عَلَى سُنْبُلِ قَرِيبِكَ.

الطلاق:

إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَهَا، ثُمَّ لَمْ تَلَّ حُظْوَةً فِي عَيْنَيْهِ، لِأَمْرٍ غَيْرِ لَاتِقٍ وَجَدَهُ فِيهَا، فَلْيَكْتُبْ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَيُسَلِّمَهَا إِلَيْهَا وَيَصْرِفْهَا مِنْ بَيْتِهِ. فَإِذَا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ وَمَضَتْ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ، فَأَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْآخَرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ، فَسَلِّمَهَا إِلَيْهَا وَصْرِفْهَا مِنْ بَيْتِهِ، أَوْ مَاتَ الرَّجُلُ الْآخَرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ امْرَأَةً، فَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ لِرَجُلٍ الْأَوَّلِ الَّذِي طَلَّقَهَا أَنْ يَعُودَ وَيَأْخُذَهَا لِتَكُونَ لَهُ امْرَأَةً، بَعْدَمَا تَدْنَسَتْ: فَإِنَّ ذَلِكَ قَبِيحَةٌ لَدَى الرَّبِّ. فَلَا تَجْلِبْ خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ إِيَّاهَا مِيرَاثًا.

تدابير للحماية:

إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً حَدِيثَةً عَهْدَ بِهِ، فَلَا يَخْرُجْ فِي الْجَيْشِ، وَلَا يُحْمَلُ عَبْثًا مَا، بَلْ لِيَتَفَرَّغَ لِبَيْتِهِ سَنَةً وَاحِدَةً، يَسُرُّ امْرَأَتَهُ الَّتِي اتَّخَذَهَا.

لَا يَرْتَهِنُ أَحَدٌ حَجَرِي الرَّحَى، حَتَّى وَلَا الْحَجَرَ الْأَعْلَى، فَإِنَّهُ
يَرْتَهِنُ نَفْسًا.

إِنْ وُجِدَ إِنْسَانٌ قَدْ خَطَفَ نَفْسًا مِنْ إِخْوَتِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،
فَعَامَلَهَا كَالْعَبْدِ أَوْ بَاعَهَا، فَلْيَمُتِ الْخَاطِفُ، وَأَقْلَعِ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ.

تَبَّهْ، فِي أَمْرِ إصَابَةِ الْبَرَصِ، أَنْ تَجْتَهِدَ فِي الْعَمَلِ بِكُلِّ مَا يُعَلِّمُكُمْ
الْكَهَنَةُ اللَّوَاوِيُّونَ، كَمَا أَمَرْتَهُمْ تَجْتَهِدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. أَذْكَرُ مَا صَنَعَهُ الرَّبُّ
إِلَهُكَ بِمَرِيمَ فِي الطَّرِيقِ، عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ.

إِذَا أَقْرَضْتَ قَرِيبَكَ قَرْضًا مَا، فَلَا تَدْخُلْ بَيْتَهُ لِتَأْخُذَ رَهْنًا مِنْهُ، بَلْ
قِفْ خَارِجًا، وَالرُّجُلُ الَّذِي أَقْرَضْتَهُ هُوَ يُخْرِجُ لَكَ الرَّهْنَ إِلَى خَارِجٍ. وَإِنْ
كَانَ رَجُلًا فَقِيرًا، فَلَا تَنْمِ وَرَهْنُهُ عِنْدَكَ، بَلْ، عِنْدَ مَغِيبِ الشَّمْسِ، تَرُدَّهُ
إِلَيْهِ، حَتَّى يَنَامَ فِي رِدَائِهِ وَيُبَارِكَكَ، فَيُحْسَبُ لَكَ بَرٌّ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَهُكَ.

لَا تَسْتَعْلِ أَجِيرًا مِسْكِينًا أَوْ فَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ النَّزَلَاءِ الَّذِينَ
فِي أَرْضِكَ، فِي مَدْنِكَ، بَلْ ادْفَعْ إِلَيْهِ أَجْرَتَهُ فِي يَوْمِهِ، وَلَا تَغِبْ عَلَيْهَا
الشَّمْسُ، لِأَنَّهُ مِسْكِينٌ وَإِلَيْهَا يَطْمَحُ، لِئَلَّا يَصْرُخَ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ، فَتَكُونَ
عَلَيْكَ خَطِيئَةً.

لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ بِالْبَنِينَ، وَلَا يُقْتَلُ الْبَنُونَ بِالْآبَاءِ، بَلْ كُلُّ امْرِئٍ
بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ.

لَا تُحَرِّفْ حَقَّ نَزِيلِ يَتِيمٍ، وَلَا تَرْتَهِنُ ثَوْبَ أَرْمَلَةٍ. وَاذْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ

عَبْدًا بِمِصْرَ وَفَدَاكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ مِنْ هُنَاكَ ، لِذَلِكَ أَنَا أَمْرُكَ بِأَنْ تَصْنَعَ
هَذَا الْأَمْرَ.

إِذَا حَصَدْتَ حِصَادَكَ فِي حَقْلِكَ، فَنَسِيتَ حُرْمَةَ فِي الْحَقْلِ، فَلَا
تَرْجِعْ لِتَأْخُذَهَا: إِنَّهَا لِلنَّزِيلِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ تَكُونُ، لِكَيْ يُبَارِكَكَ الرَّبُّ
إِلَهُكَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ يَدَيْكَ.

وَإِذَا خَبَطْتَ زَيْتُونَكَ، فَلَا تُرَاجِعْ مَا بَقِيَ فِي الْأَعْصَانِ، إِنَّهُ لِلنَّزِيلِ
وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ. وَإِذَا قَطَفْتَ كَرْمَكَ، فَلَا تُرَاجِعْ مَا بَقِيَ مِنْهُ، إِنَّهُ
لِلنَّزِيلِ وَالْيَتِيمِ وَالْأَرْمَلَةِ يَكُونُ. وَادْكُرْ أَنَّكَ كُنْتَ عَبْدًا بِمِصْرَ، لِذَلِكَ أَنَا
أَمْرُكَ بِأَنْ تَصْنَعَ هَذَا الْأَمْرَ.

إِذَا وَقَعَتْ خُصُومَةٌ بَيْنَ أَنْاسٍ وَمَثَلُوا أَمَامَ الْقَضَاءِ، فَلْيَحْكَمْ الْقُضَاةُ
بَيْنَهُمْ وَيَبْرِئُوا الْبَارَّ وَيَجْرِمُوا الشَّرِيرَ. فَإِنْ كَانَ الشَّرِيرُ يَسْتَحِقُّ الْجُلْدَ،
يَطْرَحُهُ الْقَاضِي وَيَأْمُرُ بِجُلْدِهِ بِحَضْرَتِهِ، عَلَى قَدْرِ شَرِّهِ بِالْعَدَدِ. يَجْلِدُهُ
أَرْبَعِينَ وَلَا يَزِيدُ، لِئَلَّا يُحْتَقَرَ أَخُوكَ فِي عَيْنَيْكَ، إِذَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ
ضَرْبَاتٍ كَثِيرَةً.

شريعة أخي الزوج

إِذَا أَقَامَ أَخُوانِ مَعًا، ثُمَّ مَاتَ أَحَدُهُمَا وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ، فَلَا تَصِيرُ
امْرَأَةٌ أَلْمِيَّةً إِلَى خَارِجٍ، لِرَجُلٍ غَرِيبٍ، بَلْ أَخُو رَجُلِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا
وَيَتَّخِذُهَا امْرَأَةً لَهُ، وَهُوَ يَقُومُ نَحْوَهَا بِوَأَجِبِهِ كَأَخِي الرَّجُلِ. وَيَكُونُ

البكر الذي تلده منه هو الذي يحمل اسم أخيه الميت، فلا يمحي اسمه من إسرائيل. فإن لم يرض الرجل أن يتخذ امرأة أخيه، فلتصعد امرأة أخيه إلى باب المدينة إلى الشيوخ، وتقل: قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه اسمًا في إسرائيل، ولم يرضني زوجة. فيستدعيه شيوخ مدينته ويكلمونه في ذلك. فإن أصر وقال: إنني لا أرضى أن أتخذها، تتقدم إليه امرأة أخيه بحضرة الشيوخ وتخلع نعله من رجله، وتبصق في وجهه وتجيبه قائلة: هكذا يصنع بالرجل الذي لا يبني بيت أخيه. فيدعى في إسرائيل بيت المخلوع النعل.

الحياة في المشاجرات:

إذا تخاصم رجلان الواحد مع الآخر، فتقدمت امرأة أحدهما لتتقد رجلها من يد ضاربه، فمدت يدها وأمسكت بعورتها، فاقطع يدها ولا تشفق عينك عليها.

ملحقات:

لا يكن في كيسك ميزانان، كبير وصغير، ولا يكن في بيتك مكيالان، كبير وصغير، بل ليكن لك ميزان صحيح عادل ومكيال صحيح عادل، لكي تطول أيامك في الأرض التي يعطيك الرب إياها، لأن الرب إلهك يكره كل من يفعل ذلك وكل من يعمل بالظلم.

نشيد موسى



أَصْنَعِي أَيُّهَا السَّمَوَاتُ فَاتَكَلَّمِي
وَلتَسْتَمِعِ الْأَرْضُ لِأَقْوَالِ فَمِي.
لِيَهْطُلَ كَالْمَطَرِ تَعْلِيمِي
وَلِيَقْطُرَ كَالنَّدَى قَوْلِي
وَكَالغَيْثِ عَلَى الْكَلأِ
وَكَالرِّذَازِ عَلَى العُشْبِ.
لَأَنِّي بِاسْمِ الرَّبِّ أَدْعُو.
أَدُّوا تَعْظِيمًا لِإِلَهِنَا.
هُوَ الصَّخْرُ الْكَامِلُ صَنِيعُهُ
لَأَنَّ جَمِيعَ سُبُلِهِ حَقٌّ.
اللَّهُ أَمِينٌ لَا ظُلْمَ فِيهِ
هُوَ بَارٌّ مُسْتَقِيمٌ.
فَسَدَّ الَّذِينَ وَلَدَهُمْ بِلا عَيْبِ

جِيلٌ شَرِيرٌ مَعُوجٌ.
أَبْهَذَا تُكَافَى الرَّبَّ
أَيُّهَا الشَّعْبُ الْأَحْمَقُ الْخَالِي مِنَ الْحِكْمَةِ؟
أَلَيْسَ هُوَ أَبُوكَ الَّذِي خَلَقَكَ
الَّذِي صَنَعَكَ وَأَقَامَكَ؟
أَذْكَرِ الْأَيَّامَ الْغَابِرَةَ
وَاعْتَبِرُوا السَّنِينَ جِيلاً فَجِيلاً.
سَلِّ أَبَاكَ يُخْبِرْكَ
وَشُيُوخَكَ يُحَدِّثُوكَ..
حِينَ أَوْرَثَ الْعَلِيُّ الْأُمَّمَ
وَوَزَعَ بَنِي آدَمَ
وَضَعَ حُدُودَ الشُّعُوبِ
عَلَى عَدَدِ بَنِي اللَّهِ.
لَكِنَّ نَصِيبَ الرَّبِّ شَعْبُهُ
وَيَعْقُوبَ حِصَّةَ مِيرَاثِهِ.
يَجِدُهُ فِي أَرْضِ بَرِّيَّةٍ
وَفِي خَوَاءٍ صِيَاحٍ وَحَشِيٍّ.

يُحِيطُ وَيَعْتِي بِهِ
ويحفظه كإنسان عينه.
كالعقاب الذي يُثيرُ عُشَّهُ
وعلى فراخه يُرَفِّفُ.
يَبْسُطُ جَنَاحِيَهُ فَيَأْخُذُهُ
وعلى ريشه يَحْمِلُهُ.
الرَّبُّ وَحْدَهُ يَهْدِيهِ
وَلَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَرِيبٌ.
يُرَكِّبُهُ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ الْأَرْضِ
فَيُطْعِمُهُ مِنْ غَلَاتِ الْحُقُولِ
وَيُرْضِعُهُ مِنَ الصَّخْرِ عَسَلًا
وَمِنْ صَوَّانِ الْجَلْمُودِ زَيْتًا
وَلَبَنَ الْبَقَرِ وَحَلِيبَ الْغَنَمِ
مَعَ شَحْمِ الْحُمَلَانِ
وَكِبَاشَ بَنِي بَاشَانَ وَالتُّيُوسِ
مَعَ دَسَمِ لُبِّ الْحَنْطَةِ
وَدَمَّ الْعِنَبِ تَشْرِيهِ خَمْرًا.

أَكَلَ يَعْقُوبُ فِشْبَعَ
وَسَمِنَ يَشُورُونَ فَرْفَسَ
(سَمِنَتْ وَبَدُنْتَ وَاکْتَسَيْتَ شَحْمًا)
فَنَبَذَ إِلَهَ الَّذِي صَنَعَهُ
وَاسْتَخَفَّ بِصَخْرَةٍ خَلاصِهِ.
أَغَارُوهُ بِالْغُرَبَاءِ
وَأَسَخَطُوهُ بِالْقَبَائِحِ.
ذَبَحُوا لِشَيَاطِينِ لَيْسَتْ لِلَّهِ
وَلِإِلَهَةٍ لَمْ يَعْرِفُوهَا
إِلَهَةٌ جَدِيدَةٌ أَتَتْ حَدِيثًا
أَبَاؤُكُمْ لَمْ يَهَابُوهَا.
(الصَّخْرُ الَّذِي وَلَدَكَ أَهْمَلْتَهُ
وَإِلَهُ الَّذِي وَضَعَكَ نَسِيْتَهُ).
الرَّبُّ رَأَاهُ وَفِي غَضَبِهِ
اسْتَهَانَ بِبَنِيهِ وَبَنَاتِهِ.
فَقَالَ: «أَحْجُبْ وَجْهِي عَنْهُمْ
وَأَرَى مَاذَا تَكُونُ آخِرَتُهُمْ»

لَأَنَّهُمْ جِيلٌ مَّتَقَلَّبٌ
بَنُونَ لَا أَمَانَةَ فِيهِمْ.
هَمَّ أَغَارُونِي بِمَنْ لَيْسَ إِلَهًا
وَأَغْضَبُونِي بِأَبَاطِيلِهِمْ
وَأَنَا أُغَيِّرُهُمْ بِمَنْ لَيْسُوا شَعْبًا
وَبِأُمَّةٍ حَمَقَاءَ أُغْضِبُهُمْ
لَأَنَّ نَارًا شَبَّتْ فِي أَنْفِي
فَتَشْتَعِلُ إِلَى أَسْفَلِ مَتَوَى الْأَمْوَاتِ
وَتَأْكُلُ الْأَرْضَ وَغَلَاتِهَا
وَتُحْرَقُ أَسُسَ الْجِبَالِ.
أَحْشَدُ شُرُورًا عَلَيْهِمْ
وَسِهَامِي أُفْرِغُهَا فِيهِمْ.
يَخُورُونَ جُوعًا
وَتَفْتَرِسُهُمْ حُمَّى وَوَبَاءٌ مُرٌّ.
أَنْيَابُ الْبَهَائِمِ أُطْلِقُهَا فِيهِمْ
مَعَ سَمِّ زَحَّافَاتِ التُّرَابِ.
السَّيْفُ مِنْ خَارِجٍ يُتْكَلِّهِمْ

والرُّعْبُ فِي دَاخِلِ الْمَخَادِعِ يُصِيبُهُمْ
الْفَتَى وَالْعَذْرَاءُ.

وَالرَّضِيعَ وَالشَّائِبَ.»

قُلْتُ: «إِنِّي أَشْتَتُهُمْ

وَمِنْ بَيْنِ الْأَنَامِ أُبِيدُ ذِكْرَهُمْ

لَوْلَا أَنِّي أَخَشَى صَلْفَ الْعَدُوِّ

لَتَلَّا يَغْتَرُّ خُصُومُهُمْ

وَيَقُولُوا: يَدُنَا قَدْ عَلَتْ

وَلَيْسَ الرَّبُّ صَنَعَ هَذَا كُلَّهُ.

لَأَنَّهَمْ أُمَّةٌ تَائِهَةٌ بِمَشُورَتِهَا

وَلَيْسَ فِيهِمْ فَهْمٌ.

لِيَتَّهَمُوا وَيَعْقِلُونَ وَيَفْهَمُونَ هَذَا

فَيَتَبَصَّرُونَ فِي عَاقِبَتِهِمْ!

كَيْفَ يُطَارِدُ الْوَاحِدُ أَلْفًا

وَيَهْزِمُ الْإِثْنَانِ رِبْوَةً

لَوْلَا أَنَّ صَخَّرَهُمْ بِاعْتِمَادِهِمْ

وَالرَّبُّ أَسْلَمَهُمْ؟

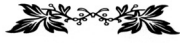
لَأَنَّ صَخْرَتَهُمْ لَيْسَتْ كَصَخْرَتِنَا
وَبِذَلِكَ أَعْدَاؤُنَا حَاكِمُونَ.
مِنْ جَفَنَةِ سَدُومَ جَفَنَتُهُمْ
وَمِنْ كُرُومِ عَمُورَةَ.
عَنْبُهُمْ عِنَبٌ سَمٌّ
وَعَنَاقِيدُهُمْ عَنَاقِيدُ مَرَارَةَ.
حُمَّةُ الثَّعَابِينَ خَمْرُهُمْ
وَسَمُّ الْأَفَاعِي الْأَلِيمِ.
أَلَا إِنَّهُ مَحْفُوظٌ عِنْدِي
وَمَخْتُومٌ عَلَيْهِ فِي ذَخَائِرِي
لِيَوْمِ الْإِنْتِقَامِ وَالثَّوَابِ
حِينَ تَعْتُرُ أَرْجُلَهُمْ
لَأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ يَوْمُ نَكْبَتِهِمْ
وَأَسْرَعُ مَا أُعِدَّ لَهُمْ
(لَأَنَّ الرَّبَّ يُنْصِفُ شَعْبَهُ
وَيَرَأْفُ بِعَبِيدِهِ)
إِذَا رَأَى أَنَّ الْقُوَّةَ قَدْ ذَهَبَتْ

ولم يَبْقَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ.
ويَقُولُ: أَيْنَ إِلَهَتُهُمْ
الصَّخْرُ الَّذِي إِلَيْهِ التَّجَاؤُا
هِيَ الَّتِي كَانَتْ تَأْكُلُ شُحُومَ ذَبَائِحِهِمْ
وَتَشْرَبُ خَمْرَ سُكْبِهِمْ؟
فَلْتَقُمْ وَتَتَصُرَّكُمْ
وَتَكُنَّ لَكُمْ مَلْجَأً
أُنظُرُوا الْآنَ، إِنَّنِي أَنَا هُوَ
وَلَا إِلَهَ مَعِي
أَنَا أُمِيتُ وَأُحْيِي
وَأَجْرِحُ وَأَشْفِي
(وَلَيْسَ مَنْ يُنْقِذُ مِنْ يَدِي).
أَرْفَعُ يَدِي إِلَى السَّمَاءِ
وَأَقُولُ: حَيٌّ أَنَا لِلْأَبَدِ.
إِذَا صَقَلْتُ بَارِقَ سَيْفِي
وَأَمْسَكْتُ بِالْقَضَاءِ يَدِي
رَدَدْتُ الْإِنْتِقَامَ عَلَى خُصُومِي

وَجَازَيْتُ مُبْغِضِيَّ .
أُسْكِرُ سِهَامِي مِنْ الدَّمَاءِ
وَسَيَفِي يَأْكُلُ لَحْمًا :
مِنْ دِمَاءِ الضَّحَايَا وَالسَّبَايَا
وَمِنْ رُؤُوسِ العُدُوِّ الشَّعْرَاءِ .
تَهَلَّلِي مَعَهُ أَيُّهَا السَّمَوَاتُ
وَاسْجُدُوا لَهُ يَا جَمِيعَ الآلِهَةِ .
تَهَلَّلِي أَيُّهَا الأُمَّمُ مَعَ شَعْبِهِ
وَلْتَعْلِنَ قُوَّتَهُ مَلَائِكَةُ اللّهِ جَمِيعًا
لأنَّهُ يَنثَارُ لِدَمِ عَبِيدِهِ
وَيَرُدُّ الأِنْتِقَامَ عَلَى خُصُومِهِ
وَيُجَازِي مُبْغِضِيهِ
وَيُكْفِّرُ عَنِ أَرْضِ شَعْبِهِ .
فَأَتَى مُوسَى وَقَرَأَ كَلِمَاتِ هَذَا النِّشِيدِ كُلَّهَا عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ ،
هُوَ وَيَشُوعُ بَنُ نُونِ .

مقتطفات من سفر النبي أيوب (عليه السلام)

د . خُطَبُ الرَّبِّ⁽¹⁾



1 - الخطاب الأول

الحكمة الخالقة تفجهم أيوب

فَأَجَابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ الْعاصِفَةِ وَقَالَ:

«مَنْ هَذَا الَّذِي يُسَوِّدُ تَدْبِيرِي

بِأَقْوَالٍ لَيْسَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِشَيْءٍ؟

شُدَّ وَسَطُكَ وَكُنَّ رَجُلًا

إِنِّي سَأَلْتُكَ فَأَخْبَرْتَنِي.

أَيْنَ كُنْتَ حِينَ أَسَّسْتُ الْأَرْضَ؟

تَكَلَّمْتَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا بِالْفِطْنَةِ.

مَنْ وَضَعَ مَقَادِيرَهَا إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ

أَمْ مِنْ مَدِّ الْحَبْلِ عَلَيْهَا؟

(1) سفر أيوب.

على أيّ شيءٍ عُزِّزَتْ قِوَاعِدُهَا
أَمْ مَنْ وَضَعَ حَجَرَ زَاوِيَتِهَا
إِذْ كَانَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ تُرَنِّمُ جَمِيعًا
وَكُلُّ بَنِي اللَّهِ يَهْتَفُونَ؟
وَمَنْ حَجَزَ الْبَحْرَ بِمِصْرَاعَيْنِ
حِينَ انْدَفَعَ خَارِجًا مِنَ الرَّحِمِ
إِذْ جَعَلَتْ الْغَمَامَ لِبَاسًا لَهُ
وَالغَيْمَ الْمُظْلِمَ قِمَاطًا
وَفَرَضَتْ عَلَيْهِ حُكْمِي
وَجَعَلَتْ لَهُ مَغَالِيقَ وَمِصْرَاعَيْنِ
وَقُلْتُ: إِلَى هُنَا تَأْتِي وَلَا تَتَّعَدِي
وَهُنَا يَقِفُ طُغْيَانُ أَمْوَاجِكَ؟
أَأَنْتَ فِي أَيَّامِكَ أَمَرْتَ الصُّبْحَ
وَعَرَّفْتَ الْفَجَرَ مَكَانَهُ
لِيَأْخُذَ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ
فَيُنْفِضَ الْأَشْرَارَ عَنْهَا؟

تَتَحَوَّلُ كَطِينِ الْخَاتَمِ
فَيَقُومُ كُلُّ شَيْءٍ كَأَنَّهُ مَكْسُورٌ بِالنِّيبِ
وَيُحْرَمُ الْأَشْرَارُ نُورَهُمْ
وَتُحَطَّمُ الذَّرَاعُ الْمُرْتَفِعَةُ.
هل وَصَلْتَ إِلَى يَنَابِيعِ الْبَحْرِ
أَمْ جُلْتَ فِي أَعْمَاقِ الْغَمْرِ؟
هل كَشَفْتَ لَكَ أَبْوَابَ الْمَوْتِ
أَمْ عَايَنْتَ أَبْوَابَ ظِلَالِ الْمَوْتِ؟
هل أَحَطْتَ بِعَرَضِ الْأَرْضِ؟
أَخْبِرْ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا بِكُلِّ ذَلِكَ.
أَيْنَ الطَّرِيقُ إِلَى مَقَرِّ النُّورِ؟
وَالظُّلْمَةُ أَيْنَ مَوْضِعُهَا
لِتَذْهَبَ بِهِمَا إِلَى أَرْضِهِمَا
وَتَعْرِفَ طُرُقَ مَسْكِنِهِمَا.
تَعْرِفُهَا لِأَنَّكَ كُنْتَ قَدْ وُلِدْتَ
وَعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثِيرٌ.

هل وَصَلْتَ إِلَى مَخَازِنِ الثَّلْجِ
أَمْ عَايَنْتَ مَخَازِنَ البَرْدِ
الَّتِي ادَّخَرْتُهَا لِأَوَانِ الشَّدَّةِ
لِيَوْمِ الحَرْبِ وَالقِتَالِ؟
بِأَيِّ طَرِيقٍ يَتَوَزَّعُ النُّورُ
وَتَتَشَبَّرُ الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ عَلَى الأَرْضِ؟
مَنْ شَقَّ قَنَاةً لِوَابِلِ المَطَرِ
وَطَرِيقًا لِقَصْفِ الرَّعْدِ
لِيُمَطِّرَ عَلَى أَرْضٍ لَا إِنْسَانَ فِيهَا
عَلَى قَفْرِ لَا بَشَرَ فِيهَا
لِيُرْوِيَ القِفَارَ المُقْفِرَةَ
وَيُنْبِتَ فِيهَا العُشْبَ؟
هل مِنْ أَبٍ لِلْمَطَرِ
أَمْ مِنْ وَلدٍ قَطْرَاتِ النَّدَى؟
مِنْ بَطْنٍ مِنْ خَرَجِ الجَلِيدِ
وَمِنْ وَلدٍ صَقِيْعِ السَّمَاءِ؟

تَتَجَمَّدُ الْمِيَاهُ كَالْحِجَارَةِ
وَيَتَمَاسِكُ وَجْهُ الْغَمْرِ.
أَأَنْتَ تَشُدُّ عُقْدَ الثُّرَيَّا
أَمْ أَنْتَ تَحُلُّ حِبَالَ الْجُوزَاءِ؟
أَتَطْلُعُ النُّجُومَ فِي أَوْقَاتِهَا
وَتَهْدِي النَّعْشَ مَعَ بَنَاتِهِ؟
هَلْ عَلِمْتَ أَحْكَامَ السَّمَوَاتِ
أَمْ جَعَلْتَ لَهَا سُلْطَانًا عَلَى الْأَرْضِ؟
أَتَرْفَعُ صَوْتَكَ إِلَى الْغُيُومِ
فَيُغَطِّيكَ غَمْرٌ مَاءً؟
أَتُرْسِلُ الْبُرُوقَ فَتَنْطَلِقُ
وَتَقُولُ لَكَ: «لَبَّيْكَ؟»
مَنْ وَضَعَ الْحِكْمَةَ فِي أَبِي الْمِنْجَلِ
أَمْ مَنْ أَعْطَى الدَّيِّكَ الْفِطْنَةَ؟
مَنْ يُحْصِي الْغُيُومَ بِحِكْمَتِهِ
وَمَنْ يُمِيلُ زَقَاقَ السَّمَوَاتِ

إِذِ يَتَلَبَّدُ التُّرَابُ وَيَتَلَصَّقُ المَدْرَ؟

أَتَصْطَادُ لِلْبُؤَةِ فَرِيستَهَا

وَتَشْبَعُ شَهِيَّةَ أَشْبَالِهَا

حِينَ تَرِبِضُ فِي العَرَائِنِ

وَتَقْعُدُ فِي أَجْمَتِهَا كَامِنَةً؟

مَنْ يَرْزُقُ العُرَابَ صَيِّدَهُ

إِذِ تَتَعَبُ فِرَاحَهُ إِلَى اللّٰهِ

وَتَهَيِّمُ لِعَوَزِ القُوتِ؟

هَلِ عِلْمَتَ مَتَى تَلِدُ وَعَوْلُ الصُّخُورِ

أَمْ رَقَبَتَ مَخَاضِ الأَيَّامِ؟

هَلِ حَسَبَتِ أَشْهُرَ حَمَلِهَا

وَعِلْمَتَ أَوَانَ وَضْعِهَا؟

تَجْتَمُّ فَتَدْفَعُ أَوْلَادَهَا

وَتَتَخَلَّصُ مِنْ مَخَاضِهَا.

ثُمَّ تَقْوَى أَوْلَادَهَا وَتَكْبِرُ

وَتَخْرُجُ إِلَى البَرِيَّةِ وَلَا تَعُودُ إِلَيْهَا.

مَنْ أَطْلَقَ سَرَاحَ حِمَارِ الْوَحْشِ
وَمَنْ حَلَّ وَثُقَ الْأَخْدَرِيِّ؟
جَعَلَتْ الْبَرِّيَّةُ بَيْتَهُ
وَالْأَرْضُ الْمَالِحَةَ مَسَاكِنَهُ.
يَضْحَكُ عَلَى جَلْبَةِ الْمَدُنِ
وَلَا يَسْمَعُ صِيَاحَ الْحَمَّارِ.
يَرْتَادُ مَرْعَاهُ فِي الْجِبَالِ
وَيَلْتَمِسُ كُلَّ خَضِرٍ.
أَيَرْضَى الثَّورُ الْوَحْشِيُّ أَنْ يَخْدُمَكَ
أَمْ يَبِيْتُ عِنْدَ مَعْلَفِكَ؟
أَتَرْبِطُهُ بِجَبَلٍ إِلَى خَطِّ الْمِحْرَاتِ
أَمْ يُمَشِّطُ الْأَوْدِيَةَ وَرَاءَكَ؟
أَتَتَّكِلُ عَلَى قُوَّتِهِ الْعَظِيمَةِ
وَتُفَوِّضُ إِلَيْهِ أَعْمَالَكَ؟
أَتَأْتَمِنُهُ أَنْ يَسْتَعْلِمَ مَا زَرَعْتَ
وَيَجْمَعَ بَيْدَرَكَ؟

جَنَاحُ النَّعَامَةِ يُرْفَرِفُ
وَلَا يُضَاهِي قَوَادِمَ اللَّقَاقِ وَرِيَشَهَا
فَإِنَّهَا تَتْرُكُ بِيضَهَا عَلَى الْأَرْضِ
وَتَحْضُنُهُ عَلَى التُّرَابِ
وَتَتَّسَى أَنَّ الرَّجْلَ تَطَّأَهُ
وَأَنَّ وَحْشَ الْبَرِّيَّةِ يَدُوسُهُ.
تَقْسُو عَلَى فِرَاحِهَا كَأَنَّهَا لَيْسَتْ لَهَا
فَلَا تَأْسَفُ مِنْ ضِيَاعِ تَعْبِهَا
لَأَنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْهَا الْحِكْمَةَ
وَلَمْ يَرْزُقْهَا الْفَهْمَ.
لَكِنْ إِذَا ارْتَفَعْتَ إِلَى الْعُلُوِّ
تَضْحَكُ عَلَى الْفَرَسِ وَرَاكِبِهِ.
أَأَنْتَ الَّذِي يُعْطِي الْفَرَسَ قُوَّةً
وَيُقَلِّدُ عُنُقَهُ ارْتِعَاشًا
وَيُوثِبُهُ كَالْجَرَادِ؟
إِنَّ مَهَابَةَ صَهِيلِهِ تُفْرِعُ.

يُكْدِفُ فِي الْوَادِي وَيَمْرَحُ نَشَاطًا
وَيَقْتَحِمُ لِلْقَاءِ السَّلَاحِ.
يَضْحَكُ عَلَى الذُّعْرِ وَلَا يَرْهَبُ
وَلَا يَنْهَزِمُ مِنَ السَّيْفِ.
تُصَلِّصِلُ عَلَيْهِ الْجَعْبَةَ
وَسِنَانُ الرُّمَحِ وَالْمِزْرَاقِ.
فِي هَيْجَانِهِ وَقَوْرِهِ يَلْتَهُمُ الْأَرْضُ
وَلَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ إِذَا هَتَفَ الْبُوقُ.
إِذَا نُفِخَ فِي الْبُوقِ يَقُولُ: هَا!
وَيَسْتَشْعِرُ الْقِتَالَ عَنْ بُعْدِ
وَصِيَاخِ الْقُوَادِ وَالْهُتَافِ.
أَبْفِطْنَتِكَ يَطِيرُ الْبَازِي فِي الْجَوِّ
وَيَبْسُطُ جَنَاحِيهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ
أَمْ بِأَمْرِكَ يُحَلِّقُ الْعُقَابُ
وَيَجْعَلُ وَكْرَهُ فِي الْعَلَاءِ؟
مَسْكِنُهُ الصَّخْرُ وَفِيهِ مَبِيئَتُهُ

وعلى أنف الصخر معقله .
من هناك يبحث عن قوته
وعيناها تريانها من بعيد .
فراخه تعبُ الدماء
وحيثما كانت القتلى فهناك يكون .
وواصل الربُّ كلامه إلى أيوب وقال :
«هل يخاصمُ القديرَ لائمه
ويجيبُ اللهَ موبِّخه؟»
فأجاب أيوبُ الربَّ وقال :
«تكلّمتُ بطيشٍ فبماذا أجيبك؟
إني أجعلُ يدي على فمي .
قد تكلّمتُ مرّةً فلا أُجيب
ومرّتينِ فلا أزيد .»

مقتطفات من سفر المزامير

المزمور 16 (15) (1)



(بصوت خافت . لداود).

اللَّهُمَّ احْفَظْنِي فَإِنِّي بِكَ اعْتَصَمْتُ.
قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي وَلَا خَيْرَ لِي سِوَاكَ».
الْإِلَهَةُ الَّذِينَ فِي هَذِي الْأَرْضِ أَوْلَيْكَ الْأَقْوِيَاءُ هَوَايَ كُلُّهُ فِيهِمْ
كَثُرَتْ أَصْنَامُهُمْ وَالنَّاسُ وَرَاءَهَا يَتَهَافَتُونَ.
أَمَّا أَنَا فَدَمًا لَهَا لَا أَسْكُبُ وَبَشَفَتِيَّ أَسْمَاءُهَا لَا أذْكَرُ.
الرَّبُّ كَأْسِي وَحِصَّةُ مِيرَاثِي أَنْتَ الضَّامِنُ لِنَصِيبِي
حِبَالُ التَّقْسِيمِ وَقَعْتَ لِي فِي نَعِيمٍ وَهُوَ لِي مِيرَاثٌ جَلِيلٌ.
أَبَارِكُ الرَّبَّ الَّذِي نَصَحَ لِي حَتَّى فِي اللَّيَالِي تُنذِرُنِي كُلِّيَّتَايَ.
جَعَلْتُ الرَّبَّ كُلَّ حِينٍ أَمَامِي إِنَّهُ عَنِ يَمِينِي فَلَنْ أَنْزَعَزَعَ.
لِذَلِكَ فَرِحَ قَلْبِي وَابْتَهَجَتْ نَفْسِي حَتَّى جَسَدِي اسْتَقَرَّ فِي أَمَانٍ
لَأَنَّكَ لَنْ تَتْرَكَ فِي مَنَوَى الْأَمْوَاتِ نَفْسِي.. وَلَنْ تَدَعَ صَفِيكَ يَرَى الْهُوَّةَ
سَتْبِينَ لِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ.
أَمَامَ وَجْهِكَ فَرِحْتُ تَامًا وَعَنِ يَمِينِكَ نَعِيمٌ عَلَى الدَّوَامِ.

(1) سفر المزامير (من أناشيد النبي داود عليه السلام).

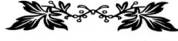
المزمور 17 (16)



صلاة. لداود.

يا رَبِّ، لِلْعَدْلِ اسْتَمِعْ وَلِصُرَاخِي أَنْصِتْ ، وَإِلَى صَلَاتِي أَصْغِ فَلَا غِشَّ فِي شَفَّتِي .
 لِيَصْدُرَ قَضَائِي مِنْ لَدُنْكَ فترى الاستقامة عيناك .
 قَدْ سَبَرْتَ قَلْبِي وَافْتَقَدْتَنِي لَيْلًا وَبِالنَّارِ مَحَصَّتَنِي فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا
 وَأَفْكَارِي لَمْ تَتَجَاوَزْ فَمَيِّ ، كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ .
 بِحَسَبِ كَلَامِ شَفَّتَيْكَ لَزِمْتُ الطُّرُقَ الَّتِي فَرَضْتَهَا
 فَتَبَّتْ فِي سُبُلِكَ خُطَايَ لَيْلًا تَزَلُّ قَدَمَايَ .
 اللَّهُمَّ إِنِّي دَعَوْتُكَ لِأَنَّكَ تُجِيبُنِي فَأَمَلْتُ أُذُنَكَ إِلَيَّ وَاسْتَمِعْ قَوْلِي .
 أَفِضْ مَرَاحِمَكَ يَا مُخَلِّصَ الْمُعْتَصِمِينَ بِيَمِينِكَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ
 إِحْفَظْنِي حِفْظَ الْحَدِيقَةِ ، إِنْسَانَ الْعَيْنِ . وَبِظِلِّ جَنَاحَيْكَ اسْتُرْنِي
 مِنْ وَجْهِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ يَبْطِشُونَ بِي . وَالْأَعْدَاءِ الَّذِينَ يُحَاصِرُونَنِي طَالِبِينَ نَفْسِي
 أَغْلَقُوا بِالشَّحْمِ قُلُوبَهُمْ وَبِالكِبْرِيَاءِ نَطَقَتْ أَفْوَاهُهُمْ .
 هَا إِنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ عَلَيَّ وَيُحِيطُونَ بِي وَإِلَيَّ يُحَدِّقُونَ لِيَصْرَعُونِي .
 يُشْبَهُونَ الْأَسَدَ الْمُتَلَهِّفَ لِلِالْفِتْرَاسِ ... وَالشُّبُلَ الرَّابِضَ فِي الْمَخْبَأِ .
 قُمْ يَا رَبُّ وَوَاجْهَهُ وَاصْرَعَهُ وَبِسَيْفِكَ نَجِّنِي مِنَ الشَّرِّيرِ نَفْسِي
 وَبِيَدِكَ يَا رَبُّ أَنْقِذْهَا مِنْ بَنِي الْبَشَرِ . الَّذِينَ إِنَّمَا حَظُّهُمْ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا
 فَمَلَأُوا بَطُونَهُمْ مِنْ ذَخَائِرِكَ فَيَشْبَعُ بَنُوهُمْ وَيَتْرَكُوا لِأَطْفَالِهِمْ فَضَلَاتِهِمْ .
 أَمَّا أَنَا فَبِالْبَرِّ أُشَاهِدُ وَجْهَكَ وَعِنْدَ الْيَقِظَةِ أَشْبَعُ مِنْ صَوْرَتِكَ .

المزمور 18 (17)



(لإمام الغناء، لعبد الرب داود. كَلَّمَ الرَّبُّ بِكَلَامِ هَذَا النَّشِيدِ يَوْمَ أَنْقَذَهُ الرَّبُّ مِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِهِ وَمِنْ يَدِ شَاوُلَ، فَقَالَ):

أُحِبُّكَ يَا رَبُّ، يَا قُوَّتِي..... يَا مُخَلِّصِي، مِنَ الْعُنْفِ خَلَّصْتَنِي
الرَّبُّ صَخَّرَتْنِي وَحَصَّنَنِي وَمُنْقَذَنِي ... إِلَهِي الصَّخْرُ بِهِ أَعْتَصِمُ
تُرْسِي وَقُوَّةَ خَلَاصِي وَمَلْجَأِي.

أَدْعُو الرَّبَّ سُبْحَانَهُ فَأَنْجُو مِنْ أَعْدَائِي.
أَمْوَاجُ الْمَوْتِ غَمَّرَتْنِي وَسَيُولُ بَلِيعَالُ رَوْعَتْنِي
وَحَبَائِلُ مَثْوَى الْأَمْوَاتِ حَاطَتْنِي وَشِبَالُ الْمَوْتِ اسْتَبَقَتْنِي.
فِي ضَيْقِي الرَّبُّ دَعَوْتُ وَإِلَيْهِ إِلَهِي صَرَخْتُ
فَسَمِعَ صَوْتِي مِنْ هَيْكَلِهِ وَبَلَغَ صُرَاخِي مِسْمَعِيهِ.
تَزَعَزَعَتِ الْأَرْضُ وَتَزَلْزَلَتْ وَأُسُسُ الْجِبَالِ ارْتَعَدَتْ
وَمِنْ غَضَبِهِ ارْتَجَّتْ

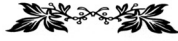
دُخَانٌ صَعِدَ مِنْ أَنْفِهِ وَنَارٌ أَكَلَتْ مِنْ فَمِهِ
وَجَمْرٌ اتَّقَدَّ مِنْهُ

أَمَالَ السَّمَوَاتِ وَنَزَلَ وَالغَيْمُ الْمُظْلِمُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ
رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ وَحَلَقَ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَّاحِ.

أَقَامَ مِنَ الظُّلْمَةِ حِجَابًا لَهُ وَمِنْ ظَلَامِ المِيَاهِ وَظَلَمَاتِ الغُيُومِ خَيْمَةً حَوْلَهُ.
 أَمَامَ بَهَائِهِ مَرَّتِ الغُيُومُ : بَرْدٌ وَجَمْرٌ نَارٌ.
 أَرَعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ وَأَطْلَقَ العَلِيُّ صَوْتَهُ.
 أَرْسَلَ سِهَامَهُ فَبَدَّدَهُمْ وَبُرُوقَهُ فَهَزَمَهُمْ.
 أَعْمَاقُ البَحْرِ انْكَشَفَتْ وَأُسُسُ الكَوْنِ انْجَلَتْ
 لِصَوْتِ وَعِيدِكَ يَا رَبُّ وَلِهُبُوبِ رِيحِ مَنْخَرِيكَ.
 يُرْسِلُ مِنْ عُلْيَائِهِ فَيَأْخُذُنِي وَمِنْ البِحَارِ يَنْتَشِلُنِي
 مِنْ عَدُوِّي الجِبَّارِ يُنْقِذُنِي مِنْ مُبِغِضِيَّ، لِأَنَّهُمْ أَقْوَى مِنِّي.
 فِي يَوْمِ بَلِيَّتِي ذَهَمُونِي فَكَانَ الرَّبُّ سَنَدِي.
 إِلَى الرَّحْبِ أَخْرَجَنِي وَلِأَنَّهُ يُحِبُّنِي خَلَّصَنِي.
 الرَّبُّ بِحَسَبِ بَرِّي كَافَأَنِي وَبِطَهَارَةِ يَدَيَّ أَنَابَنِي.
 لِأَنِّي حَفِظْتُ طُرُقَ رَبِّي وَلَمْ أَصْنَعْ شَرًّا بَعِيدًا عَنِ الإِلهِي.
 وَلِأَنَّ أَحْكَامَهُ كُلَّهَا أَمَامِي وَفَرَائِضَهُ لَمْ أَبْعِدْهَا عَنِّي.
 بَلْ كُنْتُ مَعَهُ كَامِلًا وَمِنَ الإِثْمِ صُنْتُ نَفْسِي.
 الرَّبُّ بِحَسَبِ بَرِّي كَافَأَنِي وَطَهَارَتِي أَمَامَ عَيْنِيهِ.
 مَعَ الصَّفِيِّ تَكُونُ صَفِيًّا وَمَعَ الكَامِلِ تَكُونُ كَامِلًا.
 مَعَ الطَّاهِرِ تَكُونُ طَاهِرًا وَمَعَ المُعْوِجِّ تَكُونُ مُلْتَوِيًّا
 لِأَنَّكَ تُخَلِّصُ الشَّعْبَ البَائِسَ ... وَتُخَفِّضُ أَنْظَارَ المُتَرْفِعِينَ.
 لِأَنَّكَ أَنْتِ تُوَقِّدُ سِرَاجِي إِلهِي أَنْزِلْ ظِلْمَتِي
 فَإِنِّي بِكَ أَفْتَحِمُ الحُصُونِ وَبِإِلهِي أَتَسَلَّقُ الأَسْوَارَ ...

مقتطفات من سفر الأمثال

مجموعة ثانية للنبي سليمان (عليه السلام) (1)



لَا تُكثِرْ نَقْلَ الْقَدَمِ إِلَى بَيْتِ قَرِيبِكَ
لئَلَّا يَسْأَمَ مِنْكَ فَيَكْرَهَكَ.
الإنسانُ الَّذِي يَشْهَدُ زُورًا عَلَى قَرِيبِهِ
إِنَّمَا هُوَ مِطْرَقَةٌ وَسَيْفٌ وَسَهْمٌ مَسْتَنُونَ.
التَّوَكُّلُ عَلَى الْخَادِعِ فِي يَوْمِ الضِّيقِ
سِنَّ مَنخُورَةٌ وَرَجُلٌ مَشْلُولَةٌ.
كَنَزَعِ الثِّيَابِ فِي أَوَانِ الْبَرْدِ
وَكَالْحَلِّ عَلَى الْجُرْحِ
هَكَذَا مَنْ يُغْنِي الْأَغَانِيَّ لِقَلْبِ مُصَابِ.
إِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمِهِ خُبْرًا
وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ مَاءً
فَإِنَّكَ تَرْكُمُ عَلَى هَامَتِهِ جَمْرًا

(1) سفر الأمثال .

والرَّبُّ يُجَازِيكَ .

رِيحُ الشَّمَالِ تُؤَلِّدُ المَطَرَ

واللِّسَانُ الهَامِسُ يَلِدُ الوَجْهَ العَبُوسَ .

السُّكْنَى فِي زَاوِيَةِ سَطْحٍ

خَيْرٌ مِنْ امْرَأَةٍ مُنَازِعَةٍ وَبَيْتٍ مُشْتَرَكٍ .

الخَبَرُ الصَّالِحُ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ

مِيَاهُ بَارِدَةٌ لِحَلِيقِ ظَامِيٍّ .

البَارُ المَتَعَثُّ أَمَامَ الشَّرِيرِ

مَعِينٌ مَدُوسٌ وَيَنْبُوعٌ مَلُوثٌ .

الإِكْتَارُ مِنْ أَكْلِ العَسَلِ غَيْرُ صَالِحٍ

وَلَا البَحْثُ عَنِ المَجْدِ تَلَوُّ المَجْدِ

الإِنْسَانُ الَّذِي لَا يَضْبِطُ رُوحَهُ

مَدِينَةٌ مُنْهَدِمَةٌ بِلا سَورِ

كَالتَّلْجِ فِي الصَّيْفِ وَالمَطَرِ فِي الحِصَادِ

هَكَذَا لَا يَلِيقُ المَجْدُ بِالجَاهِلِ .

كَالعُصْفُورِ الهَارِبِ وَالسُّنُونُو الطَّائِرِ

هكذا اللعنة بلا سبب لا تُصيب.
للفرس السوط وللحمار اللجام
ولظهور الجهال العصا.
لا تجاوب الجاهل بحسب غباوته
لئلا تكون أنت نظيره.
جاوب الجاهل بحسب غباوته
لئلا يكون حكيماً في عينيه.
من أرسل كلاماً على لسان جاهل
فإنما يقطع الرجلين ويتجرع العنق.
ساقا الأعرج واهيئان
وكذا المثل في أفواه الجهال.
مثل من يُكرم الجاهل
كمثل من يربط الحصى بالمقلاع.
كشوك في يد سكران
هكذا المثل في فم الجهال.
كالنابل الذي يجرح كل إنسان

هكذا مَنْ يَسْتَأْجِرُ الْجَاهِلَ وَالْمَارَّةَ.

ككَلْبٍ عَائِدٍ عَلَى قَيْئِهِ

هكذا الْجَاهِلُ الْمُكْرَّرُ غِبَاوَتَهُ.

أَرَأَيْتَ الْإِنْسَانَ الْحَكِيمَ فِي عَيْنَيْهِ؟

إِنَّ الْأَمَلَ فِي الْجَاهِلِ أَكْثَرُ مِنْهُ.

قَالَ الْكَسْلَانُ: «إِنَّ فِي الطَّرِيقِ لَيْثًا

إِنَّ فِي الشَّوَارِعِ أَسَدًا».

الْبَابُ يَدُورُ عَلَى مَفَاصِلِهِ

وَالْكَسْلَانُ عَلَى فِرَاشِهِ.

الْكَسْلَانُ يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الطَّبَقِ

يُتَعَبُهُ إِصَالُهَا إِلَى فَمِهِ.

الْكَسْلَانُ أَحْكَمُ فِي عَيْنَيْهِ

مِنْ سَبْعَةِ يُجِيبُونَ بِسَدَادٍ.

مَنْ مَرَّ فَتَدَخَّلَ فِي خُصُومَةٍ لَا تَعْنِيهِ

كَمَنْ يَأْخُذُ كَلْبًا بِأُذُنَيْهِ.

كَمَجْنُونٍ يَرْمِي سِهَامَ نَارٍ وَمَوْتَ

هكذا الإنسان الذي يخدعُ قريبه
ثمَّ يقول: «ألم أكنَّ مازحًا؟»
بانقطاع الحطبِ تنطفئُ النارُ
وبزوالِ النَّمَامِ يسكنُ النزاعُ.
الفحمُ على الجمرِ والحطبُ على النارِ
هكذا صاحبُ النزاعِ لإضرارِ الخصومةِ.
كَلِمَاتُ النَّمَامِ كَقِطْعِ الحَلْوَى
فهي تنزلُ إلى أخاديرِ الجوفِ.
الشفاهُ المتوهَّجةُ والقلبُ الشريرُ
فضةٌ ذاتُ خبثٍ على خزفٍ.
بشفتيه يتتكرُّ المبغضُ
وفي باطنه يجعلُ المكرَ.
إذا لطفك بصوته فلا تصدِّقه
فإنَّ في قلبه سبعَ قبائحٍ.
وإنَّ أخفي البغضِ بالمخادعةِ
فخبثه يكشفُ في الجماعةِ.

مَنْ يَحْفِرُ حُفْرَةً يَسْقُطُ فِيهَا
وَمَنْ يُدْحِرْ حَجْرًا يَرْجِعَ عَلَيْهِ.
لِسَانُ الزُّورِ يُبْغِضُ ضَحَايَاهُ
وَقَمُّ التَّمَلُّقِ يَجْلِبُ السُّقُوطُ.
لَا تَفْتَخِرْ بِيَوْمِ الْغَدِ
فَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ مَاذَا يَلِدُ الْيَوْمُ.
لِيَمْدَحَكَ الْغَرِيبُ لَا فَمَكَ
الْأَجْنَبِيُّ لَا شَفَاتَكَ.
الْحَجَرُ ثَقِيلٌ وَالرَّمْلُ بَاهِظٌ
وَعَضْبُ الْغَبِيِّ أَثْقَلُ مِنْهُمَا.
الْحَنَقُ قَاسٍ وَالغَضْبُ نَزِقٌ
وَأَمَّا الْحَسَدُ فَمَنْ الَّذِي يَقِفُ أَمَامَهُ؟
التَّوْبِيخُ الْمُجَاهِرُ بِهِ
خَيْرٌ مِنَ الْحُبِّ الْمُضْمَرِ.
جُرُوحُ الْمُحِبِّ أَمِينَةٌ
وَقَبْلُ الْمُبْغِضِ خَائِنَةٌ.

النَّفْسُ الشَّبَعِي تَدُوسُ الشَّهَدَ
وَالنَّفْسُ الْجَائِعَةَ كُلُّ مَرٍّ حُلُو.
كَالعُصْفُورِ الَّذِي يَشْرُدُ مِنْ عَشَّةِ
هَكَذَا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَشْرُدُ مِنْ وَطَنِهِ.
الزَّيْتُ وَالْبَخُورُ يُفْرِحَانِ الْقَلْبَ
وَعُدُوبَةُ الصَّدِيقِ مِنْ مَشُورَةِ النَّفْسِ.
لَا تَتْرِكْ صَدِيقَكَ وَلَا صَدِيقَ أَبِيكَ
وَلَا تَدْخُلْ بَيْتَ أَخِيكَ فِي يَوْمِ بُؤْسِكَ.
جَارٌ قَرِيبٌ خَيْرٌ مِنْ أَخٍ بَعِيدٍ.
يَا بُنَيَّ، كُنْ حَكِيمًا وَفَرِحْ قَلْبِي
فَأَجِيبَ مُعَيَّرِيَّ بِكَلِمَةٍ.
الْحَذِرُ يَرَى الشَّرَّ فَيَخْتَفِي
وَالسُّدُجُ يَعْبُرُونَ وَيُغَرَّمُونَ.
خُذْ تَوْبَهُ فَإِنَّهُ كَفَلَ غَرِيبًا
وَلَأَجَلَ الْأَجَانِبِ خُذْ مِنْهُ رَهْنًا.
مَنْ بَارَكَ قَرِيبَهُ بِصَوْتِ جَهِيرٍ

في الصَّبَاحِ بَاكِرًا
تُحَسَبُ بِرَكَتِهِ لَعْنَةٌ.
الْوَكْفُ الْمُتَوَاصِلُ فِي يَوْمِ مُمَطِرٍ
وَالْمَرْأَةُ الْمُنَازَعَةُ سَيِّئَانِ.
مَنْ ضَبَطَهَا فَإِنَّمَا يَضْبِطُ الرِّيحَ
وَيَقْبِضُ بِيَمِينِهِ عَلَى زَيْتِ.
الْحَدِيدُ يُصْقَلُ الْحَدِيدَ
وَالْإِنْسَانُ يُصْقَلُ تَجَاهَ صَدِيقِهِ.
مَنْ يَحْرُسُ تِينَةً يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا
وَمَنْ يَسْهَرُ عَلَى سَيِّدِهِ يُمَجِّدَهُ.
كَمَا أَنَّ الْمَاءَ يَعْكِسُ الْوَجْهَ
كَذَلِكَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ يَعْكِسُ الْإِنْسَانَ.
مَثْوَى الْأَمْوَاتِ وَالْهَائِيَّةُ لَا يَشْبَعَانِ
وَكَذَا عَيْنَا الْإِنْسَانِ لَا تَشْبَعَانِ
الْمَذُوبُ لِلْفِضَّةِ وَالْبُوتَقَةُ لِلذَّهَبِ
وَقِيمَةُ الْإِنْسَانِ بِحَسَبِ سُمْعَتِهِ.

لَو دَقَقْتَ الْغَبِيَّ فِي هَاوِنِ
بَيْنَ الْحُبُوبِ وَبِالْمِطْرَقَةِ
لَمَا فَارَقْتَهُ غَبَاوْتُهُ .
إِعْرِفْ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ أَحْوَالَ غَنَمِكَ
وَوَجِّهْ قَلْبَكَ إِلَى قُطْعَانِكَ .
فَإِنَّ الْغِنَى لَا يَدُومُ أَبَدًا
وَلَا التَّاجُ يَبْقَى إِلَى جِيلٍ فَجِيلٍ .
إِذَا رُفِعَ الْحَشِيشُ وَظَهَرَ الْعُشْبُ
وَجُمِعَ كَلَأُ الْجِبَالِ
تَكُونُ الْكِبَاشُ مَلْبُوسَكَ وَالتُّيُوسُ تَمَنَّ حَقْلُ
وَحَسْبُكَ لَبْنُ الْمَعْرِزِ طَعَامًا لَكَ
وَقَوَاتُ لِبَيْتِكَ وَمَعِيشَةٌ لِحَوَارِيكَ .
هَرَبَ الشَّرِيرُ وَلَا مَنْ يُطَارِدُهُ
أَمَّا الْأَبْرَارُ فَكَشِبِلٌ يَطْمَئِنُّونَ .
إِذَا عَصَتْ أَرْضٌ كَثُرَ رُؤْسَاوُهَا
وَبِإِنْسَانٍ فَطِنٍ عَلِيمٍ يَطُولُ اسْتِقْرَارُهَا .

الرَّجُلُ الْمُعَوِّزُ الظَّالِمُ لِلْفُقَرَاءِ
مَطْرٌ كَاسِحٌ لَا طَعَامَ مَعَهُ.
الَّذِينَ يُهْمِلُونَ الشَّرِيعَةَ يَحْمَدُونَ الشَّرِيرَ
وَالَّذِينَ يَحْفَظُونَ الشَّرِيعَةَ يَسْخَطُونَ عَلَيْهِ.
النَّاسُ الْأَشْرَارُ لَا يَفْطِنُونَ لِلْحَقِّ
وَالَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الرَّبَّ يَفْطِنُونَ لِكُلِّ شَيْءٍ.
المُعَوِّزُ السَّائِرُ فِي كَمَالِهِ
خَيْرٌ مِنْ مُعَوِّجِ الطَّرِيقِ وَهُوَ غَنِيٌّ.
مَنْ يَحْفَظُ الشَّرِيعَةَ فَهُوَ ابْنُ فِطْنٍ
وَمَنْ يُعَاشِرُ الْخُلَعَاءَ يُخْجَلُ أَبَاهُ.
مَنْ كَثُرَ مَالُهُ بِالرَّبِّبِيِّ وَالْفَائِدَةِ
جَمَعَهُ لِمَنْ يَرْحَمُ الْفُقَرَاءَ.
مَنْ يَصْرِفُ أُذُنَهُ عَنْ سَمَاعِ الشَّرِيعَةِ
فَصَلَاتُهُ أَيْضًا قَبِيحَةٌ.
مَنْ يُضِلُّ الْمُسْتَقِيمِينَ فِي طَرِيقِ السُّوءِ
فَهُوَ يَسْقُطُ فِي هَوْتِهِ وَالْكَامِلُونَ يَرِثُونَ خَيْرًا.

الغنيُّ حَكِيمٌ فِي عَيْنِيهِ
وَالْفَقِيرُ الْفَطْنُ يَفْحَصُهُ.
إِذَا ابْتَهَجَ الْأَبْرَارُ كَانَ فَخْرٌ عَظِيمٌ
وَإِذَا قَامَ الْأَشْرَارُ تَوَارَى النَّاسُ.
مَنْ كَتَمَ مَعَاصِيَهُ لَمْ يَنْجَحْ
وَمَنْ اعْتَرَفَ بِهَا وَأَقْلَعَ عَنْهَا يُرْحَمُ.
طُوبَى لِلْإِنْسَانِ الَّذِي يَخْشَى فِي كُلِّ حِينٍ
أَمَّا الَّذِي يُقَسِّي قَلْبَهُ فَيَسْقُطُ فِي السُّوءِ.
الشَّرِيرُ الَّذِي يَحْكُمُ شَعْبًا ضَعِيفًا
أَسَدٌ يَزَارُ وَدَبٌّ يَثْبُ.
القَائِدُ الَّذِي لَا فِطْنَةَ لَهُ يُكْثِرُ الْمَظَالِمَ
وَالَّذِي يُبْغِضُ الْكَسْبَ يُطِيلُ أَيَّامَهُ.
الْإِنْسَانُ الْمُرْتَكِبُ سَفْكَ دَمٍ
يَهْرُبُ إِلَى الْجُبِّ: فَلَا يُمَسِّكُهُ أَحَدٌ.
مَنْ سَارَ بِالسَّلَامَةِ يَخْلُصُ
وَالْمَعْوِجُ ذُو الطَّرِيقَيْنِ يَسْقُطُ فِي إِحْدَاهُمَا.

مَنْ يَفْلَحَ أَرْضَهُ يَشْبَعُ حُبْرًا
وَمَنْ يَسَّعَ وِرَاءَ التَّوْفَاهِ يَشْبَعُ فَاقَةً.
الرَّجُلُ الْأَمِينُ كَثِيرُ الْبَرَكَاتِ
وَالْمُغْتَتِي عَلَى عَجَلٍ لَا يُتَغَاضَى عَنْهُ.
مُرَاعَاةُ الْوُجُوهِ غَيْرُ صَالِحَةٍ
وَبِسَبَبِ كِسْرَةِ خُبْزٍ يَخْطَأُ الرَّجُلُ.
ذُو الْعَيْنِ الشَّرِيرَةِ يَتَهَافَتُ عَلَى الْمَالِ
وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ الْعَوَزَ يُدْرِكُهُ.
مَنْ وَبَّخَ إِنْسَانًا عَلَى طَرِيقِهِ
نَالَ فِي الْآخِرِ حُطْوَةً
أَكْثَرَ مِمَّنْ يُمَلِّقُ بِاللِّسَانِ.
الَّذِي يَسْلُبُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَقُولُ: لَا مَعْصِيَةَ
فَهُوَ شَرِيكٌ لِلْإِنْسَانِ الْمُدْمَرِّ.
الْجَشَعُ النَّفْسِ يُثِيرُ النَّزَاعَ
وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَى الرَّبِّ يَزْدَهَرُ.
مَنْ اتَّكَلَ عَلَى قَلْبِهِ فَهُوَ جَاهِلٌ

والسائرُ بِحِكْمَةٍ يَنْجُو.
مَنْ أَعْطَى الْمُعْوِزَ لَمْ تُدْرِكْهُ الْفَاقَةُ
وَمَنْ أَعْضَى عَيْنَيْهِ عَنْهُ فَعَلَيْهِ لَعْنَاتٌ كَثِيرَةٌ.
إِذَا قَامَ الْأَشْرَارُ تَوَارَى النَّاسُ
وَإِذَا هَلَكُوا تَكَاثَرَ الْأَبْرَارُ.
مَنْ وُبِّخَ فَصَلَّبَ عُنُقَهُ
يُحْطَمُ بَعْتَةً وَلَا عِلَاجَ
إِذَا تَكَاثَرَ الْأَبْرَارُ فَرِحَ الشَّعْبُ
وَإِذَا تَسَلَّطَ الشَّرِيرُ انْتَحَبَ الشَّعْبُ.
الْإِنْسَانُ الَّذِي يُحِبُّ الْحِكْمَةَ يُفْرِحُ أَبَاهُ
وَالَّذِي يُعَاشِرُ الزَّوَانِي يُتْلَفُ مَالَهُ.
الْمَلِكُ بِالْعَدْلِ يُنْبِتُ الْأَرْضَ
وَصَاحِبُ الْإِبْتِزَازِ يُخْرِبُهَا.
الرَّجُلُ الَّذِي يَتَمَلَّقُ لِقَرِيبِهِ.
يَنْصِبُ شَبَكَةً لِخَطَوَاتِهِ.
فِي مَعْصِيَةِ الْإِنْسَانِ الشَّرِيرِ فَخٌّ

والبارُّ يُرْتَمُ فَرِحًا .
البارُّ يَعْرِفُ قَضِيَّةَ الْفُقَرَاءِ
وَالشَّرِيرُ لَا يَفْطِنُ لِمَعْرِفَتِهَا .
النَّاسُ السَّاحِرُونَ يُلْقَوْنَ الْفِتْنَةَ فِي الْمَدِينَةِ
وَالْحُكَمَاءُ يَصْرِفُونَ عَنْهَا الْغَضَبَ .
الْحَكِيمُ الَّذِي يُخَاصِمُ غَيْبًا
غَضِبَ أُمَّ ضَحِكَ، لَا يَجِدُ رَاحَةً .
رِجَالُ الدِّمَاءِ يُبْغِضُونَ السَّلِيمَ
وَالْمُسْتَقِيمُونَ يَسْعَوْنَ إِلَيْهِ :
الْجَاهِلُ يُخْرِجُ كُلَّ مَا فِي صَدْرِهِ
وَالْحَكِيمُ يَكْبَحُهُ وَيُسْكِنُهُ .
إِذَا كَانَ السُّلْطَانُ يُصْنَعِي إِلَى كَلَامِ الْكَذِبِ
كَانَ خَدَمُهُ كُلُّهُمْ أَشْرَارًا .
الْفَقِيرُ وَرَجُلُ الْمِظَالِمِ تَلَاقِيَا :
الرَّبُّ يُنِيرُ أَعْيُنَ كِلَيْهِمَا .
الْمَلِكُ الَّذِي يَحْكُمُ لِلْفُقَرَاءِ بِالْحَقِّ

يُنْبَتُ عَرْشُهُ لِلأَبَدِ .
العصا والتوبيخ يهبان حكمةً
والفتى المهمل يخزي أمه .
إذا تكاثرت الأشرارُ تكاثرت المعاصي
والأبرارُ يرون سقوطهم .
أدب ابنك فيريحك
ويهب لنفسك السرّة .
إذا لم تكن هناك رؤيا
كان الشعب مُطلق العنان
والذي يحفظ الشريعة طوبى له .
بالكلام لا يُؤدب العبد
لأنه وإن فهم لا يجيب .
أرأيت الإنسان المتسرّع في كلامه؟
إنّ الأمل في الجاهل أكثر منه .
من دُلَّ عبده منذ صباه
وجده في آخر الأمر عاصياً .

الإنسان الغضوب يُثيرُ النزاع
وذو السُّخْطِ كثيرُ المعاصي.
كبرياءُ الإنسانِ تضعُه
والمُتواضعُ بِالرُّوحِ يحصلُ على الكرامة.
الَّذي يُقاسِمُ السَّارِقَ يُبغِضُ نَفْسَهُ
يَسْمَعُ اللَّعْنَ وَلَا يُخْبِرُ بِهِ.
خَشِيَّةُ البَشَرِ تُلقِي فَحَاً
والمُتَكَلِّ على الرَّبِّ هو في أمان.
كثيرونَ يَلْتَمِسُونَ وَجَهَ المُتَسَلِّطِ
ومنَ الرَّبِّ الحَقُّ لِكُلِّ إنسان.
الإنسانُ الشَّريرُ قَبِيحَةٌ عِنْدَ الأَبْرارِ
والمُسْتَقِيمُ الطَّرِيقِ قَبِيحَةٌ عِنْدَ الشَّريرِ.

مقتطفات من سفر الحكمة

سليمان والتماس الحكمة⁽¹⁾



على الملوك أن يطلبوا الحكمة :

فاسمعوا أيها الملوك وافهموا!

والمفتخرون بجموع أممكم!

لأن سلطانكم من الرب

وقدرتكم من العلي

وهو الذي سيفحص أعمالكم

ويستقصي نيئاتكم.

فإنكم أنتم الخادمين لملكه

لم تحكموا بالصواب ولم تحفظوا الشريعة

ولم تسيروا بحسب مشيئة الله.

فسيطلع عليكم مطلقاً ومخيفاً وسريعاً

لأن حكماً لا يُشفق يُجرى على الوجهاء.

(1) سفر الحكمة.

فإنَّ الصَّغِيرَ أَهْلٌ لِلرَّحْمَةِ .
أَمَّا أَرْبَابُ الْقُوَّةِ فَبِقُوَّةٍ يُفْحَصُونَ .
وسَيِّدُ الْجَمِيعِ لَا يَتَرَجَّعُ أَمَامَ أَحَدٍ
وَلَا يُهَابُ الْعِظَمَةَ
لأنَّ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ هُوَ صَنَعَهُمَا
وَهُوَ يَعْتَنِي بِالْجَمِيعِ عَلَى السَّوَاءِ .
لكنَّ الْمُقْتَدِرِينَ يَنْتَظِرُهُمْ تَحْقِيقٌ شَدِيدٌ .
فإِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُلُوكُ أُوجِّهُ كَلَامِي
لِكَيْ تَتَعَلَّمُوا الْحِكْمَةَ وَلَا تَزَلُّوا
فإنَّ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ بِقِدَاسَةٍ مَا هُوَ مُقَدَّسٌ
يُشْهَدُ لَهُمْ بِالْقِدَاسَةِ
وَتَعَلَّمُوا يَا قُضَاةَ أَقْصَايِ الْأَرْضِ!
أَصْغُوا أَيُّهَا الْمُسَلِّطُونَ عَلَى الْجَمَاهِيرِ
وَالَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَهُ يَجِدُونَ فِيهِ دِفَاعًا .
فَارْغَبُوا فِي كَلَامِي وَاصْبُوا إِلَيْهِ تَتَأَدَّبُوا .

الحكمة تأتي بإلقاء الإنسان

الحكمة ساطعة لا تدبيل

تَسْهَلُ مُشَاهَدَتُهَا عَلَى الَّذِينَ يُحِبُّونَهَا
وَيَهْتَدِي إِلَيْهَا الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَهَا
تَسْبِقُ فَتُعَرِّفُ نَفْسَهَا إِلَى الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِيهَا .
وَمَنْ بَكَرَ فِي طَلَبِهَا لَا يَتَعَبُ
لَأَنَّهُ يَجِدُهَا جَالِسَةً عِنْدَ بَابِهِ .
فَالْتَأَمَّلْ فِيهَا كَمَا لُ الْفِطْنَةَ
وَمَنْ سَهَرَ لِأَجْلِهَا
لَا يَلْبِثُ أَنْ يَخْلُوَ مِنَ الْهُمُومِ .
لَأَنَّ الَّذِينَ أَهْلٌ لَهَا هِيَ الَّتِي تَجُولُ فِي طَلَبِهِمْ
وَفِي سُبُلِهِمْ تَظْهَرُ لَهُمْ بَعْطَفٌ
وَفِي كُلِّ خَاطِرٍ يَخْطُرُ لَهُمْ تَأْتِي لِإِلَاقَاتِهِمْ .
فَأَوَّلُهَا الرِّغْبَةُ الصَّادِقَةُ فِي التَّأْدِيبِ
وَالِإِهْتِمَامُ بِالتَّأْدِيبِ هُوَ الْمَحَبَّةُ
وَالْمَحَبَّةُ هِيَ حِفْظُ شَرَائِعِهَا
وَمُرَاعَاةُ الشَّرَائِعِ هِيَ ضَمَانُ عَدَمِ الْفَسَادِ
وَعَدَمُ الْفَسَادِ هُوَ التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ .

فَالرَّغْبَةُ فِي الْحِكْمَةِ تَقُودُ إِلَى الْمَلَكُوتِ.
فَإِنْ طَابَتْ لَكُمْ الْعُرُوشُ وَالصَّوَالِجَةُ
يَا مُلُوكَ الشُّعُوبِ
فَأَكْرِمُوا الْحِكْمَةَ لِكَيْ تَمْلِكُوا لِلْأَبَدِ.

سُلَيْمَانُ يَصِفُ الْحِكْمَةَ

وَأَنَا أُخْبِرُكُمْ مَا الْحِكْمَةُ وَكَيْفَ نَشَأَتْ
وَلَا أَكْتُمُ عَنْكُمْ الْأَسْرَارَ.
لَكِنِّي أَنْقَصَّاهَا مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهَا
وَأَجْعَلُ مَعْرِفَتَهَا بَيِّنَةً
وَلَا أَحِيدُ عَنِ الْحَقِّ
وَلَا أَسِيرُ مَعَ الْحَسَدِ الْمَذِيبِ
لَأَنَّهُ لَا حَظَّ لَهُ فِي الْحِكْمَةِ.
إِنَّ كَثْرَةَ الْحُكَمَاءِ خَلَاصُ الْعَالَمِ
وَالْمَلِكِ الْفَطِنِ ثِبَاتُ الشُّعْبِ.
فَتَأَدَّبُوا بِأَقْوَالِي تَسْتَفِيدُوا مِنْهَا.

لَمْ يَكُنْ سُلَيْمَانُ إِلَّا إِنْسَانًا

إِنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ

قَابِلٌ لِّلْمَوْتِ مُسَاوٍ لِّجَمِيعِ النَّاسِ
مُتَحَدِّرٌ مِّنْ أَوَّلِ مَنْ جَبَلَ مِنَ الْأَرْضِ
وَقَدْ صُوِّرَتْ جَسَدًا فِي بَطْنِ أُمِّ^١
وَفِي مَدَّةِ عَشْرَةِ أَشْهُرٍ تَكَوَّنَتْ فِي الدَّمِّ
مِنْ زَرْعِ رَجُلٍ
وَمِنَ اللَّذَّةِ الَّتِي تُصَاحِبُ النَّوْمَ.
وَلَمَّا وُلِدَتْ تَنَفَّسَتْ أَنَا أَيْضًا الْهَوَاءَ الْمَشْتَرَكِ
وَسَقَطَ رَأْسِي إِلَى الْأَرْضِ
كَمَا هِيَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وَكَانَ الْبُكَاءُ صُرَاخِي الْأَوَّلَ
كَمَا هُوَ لِّجَمِيعِ النَّاسِ.
وَرُبِّيتُ فِي الْقَمْطِ وَالْهُمُومِ
فَإِنَّهُ لَيْسَ لِمَلِكٍ بَدْءُ وُجُودٍ غَيْرُ هَذَا
بَلْ وَاحِدٌ دُخُولُ الْجَمِيعِ إِلَى الْحَيَاةِ
وَسَوَاءٌ خُرُوجُهُمْ مِنْهَا.

تقدير سليمان للحكمة

لِذَلِكَ صَلَّيْتُ فَأُوتِيْتُ الْفِطْنَةَ
وَدَعَوْتُ فَأَتَانِي رُوحُ الْحِكْمَةِ .
فَفَضَّلْتُهَا عَلَى الصَّوَالِجَةِ وَالْعُرُوشِ
وَعَدَدْتُ الْغِنَى كَلَا شَيْءٍ بِالْقِيَاسِ إِلَيْهَا
وَلَمْ أُعَادِلْ بِهَا الْحَجَرَ الَّذِي لَا يُقَدَّرُ
لَأَنَّ كُلَّ الذَّهَبِ بِإِزَائِهَا قَلِيلٌ مِنَ الرَّمْلِ
وَالْفِضَّةُ عِنْدَهَا تُحَسَبُ طِينًا .
وَأَحْبَبْتُهَا فَوْقَ الْعَافِيَةِ وَالْجَمَالِ
وَأَثَرْتُ أَنْ أَتَّخِذَهَا قَبْلَ النُّورِ
لَأَنَّ رَوْنَقَهَا لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ .
فَأَتَتْنِي مَعَهَا جَمِيعُ الْخَيْرَاتِ
وَعَنْ يَدَيْهَا غِنَى لَا يُحْصَى .
فَسُرَّرْتُ بِهَذِهِ الْخَيْرَاتِ كُلِّهَا
لَأَنَّهَا بِإِمْرَةِ الْحِكْمَةِ
وَلَمْ أَكُنْ عَالِمًا بِأَنَّهَا أُمَّ لَهَا جَمِيعًا .

وما تَعَلَّمْتَهُ بِإِخْلَاصٍ أُشْرِكُ فِيهِ بِسَخَاءٍ
وَلَا أَكْتُمُ غِنَاهَا .

فإِنَّهَا كَنْزٌ لِلنَّاسِ لَا يَنْفَدُ
وَالَّذِينَ اقْتَتَوْهُ كَسَبُوا صَدَاقَةَ اللَّهِ
وَقَدْ أَوْصَتْهُ بِهِمْ
المَوَاهِبُ الصَّادِرَةُ عَنِ التَّأْدِيبِ .

دَعْوَةٌ إِلَى الإِلَهَامِ الإِلَهِيِّ

لِيَهَبَ لِي اللَّهُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِحَسَبِ رَغْبَتِهِ
وَأَنْ أُجْرِيَ فِي خَاطِرِي
مَا يَلِيقُ بِمَا نَلْتُهُ مِنَ المَوَاهِبِ
فإنَّهُ هُوَ دَلِيلُ الحِكْمَةِ وَمُرْشِدُ الحُكَمَاءِ .
وَفِي يَدِهِ نَحْنُ وَأَقْوَالُنَا
وَكُلُّ فِطْنَةٍ وَكُلُّ عِلْمٍ مِنَ عُلُومِ الصَّنَاعَةِ .
فهُوَ الَّذِي وَهَبَ لِي عِلْمًا يَقِينًا بِالكَائِنَاتِ
حَتَّى أَعْرِفَ نِظَامَ العَالَمِ وَفَاعِلِيَّةَ العِنَاصِرِ
وَمَبْدَأَ الأَزْمِنَةِ وَمُنْتَهَاهَا وَمَا بَيْنَهُمَا

وَتَعَاقَبَ الْإِعْتِدَالَاتِ وَتَغَيَّرَ الْفُصُولُ
وَدَوَائِرَ السَّنَةِ وَمَرَكَزَ النُّجُومِ
وَطَبَائِعَ الْحَيَوَانَاتِ وَغَرَائِزَ الْوُحُوشِ
وَنِعَمَاتِ الْأَرْوَاحِ وَخَوَاطِرِ الْبَشَرِ
وَأَنْوَاعِ النَّبَاتِ وَخَوَاصِّ الْجُدُورِ
فَعَرَفْتُ كُلَّ مَا خَفِيَ وَكُلَّ مَا ظَهَرَ
لَأَنَّ مُهَنْدِسَةَ كُلِّ شَيْءٍ عَلَّمْتَنِي
وَهِيَ الْحِكْمَةُ.

مَدِيحُ الْحِكْمَةِ

فَإِنَّ فِيهَا رُوحًا فَطِنًا قُدُوسًا
وَحِيدًا مُتَشَعِّبًا لَطِيفًا
مُتَحَرِّكًا ثَاقِبًا طَاهِرًا
وَاضِحًا سَلِيمًا مُحِبًّا لِلْخَيْرِ حَادًا
حُرًّا مُحْسِنًا مُحِبًّا لِلْبَشَرِ
ثَابِتًا آمِنًا مُطْمَئِنًّا
يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَيُرَاقِبُ كُلَّ شَيْءٍ

يَنْفِذُ إِلَى جَمِيعِ الْأَرْوَاحِ
الْفَهْمَةَ مِنْهَا وَالطَّاهِرَةَ وَالْأَشَدَّ لَطَافَةً
لَأَنَّ الْحِكْمَةَ أَكْثَرَ حَرَكَةً مِنْ كُلِّ حَرَكَةٍ
فَهِيَ لَطَهَارَتِهَا تَخْتَرِقُ وَتَنْفِذُ كُلَّ شَيْءٍ.
فإِنَّهَا نَفْحَةٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ
وَانْبِعَاثٌ خَالِصٌ مِنْ مَجْدِ الْقَدِيرِ
فَلِذَلِكَ لَا يَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا شَيْءٌ نَجِسٌ
لَأَنَّهَا انْعِكَاسٌ لِلنُّورِ الْأَزَلِيِّ
وَمِرَاةٌ صَافِيَةٌ لِعَمَلِ اللَّهِ
وَصُورَةٌ لِصَلَاحِهِ.
تَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهِيَ وَحْدَهَا
وَتَجَدِّدُ كُلَّ شَيْءٍ وَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي ذَاتِهَا
وَعَلَى مَرِّ الْأَجْيَالِ تَجْتَازُ إِلَى نُفُوسٍ قَدِيْسَةٍ
فَتُنشِئُ أَسْدِقَاءَ لِلَّهِ وَأَنْبِيَاءَ
لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ إِلَّا مَنْ يُسَاكِنُ الْحِكْمَةَ.
فإِنَّهَا أَبْهَى مِنَ الشَّمْسِ

وَأَسْمَى مِنْ كُلِّ مَجْمُوعَةٍ نُجُومٍ
وَإِذَا قِيسَتْ بِالنُّورِ ظَهَرَ تَفَوُّقُهَا
لَأَنَّ النُّورَ يَعْقُبُهُ اللَّيْلُ.
أَمَّا الْحِكْمَةُ فَلَا يَغْلِبُهَا الشَّرُّ.
إِنَّهَا تَمْتَدُّ بِقُوَّةٍ.
مِنْ أَقْصَى الْعَالَمِ إِلَى أَقْصَاهُ
وَتَدَبَّرُ كُلَّ شَيْءٍ لِلْفَائِدَةِ.

الحكمة زوجة مثالية لسليمان

وهي التي أحببتها والتمستها منذ حدثتني
وسعيت أن أتخذها لي عروساً
وصرت لجمالها عاشقاً.
تظهر أصلها الكريم باشتراكها في حياة الله
وقد أحبها سيّد الجميع
فهي مطلّعة على علم الله والمتخيرة لأعماله.
إذا كان الغنى ملكاً مرغوباً فيه
فأي شيء أغنى من الحكمة

الَّتِي تَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ؟

وَإِنْ كَانَتْ الْفِطْنَةُ هِيَ الَّتِي تَعْمَلُ

فَمَنْ أَمَهَرُ مِنْهَا فِي هَنْدَسَةِ الْكَائِنَاتِ؟

وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ يُحِبُّ الْبِرَّ

فَاتَّعَابُهَا هِيَ الْفَضَائِلُ

لِأَنَّهَا تُعَلِّمُ الْقِنَاعَةَ وَالْفِطْنَةَ وَالْبِرَّ وَالشَّجَاعَةَ

الَّتِي لَا شَيْءَ لِلنَّاسِ فِي الْحَيَاةِ أَنْفَعُ مِنْهَا.

وَإِذَا كَانَ أَحَدٌ يَرِغِبُ فِي خَيْرَةٍ وَاسِعَةٍ

فَهِيَ تَعْرِفُ الْمَاضِيَّ وَتَتَكَهَّنُ بِالْمُسْتَقْبَلِ

وَتُحَسِّنُ صَوْعَ الْحِكْمِ وَحَلَّ الْأَلْغَازِ

وَتَعَلِّمُ بِالْآيَاتِ وَالْخَوَارِقِ قَبْلَ حُدُوثِهَا

وَيَتَعَاقَبُ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمِنَةَ.

لَا يَسْتَغْنَى الْمَلُوكُ عَنِ الْحِكْمَةِ

لِذَلِكَ عَزَمْتُ أَنْ أَتَّخِذَهَا قَرِينَةً لِحَيَاتِي

عَلِمًا بِأَنَّهَا تَكُونُ لِي مُشِيرَةً لِلْخَيْرِ

وَمُشَدِّدَةً فِي الْهَمُومِ وَالْغَمِّ

فِيكُونُ لِي بِهَا مَجْدٌ عِنْدَ الْجُمُوعِ
وَكِرَامَةٌ لَدَى الشُّيُوخِ مَعَ صِغَرِ سِنِّي
وَيَجِدُونَنِي ثَاقِبَ الْفِكْرِ فِي إِجْرَاءِ الْحُكْمِ
وَيُعْجَبُونَ بِي أَمَامَ الْمُقْتَدِرِينَ .
وَإِذَا صَمَتُّ يُنْتَظِرُونَنِي
وَإِذَا تَكَلَّمْتُ يُصْغَوْنَ
وَإِذَا أَفْضْتُ فِي الْكَلَامِ
يَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ .
وَأَنَالُ بِهَا الْخُلُودَ
وَأُخَلِّفُ عِنْدَ الَّذِينَ بَعْدِي ذِكْرًا مُؤَبَّدًا .
أَحْكُمُ الشُّعُوبَ وَتَخْضَعُ لِي الْأُمَمُ .
يَسْمَعُ بِي مُلُوكٌ مَرَّهَوِبُونَ فَيَخَافُونَ
وَأَظْهَرُ فِي الْجَمْعِ صَالِحًا
وَفِي الْحَرْبِ شُجَاعًا .
وَإِذَا دَخَلْتُ بَيْتِي اسْتَرَحْتُ إِلَى جَانِبِهَا
لَأَنَّهُ لَيْسَ فِي مُعَاشَرَتِهَا مَرَارَةٌ .

ولا في الحَيَاةِ مَعَهَا غَمٌّ

بل سُرُورٌ وَفَرَحٌ.

سُلَيْمَانُ يَلْتَمِسُ الْحِكْمَةَ

وَبَعْدَ أَنْ فَكَّرْتُ فِي نَفْسِي بِهَذِهِ

واعتَبَرْتُ فِي قَلْبِي

أَنَّ فِي قُرْبِي الْحِكْمَةَ خُلُودًا

وَفِي صِدَاقَتِهَا لَذَّةٌ سَامِيَةٌ

وَفِي أَتْعَابِ يَدَيْهَا غِنًى لَا يَفْنَى

وَفِي الْمُوَاطَبَةِ عَلَى مُعَاشَرَتِهَا فِطْنَةٌ

وَفِي التَّحَدُّثِ إِلَيْهَا سُمْعَةٌ

أَخَذْتُ أَطُوفُ طَالِبًا كَيْفَ أَتَّخِذُهَا لِنَفْسِي.

كُنْتُ صَبِيًّا حَسَنَ الطَّبَاعِ

وَرُزِقْتُ نَفْسًا صَالِحَةً

بَلْ كُنْتُ بِالْأَحْرَى صَالِحًا

فَأَتَيْتُ فِي جَسَدٍ غَيْرِ مُدَنَّسٍ.

وَلَمَّا عَلِمْتُ بِأَنِّي لَا أَكُونُ صَاحِبَ حِكْمَةٍ

ما لم يهبها لي الله
وقد كان من الفطنة
أن أعلم ممن هذه النعمة
توجهت إلى الرب وسألته
وقلت من كل قلبي:

صلاة نيل الحكمة

«يا إله الآباء ويا رب الرحمة
يا صانع كل شيء بكلمتك
ومكون الإنسان بحكمتك
لكي يسود الخلائق التي صنعتها
ويسوس العالم بالقداسة والبر
ويجري الحكم باستقامة النفس
هب لي الحكمة
الجالسة معك إلى عرشك
ولا تبدني من بين أبنائك
فإني أنا عبدك وابن أمتك

إِنْسَانٌ ضَعِيفٌ قَصِيرُ الْحَيَاةِ
قَلِيلُ الْإِدْرَاكِ لِلْقَضَاءِ وَالشَّرَائِعِ.
فَلَوْ كَانَ فِي بَنِي الْبَشَرِ أَحَدٌ كَامِلٌ
وَلَمْ تَكُنْ مَعَهُ الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْكَ
فَلَا يُحْسَبُ شَيْئًا
قَدْ اخْتَرْتَنِي أَنْتَ لِشَعْبِكَ مَلِكًا
وَلِأَبْنَائِكَ وَبَنَاتِكَ قَاضِيًا
وَأَمَرْتَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَيْكَلًا فِي جَبَلٍ قُدْسِكَ
وَمَذْبَحًا فِي الْمَدِينَةِ
الَّتِي نَصَبْتَ فِيهَا خَيْمَتَكَ
عَلَى مِثَالِ الْخَيْمَةِ الْمُقَدَّسَةِ
الَّتِي هَيَّأْتَهَا مِنْذُ الْبَدْءِ.
إِنَّ مَعَكَ الْحِكْمَةَ الْعَلِيمَةَ بِأَعْمَالِكَ
وَالَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً حِينَ صَنَعْتَ الْعَالَمَ
وَهِيَ عَارِفَةٌ مَا الْمَرَضِيُّ فِي عَيْنِكَ
وَالْمُسْتَقِيمُ بِحَسَبِ وَصَايَاكَ.

فَأَرْسَلَهَا مِنَ السَّمَوَاتِ الْمُقَدَّسَةِ
وَابْعَثَهَا مِنْ عَرْشِ مَجْدِكَ
لِكَيْ تَقِفَ إِلَى جَانِبِي وَتَجِدَ مَعِيَ
وَأَعْلَمَ مَا الْمَرْضِيُّ لَدَيْكَ.
فَإِنَّهَا تَعْلَمُ وَتَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ
فَتَكُونُ لِي فِي أَعْمَالِي مُرْشِدًا فَطِينًا
وَبِمَجْدِهَا تَحْمِينِي
فَتُصْبِحُ أَعْمَالِي مَقْبُولَةً
وَأَحْكُمُ لِشَعْبِكَ بِالْعَدْلِ
وَأَكُونُ أَهْلًا لِعَرْشِ أَبِي.
فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ قَضَاءَ اللَّهِ
أَوْ مَنْ الَّذِي يَتَصَوَّرُ مَا يُرِيدُ الرَّبُّ؟
لَأَنَّ أَفْكَارَ الْبَشَرِ مُتَرَدِّدَةٌ
وَخَوَاطِرُنَا غَيْرُ رَاسِخَةٍ
فَإِنَّ الْجَسَدَ الْفَاسِدَ يُثْقِلُ النَّفْسَ
وَالْخَيْمَةَ التُّرَابِيَّةَ

عِبَاءٌ لِلْعَقْلِ الْكَثِيرِ الْهَمُومِ .
وَنَحْنُ بِالْجَهْدِ نَتَكَهَّنُ بِمَا عَلَى الْأَرْضِ
وَبِالْكَدِّ نَهْتَدِي إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِينَا
فَمَا فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الَّذِي اكْتَشَفَهُ؟
وَمَنْ الَّذِي عَلَّمَ بِمَشِيئَتِكَ
لَوْ لَمْ تُؤْتِ الْحِكْمَةَ
وَتُرْسِلُ مِنَ الْعُلَى رُوحَكَ الْقُدُّوسَ؟
هَكَذَا قُوِّمَتْ سُبُلُ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ
وَتَعَلَّمَ النَّاسُ مَا يُرْضِيكَ
وَبِالْحِكْمَةِ نَالُوا الْخَلَاصَ» .

عمل الحكمة في التاريخ



من آدم إلى موسى

هي التي سهرت على أول من جيل أبي العالم
بعد أن خلق وحيداً
وأنقذته من زلته
وأعطته قوة ليتسلط على كل شيء.
ولما ارتد عنها ظالم في غضبه
هلك في حنقه الذي قتل به أخاه.
ولما غمر الطوفان الأرض بسببه
عادت الحكمة فخلصتها
إذ هدت البار بخشب حقير.
ولما أجمعت الأمم على الشر فأخزيت معاً
فهي التي عرفت البار
وصانته بلا عيب أمام الله
وحفظته أقوى من حنانه لوكدته.
وهي التي أنقذت البار لما هلك الكافرون

وكان هاربًا من النار الهابطة
على المدن الخمس.
ولا تزال هناك للشهادة على شرهم
أرض مقفرة يسطع منها دخان
ونبات يثمر ثمرًا لا ينضج في أوانه
وعمود من ملح قائم تذكارًا لنفس لم تؤمن.
والذين حادوا عن الحكمة
لم يقتصر ضررهم على عدم معرفة الخير
ولكنهم تركوا للأحياء ذكرًا لحماقتهم
بحيث لا يستطيعون كتمان عثراتهم.
لكن الحكمة أنقذت خدامها من أتعابهم.
وهي التي هدت البار الهارب
من غضب أخيه سبلاً مستقيمة
وأرته ملكوت الله وآتته معرفة المقدسات
وأنجحته في أتعابه وكثرت ثمر أعماله.
ونصرته على طمع مضايقيه وأغنته.
ووقته من أعدائه وحمته من الكافرين له
وحكمت له في قتال شديد

لِكَيْ يَعْلَمَ أَنَّ التَّقْوَى أَقْدَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
وهي التي لم تترك البار الذي باعوه
بل نَشَلْتَهُ مِنَ الْخَطِيئَةِ وَنَزَلَتْ مَعَهُ فِي الْجُبِّ
ولم تُفَارِقْهُ فِي الْقُبُودِ
حَتَّى أَتَتْهُ بِصَوْلَجَانَ الْمَلِكِ
وَبَسُلْطَانَ عَلَى الَّذِينَ كَانُوا مُتَسَلِّطِينَ عَلَيْهِ
فَكَذَّبَتِ الَّذِينَ كَانُوا يَأْخُذُونَ عَلَيْهِ الْمَأْخُذَ
وَأَتَتْهُ مَجْدًا أَبَدِيًّا .

الخروج

وهي التي أَنْقَذَتْ شَعْبًا مُقَدَّسًا
وَدُرِّيَّةً لَا عَيْبَ فِيهَا
مِنْ أُمَّةٍ مُضَايِقِينَ
وَحَلَّتْ نَفْسَ عَبْدٍ لِلرَّبِّ
وَقَاوَمَتْ مُلُوكًا مَرَّهَوِيْنَ بِخَوَارِقِ آيَاتِ .
وَجَزَّتِ الْقَدِيسِينَ ثَوَابَ أَتْعَابِهِمْ
وَهَدَتْهُمْ طَرِيقًا عَجِيبًا
وَكَانَتْ لَهُمْ مَلْجَأً فِي النَّهَارِ
وَضِيَاءً نُجُومٍ فِي اللَّيْلِ .

وَعَبَّرَتْ بِهِمِ الْبَحْرَ الْأَحْمَرَ
وَجَاذَتْ بِهِمِ غَزِيرَ الْمِيَاهِ.
أَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَأَغْرَقْتَهُمْ
ثُمَّ قَذَفْتَهُمْ مِنْ أَعْمَاقِ الْغِمَارِ.
وَلِذَلِكَ فَالْأَبْرَارُ سَلَبُوا الْكَافِرِينَ
وَأَشَادُوا بِاسْمِكَ الْقُدُّوسِ أَيُّهَا الرَّبُّ
وَحَمَدُوا بِقَلْبٍ وَاحِدٍ يَدَكَ الَّتِي حَمَتَهُمْ
لَأَنَّ الْحِكْمَةَ فَتَحَتْ أَفْوَاهَ الْخُرْسِ
وَأَوْضَحَتْ أَلْسِنَةَ الْأَطْفَالِ.
وَوَفَّقَتْ مَسَاعِيَهُمْ
عَنْ يَدِ نَبِيِّ قَدِيسٍ
فَسَارُوا فِي بَرِيَّةٍ غَيْرِ مَسْكُونَةٍ
وَنَصَبُوا خِيَامَهُمْ فِي أَمَاكِنَ لَمْ تَطَّأَهَا قَدَمٌ
وَقَاوَمُوا مُحَارِبِيهِمْ وَرَدُّوا أَعْدَاءَهُمْ.

معجزة الماء. المقابلة الأولى

عَطِشُوا فَدَعَا إِلَيْكَ
فَأَعْطُوا مَاءً مِنْ صَخْرَةٍ شَدِيدَةِ الْإِنْجِدَارِ
وَشِفَاءً لِفَلِيلِهِمْ مِنَ الْحَجَرِ الْجَلْمُودِ

فَالأُمُورُ الَّتِي عَوقِبَ بِهَا أَعْدَاؤُهُمُ أَصَبَحَت
تِلْكَ الَّتِي أَحْسَنَ بِهَا إِلَيْهِمُ فِي ضَيْقِهِمُ .

وَبَدَلًا مِنْ مَعِينِ نَهَرٍ دَائِمٍ

يُعَكِّرُهُ دَمٌ مُوَحَّلٌ

عِقَابًا عَلَى أَمْرٍ بِقَتْلِ أَطْفَالٍ

أَعْطَيْتَهُمْ عَلَى غَيْرِ رَجَاءٍ مَاءً غَزِيرًا

بَعْدَ أَنْ أَرَيْتَهُمْ بَعْطَشِهِمْ إِذْ ذَاكَ

كَيْفَ عَاقَبْتَ خُصُومَهُمْ .

فَإِنَّهُمْ لَمَّا امْتَحَنُوا

وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ تَأْدِيبَ رَحْمَةٍ

عَرَفُوا كَيْفَ كَانَ عَذَابُ الكَافِرِينَ

الَّذِينَ حَوَكِمُوا بِالغَضَبِ

لَأنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ امْتَحَنَتَهُمْ كَأَبٍ يُنذِرُهُمْ

وَأُولَئِكَ حَاسِبَتَهُمْ كَمَلِكٍ قَاسٍ يَحْكُمُ عَلَيْهِمُ

وَكَانُوا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ مِنْ قَرِيبٍ

يَذُوبُونَ عَذَابًا عَلَى السَّوَاءِ .

مقتطفات من سفر دانيال



سوسنة وحكم دانيال

وكان رَجُلٌ اسْمُهُ يُوياقِيمُ، يُقِيمُ فِي بَابِلَ . فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً اسْمُهَا سَوْسَنَةُ، ابْنَةُ حَلِقِيَّا، وَكَانَتْ جَمِيلَةً جَدًّا وَمُتَّقِيَةً لِلرَّبِّ . وَكَانَ وَالِدَاهَا بَارَيْنَ، فَرَبَّيَاهَا عَلَى حَسَبِ شَرِيعَةِ مُوسَى . وَكَانَ يُوياقِيمُ غَنِيًّا جَدًّا، وَكَانَتْ لَهُ حَدِيقَةٌ تُجَاوِرُ بَيْتَهُ، وَكَانَ الْيَهُودُ يَقْصِدُونَهُ، لِأَنَّهُ كَانَ أَشْهَرَهُمْ جَمِيعًا . وَكَانَ قَدْ أُقِيمَ شَيْخَانٍ مِنَ الشَّعْبِ قَاضِيَيْنِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَهُمَا مِنَ الَّذِينَ قَالَ الرَّبُّ فِيهِمْ: «إِنَّ الْإِثْمَ قَدْ صَدَرَ مِنْ بَابِلَ، مِنْ شُيُوخٍ قُضَاةٍ يُحْسَبُونَ قَادَةَ لِلشَّعْبِ» . وَكَانَا يَتَرَدَّدَانِ إِلَى دَارِ يُوياقِيمَ، فَيَأْتِيهِمَا كُلُّ صَاحِبِ دَعْوَى . وَكَانَتْ سَوْسَنَةُ، مَتَى انْصَرَفَ الشَّعْبُ عِنْدَ الظُّهْرِ، تَدْخُلُ وَتَتَمَشَّى فِي حَدِيقَةِ زَوْجِهَا . فَكَانَ الشَّيْخَانِ يَرِيَانِهَا كُلَّ يَوْمٍ تَدْخُلُ وَتَتَمَشَّى فَأَوْلَعَا بِهَوَاهَا، وَأَزَاغَا عَقْلَهُمَا وَصَرَفَا أَعْيُنَهُمَا لئَلَّا يَنْظُرَا إِلَى السَّمَاءِ فَيَذْكُرَا الْأَحْكَامَ الْعَادِلَةَ . وَكَانَا كِلَاهُمَا مَشْغُوفَيْنِ بِهَا، وَلَمْ يُكَاشِفْ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بِوَجْدِهِ، حَيَاءً مِنْ كَشْفِ هَوَاهُمَا، إِذْ إِنَّهُمَا كَانَا يَرِغَبَانِ فِي مُضَاجَعَتِهَا . وَكَانَا كُلُّ يَوْمٍ يَجِدَانِ فِي تَرْقُبِهَا لَكِي يَرِيَاهَا . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرَ: «لِنَصْرَفْ إِلَى بَيْتِنَا، فَإِنَّ السَّاعَةَ سَاعَةُ الْغَدَاءِ»، فَخَرَجَا وَتَفَارَقَا . ثُمَّ عَادَا أَدْرَاجَهُمَا إِلَى الْمَكَانِ نَفْسِهِ . وَسَأَلَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ عَنِ السَّبَبِ، فَاعْتَرَفَا بِهَوَاهُمَا . وَحِينَئِذٍ اتَّفَقَا مَعًا عَلَى وَقْتٍ يُمَكِّنُهُمَا فِيهِ أَنْ يَخْلُوا بِهَا .

وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَرَقَّبَانِ الْيَوْمَ الْمَوْافِقَ، دَخَلَتْ، مِثْلَ أَمْسٍ فَمَا قَبْلُ، وَمَعَهَا جَارِيَتَانِ فَقَطَّ. وَأَرَادَتْ أَنْ تَغْتَسِلَ فِي الْحَدِيقَةِ، لِأَنَّهُ قَدْ اشْتَدَّ الْحَرُّ. وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ إِلَّا الشَّيْخَانِ، وَهُمَا مُخْتَبَانِ يَتَرَقَّبَانِهَا. فَقَالَتْ لِلجَارِيَتَيْنِ: «إِثْنَانِي بَزِيْتٍ وَعُطُورٍ، وَأَغْلِقَا أَبْوَابَ الْحَدِيقَةِ، لِأَغْتَسِلَ». فَفَعَلْتَا كَمَا أَمَرْتَهُمَا وَأَغْلَقْتَا أَبْوَابَ الْحَدِيقَةِ وَخَرَجْتَا مِنْ بَابِ جَانِبِي لِتَأْتِيَا بِمَا أَمَرْتَا بِهِ، وَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الشَّيْخَيْنِ مُخْتَبَانِ هُنَاكَ.

فَلَمَّا خَرَجَتِ الْجَارِيَتَانِ، قَامَ الشَّيْخَانِ وَهَجَمَا عَلَيْهَا وَقَالَا: «هَا إِنَّ أَبْوَابَ الْحَدِيقَةِ مُغْلَقَةٌ وَلَا يَرَانَا أَحَدٌ، وَنَحْنُ مَوْلَعَانِ بِهَوَاكِ، فَلَبَّ رَغْبَتَنَا وَكُونِي لَنَا، وَإِلَّا نَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّهُ كَانَ مَعَكَ شَابٌّ، وَلِذَلِكَ صَرَفْتُ الْجَارِيَتَيْنِ عَنْكَ». فَتَنَهَّدَتْ سَوْسَنَةٌ وَقَالَتْ: «لَقَدْ ضَاقَ بِي الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، فَإِنِّي إِنِ فَعَلْتُ هَذَا، كَانَ الْمَوْتُ مَصِيرِي، وَإِن لَمْ أَفْعَلْ فَلَا أَفَلْتُ مِنْ أَيْدِيكَمَا. وَلَكِنْ خَيْرٌ لِي أَنْ لَا أَفْعَلْ ثُمَّ أَقَعُ فِي أَيْدِيكَمَا مِنْ أَنْ أَخْطَأَ إِلَى الرَّبِّ».

وَصَرَخَتْ سَوْسَنَةٌ بِأَعْلَى صَوْتِهَا، فَصَرَخَ الشَّيْخَانِ عَلَيْهَا. وَأَسْرَعَ أَحَدُهُمَا وَفَتَحَ أَبْوَابَ الْحَدِيقَةِ. فَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الْبَيْتِ الصُّرَاخَ فِي الْحَدِيقَةِ، وَثَبُوا إِلَيْهَا مِنَ الْبَابِ الْجَانِبِيِّ لِيَرَوْا مَا جَرَى لَهَا. وَلَمَّا رَوَى الشَّيْخَانِ أَقْوَالَهُمَا، خَجَلَ الْخَدْمُ جِدًّا، لِأَنَّهُ لَمْ يُقَلِّ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ عَلَى سَوْسَنَةٍ.

وَفِي الْغَدِ لَمَّا اجْتَمَعَ الشَّعْبُ إِلَى زَوْجِهَا يُوَيَّاقِيمُ، مُضْمِرِينَ نِيَّةً أَثِيمَةً عَلَى سَوْسَنَةَ لِيُمِيتَهَا قَالَا أَمَامَ الشَّعْبِ: «إِسْتَحْضَرُوا سَوْسَنَةَ، بِنْتُ حَلْقِيَا، الَّتِي هِيَ امْرَأَةُ يُوَيَّاقِيمِ». فَاسْتَحْضَرُوهَا. فَأَتَتْ هِيَ وَوَالِدَاهَا

وبنوها وجميع أهل قرابتها. وكانت سوسنة لطيفةً جدًا جميلةً المنظر. ولما كانت مبرقةً، أمر هذان الفاجران أن يكشفَ وجهها، ليشبعوا من جمالها. وكان أهلها وجميع الذين يعرفونها يبكون.

فقام الشيخان في وسط الشعب ووضعَا أيديهما على رأسها. فرفعت عينيها إلى السماء وهي باكية، لأن قلبها كان متكلاً على الرب. فقال الشيخان: «كنا نتمشى في الحديقة وحدنا، فدخلت هذه ومعها جاريتان وأغلقت أبواب الحديقة، ثم صرفت الجاريتين. فأتاها شاب كان مختبئاً وضاجعها. وكنا نحن في زاوية من الحديقة، فلما رأينا الإثم أسرعنا إليهما ورأيناهما متعانقين. أمّا ذلك فلم نستطع أن نمسكه لأنه كان أقوى منا، ففتح الأبواب وهرب. وأمّا هذه فقبضنا عليها وسألناها من الشاب، فأبت أن نخبرنا. هذا ما نشهد به».

فصدقتهما الجماعة لأنهما شيخان من شيوخ الشعب وقاضيان، وحكموا عليها بالموت. فصرخت سوسنة بأعلى صوتها وقالت: «أيها الإله الأزلي البصير بالخفايا والعالم بكل شيء قبل أن يكون، إنك تعلم أنهما إنما شهدا عليّ بالزور. وهاءنذا أموت ولم أصنع شيئاً مما افتري عليّ هذان من الكذب». فاستجاب الرب لصوتها.

وبينما كانت تساق إلى الموت، أيقظ الله الروح المقدس الذي في شاب حديث السن اسمه دانيال. فصرخ بأعلى صوته: «أنا بريء من دم هذه». فالتفت إليه الشعب كله وقالوا: «ما هذا الكلام الذي قلته؟» فوقف في وسطهم وقال: «أهكذا أنتم أغبياء، يا بني إسرائيل، حتى

تَحْكُمُوا عَلِ بِنْتِ مَن بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ بَغَيْرِ أَنْ تَفْحَصُوا وَتَتَحَقَّقُوا الْأَمْرَ؟
إِرْجِعُوا إِلَى دَارِ الْقَضَاءِ، فَإِنَّ هَذِينَ إِنَّمَا شَهِدَا عَلَيْهَا بِالزُّورِ».

فَأَسْرَعَ الشَّعْبُ كُلَّهُ وَرَجَعَ. فَقَالَ لَهُ الشَّيْخَانُ: «هَلُمَّ اجْلِسْ بَيْنَنَا
وَأَفِدْنَا، فَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ مَزِيَّةَ الشُّيُوخِ». فَقَالَ لَهُمَ دَانِيَالُ: «فَرَّقُوهُمَا
الوَاحِدَ عَنِ الْآخَرَ بَعِيدًا، فَاسْأَلْهُمَا». فَلَمَّا فُرِّقَا الْوَاحِدُ عَنِ الْآخَرَ، دَعَا
أَحَدَهُمَا وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعْتَقُ فِي الشُّرُورِ، لَقَدْ حَضَرْتَ الْآنَ خَطَايَاكَ
الَّتِي ارْتَكَبْتَهَا فِي الْمَاضِي، إِذْ أَصْدَرْتَ الْأَحْكَامَ الْجَائِرَةَ وَحَكَمْتَ عَلَى
الْأَبْرِيَاءِ وَبَرَّاتِ الْمُجْرِمِينَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: «الْبَرِيُّ وَالْبَارُّ لَا تَقْتُلُهُمَا».
فَالْآنَ، إِنْ كُنْتَ قَدْ رَأَيْتَ الْمَرَأَةَ، فَقُلْ تَحْتَ آيَةِ شَجَرَةٍ رَأَيْتَهُمَا فِي
الْوَصَالِ». فَقَالَ: «تَحْتَ السَّنْطَةِ». فَقَالَ دَانِيَالُ: «لَقَدْ أَنْزَلْتَ كَذِبَكَ عَلَى
رَأْسِكَ، فَإِنَّ مَلَكَ اللَّهِ قَدْ آتَاهُ أَمْرُ اللَّهِ بِأَنْ يَشُقَّكَ شَطْرَيْنِ». ثُمَّ نَحَاهُ
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْآخَرَ. فَقَالَ لَهُ: «يَا نَسَلُ كَنْعَانَ لَا يَهُودَا، لَقَدْ فَتَنَّاكَ
الْجَمَالَ وَأَفْسَدَ الْهَوَى قَلْبِكَ. هَكَذَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ مَعَ بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ،
وَكُنَّ يَسْتَسْلِمْنَ إِلَيْكُمَا خَوْفًا مِنْكُمَا. أَمَا بِنْتُ يَهُودَا فَلَمْ تَحْتَمِلْ إِثْمَكُمَا.
فَالْآنَ، قُلْ لِي تَحْتَ آيَةِ شَجَرَةٍ فَاجَأْتَهُمَا فِي الْوَصَالِ» فَقَالَ: «تَحْتَ
السَّنْدِيَانَةِ الْخَضْرَاءِ». فَقَالَ لَهُ دَانِيَالُ: «وَأَنْتَ أَيْضًا قَدْ أَنْزَلْتَ كَذِبَكَ
عَلَى رَأْسِكَ، فَإِنَّ مَلَكَ اللَّهِ يَنْتَظِرُ، وَبِيَدِهِ سَيْفٌ لِيَقْطَعَكَ شَطْرَيْنِ، حَتَّى
يَقْضِيَ عَلَيْكُمَا».

فَصَرَخَتْ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا صُرَاخًا شَدِيدًا، وَبَارَكُوا اللَّهَ مُخْلِصَ
الَّذِينَ يَرْجُونَهُ. وَقَامُوا عَلَى الشَّيْخَيْنِ، وَقَدْ أَثْبَتَ دَانِيَالُ مِنْ كَلَامِ فَمِهِمَا
أَنَّهُمَا شَهِدَا بِالزُّورِ، وَصَنَعُوا بِهِمَا كَمَا نَوَّيَا أَنْ يَصْنَعَا بِخُبْتِ بِالْقَرِيبِ،

عَمَلًا بِمَا فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، فَقَتَلُوهُمَا. وَخُلِّصَ الدَّمُّ الزَّكِيُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ. أَمَّا حَلِقِيًّا وَامْرَأَتُهُ، فَسَبَّحَا اللَّهَ لِأَجْلِ ابْنَتَيْهِمَا، مَعَ يُوياقِيمَ زَوْجِهَا وَأَهْلِ قَرَابَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَمْ يُوْجَدْ فِيهَا شَيْءٌ قَبِيحٌ. وَعَظُمَ شَأْنُ دَانِيَالَ عِنْدَ الشَّعْبِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَمَا بَعْدَ.

دانيال والتنين :

وكان أيضاً تنينٌ عظيم، وكان أهلُ بابلَ يَعْبُدُونَهُ. فقالَ المَلِكُ لِـدَانِيَالَ: «لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَهًا حَيًّا، فَاسْجُدْ لَهُ». فقالَ دَانِيَالَ: «إِنِّي إِنَّمَا أَسْجُدُ لِلرَّبِّ إِلَهِي، لِأَنَّهُ هُوَ الْإِلَهُ الْحَيُّ. وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ اجْعَلْ لِي سُلْطَانًا فَأَقْتُلِ التَّنِينَ بِلَا سَيْفٍ وَلَا عَصَا». فقالَ المَلِكُ: «لقد جَعَلْتَهُ لَكَ». فَأَخَذَ دَانِيَالَ زَفَّتًا وَشَحْمًا وَشَعْرًا وَطَبَخَهَا مَعًا وَصَنَعَ أَقْرَاصًا وَجَعَلَهَا فِي فَمِ التَّنِينِ، فَأَكَلَهَا التَّنِينُ فَانشَقَّ. فقالَ: «أَنْظُرُوا مَعْبُودَاتِكُمْ».

فَلَمَّا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ بَابِلَ، غَضِبُوا جَدًّا وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا: «إِنَّ الْمَلِكَ قَدْ صَارَ يَهُودِيًّا، فَحَطَّمْ بِالًا وَقْتَلِ التَّنِينَ وَذَبِحِ الْكَهَنَةَ». وَأَتَوْا إِلَى الْمَلِكِ وَقَالُوا لَهُ: «أَسْلِمَ إِلَيْنَا دَانِيَالَ، وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ أَنْتَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ». وَرَأَى الْمَلِكُ أَنَّهُمْ يُلْحُونَ عَلَيْهِ بِعُنْفٍ، فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يُسَلِمَ دَانِيَالَ إِلَيْهِمْ. فَأَلْقَوْهُ فِي جُبِّ الْأَسْوَدِ، فَبَقِيَ هُنَاكَ سِتَّةَ أَيَّامٍ. وَكَانَ فِي الْجُبِّ سَبْعَةُ أُسُودٍ يُلْقَى لَهَا كُلَّ يَوْمٍ جُثَّتَانِ وَنَعَجَتَانِ، فَلَمْ يُلْقَ لَهَا حَيْنًا شَيْءٌ لِكِي تَفْتَرِسَ دَانِيَالَ.

وَكَانَ حَبَقُوقُ النَّبِيِّ فِي أَرْضِ يَهُودَا، وَكَانَ قَدْ طَبَخَ عَصِيدَةً وَفَتَّ

خُبْرًا فِي وَعَاءٍ وَذَهَبَ إِلَى الْحَقْلِ لِيَحْمِلَهُ إِلَى الْحَصَادِينَ. فَقَالَ مَلَائِكُ الرَّبِّ لِحَبَقُوقَ: «إِحْمِلِ الْغَدَاءَ الَّذِي مَعَكَ إِلَى بَابِلَ إِلَى دَانِيَالَ فِي جُبِّ الْأَسْوَدِ»، فَقَالَ حَبَقُوقُ: «إِنِّي لَمْ أَرَ بَابِلَ وَلَا أَعْرِفُ الْجُبَّ». فَأَخَذَ مَلَائِكُ الرَّبِّ بِقِمَّةِ رَأْسِهِ وَحَمَلَهُ بِشَعْرِهِ وَوَضَعَهُ فِي بَابِلَ عِنْدَ الْجُبِّ، بَانْدِفَاعِ رُوحِهِ. فَنَادَى حَبَقُوقُ قَائِلًا: «يَا دَانِيَالَ، يَا دَانِيَالَ، خُذِ الْغَدَاءَ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَكَ اللَّهُ». فَقَالَ دَانِيَالَ: «اللَّهُمَّ، لَقَدْ ذَكَرْتَنِي، وَلَمْ تَتْرِكِ الَّذِينَ يُحِبُّونَكَ». وَقَامَ دَانِيَالَ وَأَكَلَ. وَرَدَّ مَلَائِكُ الرَّبِّ حَبَقُوقَ مِنْ سَاعَتِهِ إِلَى مَكَانِهِ.

وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، أَتَى الْمَلِكُ لِيَبْكِيَ عَلَى دَانِيَالَ، فَأَتَى إِلَى الْجُبِّ وَنَظَرَ، فَإِذَا بِدَانِيَالَ جَالِسٍ. فَهَتَفَ بِصَوْتٍ عَالٍ وَقَالَ: «عَظِيمٌ أَنْتَ أَيُّهَا الرَّبُّ، إِلَهُ دَانِيَالَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»، وَأَخْرَجَهُ. وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَوْا لِهَلَاكِهِ فَأَلْقَاهُمْ فِي الْجُبِّ فَافْتَرَسُوا مِنْ سَاعَتِهِمْ أَمَامَهُ.

القسم الثاني





مقتطفات من الحكمة
والأدب الصيني

من أفكار وتعاليم الحكيم الصيني لاوتسي⁽¹⁾



- الطاوُ (TAO) هي المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود، وكل تغيير؛ مَعِينُهُ لا ينضب؛ لطف أنواره وصقلت حواشيه، وهدأت اضطراباته، فأصبح معتدلاً لطيفاً، مثل المياه الهادئة الصافية.

* * * * *

- الحكيم يعمل ولا يملك، ينجز ولا ينتظر جزاء، يبعث الروح في الأشياء ولا يسعى لامتلاكها. وبما أنه لا يطلب أيّ جزاء مادي، فهو لا يخشى أن يفقد أيّ شيء.

* * * * *

- الحكيم يختار لسكناه الأماكن المنخفضة، قلبه يحب ما كان عميقاً ، هادئاً وساكناً. في كلماته دفء وصفاء، وفي معاملاته لطافة وإخلاص وصدق. يسعى للسلام،

(1) تمثل تعاليم لاوتسي طريقة روحية ونزعة سلوكية تشبه بعض تعاليم الطريقة الصوفية لدى بعض الجماعات الإسلامية. وقد عاش الحكيم لاوتسي في القرن السادس قبل الميلاد.

لا يجادل ولا يشاكس ، فلا يسمع مكروه الكلام.

* * * * *

- قيّدوا رغباتكم ، أجموا أنانياتكم،

أخرجوا ما في فطرتكم من صفات البساطة

والطهارة والعفوية، تجنبوا المظاهر الجذابة

المغرية، فالناس في حاجة إلى من يعتمدون عليهم.

* * * * *

- من يقف على أصابع رجليه لا يقف ثابتاً،

من يخطو بخطوات متوترة لا يذهب بعيداً،

من يرغب في الظهور أمام الناس لا يلمع نجمه طويلاً،

من يحرص على تبرير أفعاله لا تدوم الثقة به،

من يفخر بنفسه تكشفه مراكز المسؤولية.

هذه صفات تعدّ أدنى من حثالة الفضيلة.

* * * * *

- السَّبَّاق الماهر لا يترك أثراً على دربه،

الخطيب البليغ لا يلجأ إلى الانتقاد،

الباب الذي يحكم إغلاقه لا يحتاج إلى قفل،
العقدة المحكمة قد تتم من غير حبل،
سلوك الشرير درس للصالح، وسلوك الصالح درس للضال.

* * * * *

- العنف ليس من طبيعة الطاوية،⁽¹⁾
من ينبذ الطاوية يهلك قبل الأوان،
القائد الحكيم لا يعتمد على القوة،
وإذا فعل لا يتجاوز حدود الهدف،
يعتبر انتصاره ضرورة يؤسف لها،
ينبغي أن يكون الاحتفال بالانتصار في شكل مأتم.

* * * * *

- من يعرف الآخرين يعتبر عالماً،
من يعرف نفسه يعتبر حكيماً،
صاحب العضلات قد يسيطر على غيره،
صاحب القوة الحقيقية يسيطر على نفسه

(1) فلسفة سلوكية مبنية على تعاليم لاوتسي.

من يترك ذكراً حسناً يعيش طويلاً بعد وفاته.

* * * * *

- عندما تكثر الممنوعات والمحظورات في بلد

ينتشر فيها الفقر والاحتياج،

بقدر ما تنتشر الأسلحة الفتاكة،

ينتشر العدوان والفوضى،

بقدر ما تنتشر المهارات التقنية،

يتقن الأشرار وسائل الخداع والسطو.

* * * * *

- الطاوية سرّ الكون الخفيّ ، إنها كنز الرجل الطيب،

وملجأ الرجل الشقيّ؛

السلوك النبيل هدية ثمينة،

الكلمة الطيبة شجرة طيبة، يمكن للمرء

أن يبيع الكلام الطيب في السوق،

للحكيم مبادئ ثابتة، ليس فيها زوايا حادة،

فهو قويٌّ ولكنه غير متسلط،

نوره يضيئُ الدرب، دون أن يزعج البصر.

* * * * *

- الشيء الساكن يسهل إمساكه،

الشيء الخفيّ يمكن تأجيله،

حاول أن تعالج المشاكل قبل أن تنشأ،

ثم قبل أن يتسع الخرق على الراقق،

الشجرة العملاقة من بذرة صغيرة،

رحلة ألف ميل تبدأ بخطوة.

* * * * *

- الحكيم لا يقبض على الشيء بقوة،

لكي لا يكسره أو يضطر لتسليمه.

رغبة الحكيم هي أنه ليس له رغبات،

لا يعطي قيمة للأشياء التي يتعذر نيلها،

يسعى لإصلاح مسيرة الطبيعة من غير

أن يعرقل اتجاهها.

إنه يحذر البداية ويحذر عواقب النهاية.

* * * * *

- من ينبذ الحب⁽¹⁾ ويتبنى التهور، يتخلى

عن التعقل،

من يرفض أن يكون خلف الآخرين،

ويركض أمامهم ، يسعى لحتفه،

الحبّ ينتصر عند الهجوم ، ويظل حصيناً

عند الدفاع،

إن السماء تسلم من تصطفاهم بسلاح الحبّ.

* * * * *

- علاج حقد قديم يترك شيئاً منه في أعماق النفس،

- فهل تعتبر ذلك نتيجة مرضية؟

بل ينبغي للحكيم أن يقبل بالنصيب الأقل

من القضية، ولا يلقي اللوم على الطرف الآخر.

الرجل الشرير يسارع إلى إدانة الآخرين،

والعاقل يسعى جاهداً لإصلاح ذات البين.

* * * * *

(1) يعني جميع أنواع الحب: الحب الإلهي، حب الوالدين والأقرباء والأصدقاء إلخ.

الفيلسوف كونفوشيوس⁽¹⁾

(من مآثور أقواله)



- الرجل العادي قد يقع في خطر بسبب حبه للماء؛ والجنّلمان بسبب حبه للكلام؛ والرجل العظيم بسبب حبه للناس. فالماء يهلك لأن الناس ألفوه، فقلّ حذرهم منه؛ وكثرة الكلام تهلك، لأن ألفاظه تنطلق بسهولة، ولكن يتعذر استرجاعها؛ أما خطر الناس فلأن منهم الحقيير والجاهل والدينئى، فعلى الحكيم أن يحترمهم ويحذرهم.

- عندما يسود الخير والنظام في بلد، يكون فقراؤها عارا عليها. وعندما تستولى الفوضى على بلد ما، فإن أغنياءها ورجال دولتها يشعرون بالعار للعيش فيها.

- قليل الهمة والكفاءة لا يصلح أن يتولى منصب وزير في دولة. تجده متلهفاً على المنصب قبل أن يناله؛ ثم خائفاً على فقده إذا ناله؛ وإذا وصل إلى مرحلة الخوف، نجده مستعداً ليفعل أيّ شيء للبقاء في المنصب.

- إذا كان المرء شديداً على نفسه، متسامحاً مع الآخرين فهو لا يثير مشاعر الكراهية لدى الناس.

(1) ولد سنة 551 - وتوفى عام 479 ق.م .

- لا تقلق ممن لا يعرفونك، بل إعمل لتكون جديراً بأن يسعوا لمعرفتك.
- الكلام الأنيق المصقول كثيراً ما يجعل من الصعب علينا أن نتبين الصواب من الخطأ، وإن من البلاغة لسحراً قد يقلب المواقف.
- ينبغي ألا نجازي الشرّ بالخير، بل نجازي الخير بالخير، والشرّ بالعدل، فنشجع الأول ونردع الثاني.
- مقابلة الشرّ بالعفو من كرم النفس؛ ومجازاة الخير بالشرّ من صفات المجرمين.
- عندما تتعرف على رجل كريم الخلق، حاول أن تتزود من أخلاقه، وعندما تتعرف على رجل شرير فتش نفسك عن شيء من مساوئه.
- سأله سائل عن عبادة الأرواح السماوية والأرضية فأجاب: ما زلنا لا نعرف كيف نخدم الإنسان، فكيف لنا أن نعرف كيف نخدم الأرواح؟
- وماذا عن الموت؟
- لم نتعلم بعد كل شيء عن الحياة، فكيف نعرف شيئاً عن الموت؟
- وسأله آخر: هل تعلمني عبارة تكون مفتاحاً للسلوك في الحياة؟
- لعلها عبارة «المعاملة بالمثل»، أي لاتفعل لغيرك ما تكره أن يفعل لك.
- إن أسمى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان هو أن يعرف المفتاح الأساسي لوجودنا الأخلاقي الذي يوحدنا مع النظام الكوني، من أجل بلوغ الانسجام مع مخلوقات الكون.

— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —

- التواضع أقرب الصفات إلى الانضباط الأخلاقي؛ البساطة في السلوك أقرب إلى الطبيعة؛ الإخلاص أقرب إلى صفاء الضمير. فالتواضع يجنب الوقوع في الأخطاء، والإخلاص يجعل الإنسان موضع ثقة، وبساطة السلوك تجعله كريم الخلق.

- سألته سائل: هل من كان كلامه بطيئاً إنسان كامل الخلق؟

- ألا ترون أنه من العسير على المرء أن ينجز جميع ما يقول؟ أليس من الحكمة أن يبطئ قليلاً في كلامه؟

- الرجل العاقل يهتم بروحه، والجاهل يهتم بممتلكاته؛ العاقل يتذكر أخطائه، والجاهل ما نال من هدايا.

- الحكيم يتساهل أمام آراء الآخرين، وإن كان لا يتبناها جميعها؛ والجاهل لا يسمح لهم بالتعبير عن آرائهم، وإن كان يوافق عليها.

- تعليم الأطفال يبدأ بحفظ شيء من جيّد الشعر، والتدريب على الانضباط في السلوك، ويتواصل بشيء من الموسيقى.

- إذا كان لك من التبصر ما يساعدك على اكتشاف الحقيقة، وليس لك من قوة الإرادة ما يدفعك للتمسك بها، فما جدوى تبصرك؟ وإذا تمسكت بها، وكنت من رجال الدولة ولا تهتم بالمظهر المناسب لمنصبك، فقليلاً ما تحظى باحترام الناس.

- الرجل الذي يراجع ما قرأ، ويستخرج منه معاني جديدة، يكون جديراً بأن يمتن التعليم.

- من يقرأ من غير أن يفكر قد يتبلبل فكره، ومن يفكر من غير أن يقرأ قد يصبح تفكيره متقلّباً.

- قال كونفوشيوس: هل سمعتم بما قيل عن النقائص الستة؟ قالوا: «لا».

قال: إذا اتصف الرجل بخلق العطف ورقة الفؤاد، ولم يحبّ المطالعة، يكون نقصه هو الجهل؛ وإذا أحبّ الحكمة، ولم يحبّ المطالعة، تكون أفكاره غير سليمة؛ وإذا اتصف بالنزاهة، ولم يحبّ المطالعة، يتمثل نقصه في الميل إلى إفساد ما أصلح؛ وإذا أحبّ التواضع ولم يحبّ المطالعة يشعر بالنقص ويملّ الحياة الرتيبة؛ وإذا اتصف بالشجاعة، ولم يقبل على المطالعة، يتمثل نقصه في العنف والتهور؛ وإذا اتسم خلقه بالالتزام، وعزف عن المطالعة، يتمثل نقصه في العناد والإفراط في الثقة بالنفس.

- سأل كونفوشيوس أحد تلاميذه:

- حدثني عن خصلة من خصالك!

- أقتسم مع أصدقائي استعمال عرباتي وخيولي وملابسي الفاخرة، وإذا أسأؤوا استعمالها لا أنزعج.

- وطرح السؤال على تلميذ آخر، فأجابه:

- لا أفتخر بمواهبي، ولا بأيّ خدمات أقدمها لغيري.

وسأل تلميذ المعلم كونفوشيوس:

- أذكر لنا بعض رغباتك، أيها الحكيم!

- أن أَلطّف من معاناة الشيوخ، وأحاول أن أحافظ على ثقة الناس، وأن أفعل ما يجلب لي محبة الشباب.

- قال كونفوشيوس: الرجل الصالح النشط يحب الماء؛ والرجل الصالح الهادئ يحبّ الجبال؛ الأول يحبّ الحركة، والثاني يفضل السكون والتأمل؛ الأول يفضل أن يختلط بالناس، والثاني يميل إلى الانعزال، وكل يجد سعادته في ظروف حياته.

- وسئل: إذا قيل لرجل حكيم إن الفضيلة في بئر، هل ينزل إلى داخل البئر ليتناولها؟

- قد يذهب هذا الرجل حتى حافة البئر، ولكنه لا يغامر بالنزول إلى أعماق البئر. فمن الممكن أن يُخدع، ولكن ليس ممكناً أن يفقد عقله.

- الفضيلة أن يحاول الرجل الصالح أن يرفع غيره إلى المستوى الذي يرغب في أن يصل إليه هو نفسه.

- لو سافرت مع رجلين لاتخذت كلا منهما معلماً لي: أتفحص ما في سلوك الأول من حسنات فأقلدها؛ وما في سلوك الآخر من أخطاء فأحاول إصلاحها في سلوكي.

- وسئل : كيف تعظم الفضيلة ؟

- أن تخدم الناس قبل أن تتوقع الجزاء؛ وأن تصحح أخطاءك قبل أن تعاتب غيرك؛ وألا تغامر في لحظة غضب فتعرض حياتك وحياة أهلِكَ للخطر.

- وقال : الرجل الصالح يولي اهتمامه لتسعة أشياء: إذا نظر يركز بصره؛ وإذا استمع يركز سمعه؛ يجعل ملامح وجهه مؤنسة؛ ومواقفه توحى بالإحترام؛ كلماته صادقة؛ ينجز أعماله بالمشابرة والإتقان؛ يبتعد عن الشك بالبحث والسؤال؛ يتجنب عواقب الغضب؛ في سعيه لكسب المال، يفكر في القانون والعدالة.

- كان الجيل السابق يتمسك ببعض الفضائل، تكاد تختفي في هذا الجيل: كانت أصالته في الحرية، وهي اليوم تتمثل في الإباحية؛ كانت كرامته في الاستقامة، تحولت اليوم إلى الفظاظة؛ كانت سذاجته تتمثل في النزاهة، فأصبح اليوم يلجأ إلى الكذب والاحتيال.

- وسئل: هل من أهل الخير والصلاح من يحمل الحقد والكرهية؟

- أجل، الرجل الخيّر يكره من ينشرون عيوب الناس؛ ومن يحقرون غيرهم ويغتابونهم؛ ويكره الرجل الشجاع الذي لا يحترم الشعائر والطقوس؛ ويكره المغامرين من ذوي التفكير الضيق، والمتعصبين المتهورين.

- وسأل أحد تلاميذه:

- هل تكره في الناس بعض الصفات؟

- أجل يا سيدي، أكره من ينسب إلى نفسه أقوال الآخرين وكتاباتهم، ليظهر أنه من أصحاب المعرفة؛ وأكره من يقل أدبهم واحترامهم ويحسبون ذلك شجاعة؛ ومن يشهرون بعيوب الناس، ويحسبون ذلك من الصراحة.

- وقال كونفوشيوس: ليس من السهل التعامل مع من زادت غباوتهم على ذكائهم: فإذا عاشرتهم بلطف وتواضع ظنوك ضعيفاً؛ وإذا عاملتهم بجد، ولم تندمج معهم، كرهوك.

* * * * *

من تعاليم شوانغتسي⁽¹⁾



عندما توفيّ الحكيم لاوتسي ذهب تشين يي لتشيع جنازته، فأطلق ثلاث صيحات وغادر المكان. فسأله أحد التلاميذ:

- ألم تكن من أصدقاء معلمنا لاوتسي؟

- أجل.

- فهل تظن أن صيحاتك الثلاثة كافية للتعبير عن حزنك على وفاة صديقك؟

- أجل. لقد كنتُ دائماً أعرف أنه معرض للموت مثل غيره، أما الآن فأعرف أنه ليس كذلك. وعندما حضرت لتشيع جنازته، وجدت شيوخاً يكون كأنهم فقدوا أطفالهم، وأطفالاً يكون كأنهم فقدوا أمهاتهم. ومن يبكي بهذه الطريقة على الميت يعني أنه يجهل مبدأ الحياة والموت، مبدأ الطبيعة، ويستغرق في الارتباط بالناس، متجاهلاً المنبع الذي نتلقى منه الحياة. لقد كان القدماء يسمون هذا السلوك «التهرب من مكافأة السماء».

لقد جاء المعلم لاوتسي إلى الحياة عندما حان موعد ميلاده، ثم

(1) Chuangtse توفي حوالي 275 ق.م. كان أول من عمل على تطوير تعاليم لاوتسي، وكتب رسائل مطولة عن فلسفة الطاوية.

مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

ذهب عندما دق جرس سفره. ومن يتقبلون المجرى الطبيعي لتتابع الحوادث يصبحون فوق مشاعر الفرح والحزن، وقد قال الحكماء عن الموت «إنه الخلاص من الرق».

* * * * *

روى شوانغتسي قال:

- قال كونفوشيوس: عندما نميز الأشياء بعضها عن البعض الآخر، إنما نتحدث عن الفرق مثلاً بين الكبد والمرارة، بين دولة شمالية وأخرى في الجنوب، ولكن عندما نتحدث عن تشابه الأشياء، نجدها جميعها تعود إلى أصل واحد. ومن ينظر إلى الحياة بهذا المنظار، لا يكثر كثيرًا لما يصل إلى وعيه عن طريق حواس السمع والبصر، بل يترك فكره يحلق في أجواء الانسجام والتناغم بين الأشياء والمخلوقات. فهو يشاهد ما في الكون من وحدة، ولا يتوقف عندما يلاحظ من فقدان مواد صغيرة. إن الإنسان لا يشاهد نفسه في المياه الجارية، ويجد اللطف والراحة في الماء الهادئ الصافي.

* * * * *

وقال:

- قال كونفوشيوس لدوق ولاية «لو»:

شاهدت ذات يوم مجموعة من جراء الخنازير ترضع أمها، وكانت الأم قد فارقت الحياة. وبعد فترة غادرها الجراء لأنها لم ترعها،

ولم تنظر إليها. فما كانت تريده الجراء هي صفة الأم، وليس مجرد جسدها؛ وعندما يقتل جنود في معركة، لا يبحث المسؤول عن صناديق يُدْفَنُوا فيها؛ والرجل الذي تقطع رجله لا يقدم له الناس زوج أحذية هدية، فهذه الأمثلة تظهر الأهمية التي يوليها الناس للجسد عندما يكون كاملاً متكاملًا. فما هي إذا قيمة من يحافظ على فضائله كاملة؟

ألا ترى أن الرجل، قبيح المنظر، الذي نتحدث عنه، لم يقل ولم يفعل شيئاً يلفت النظر، ومع ذلك فإن رجل الدولة أوكل إليه مسؤولية إدارة جهاز الدولة.. فلا شك أن مواهب هذا الرجل كانت مثالية وفضائله غطت على قبح منظره، ورفعته فوق الجميع.

- الدوق: ماذا تعني أن مواهبه كانت مثالية؟

- كونفوشيوس: الحياة والموت، الثروة والفقر، النجاح والفشل، الفضيلة والرذيلة، الخير والشر، الحر والبرد، الجوع والعطش... جميعها تغيرات وتحولات تحدث في الأشياء أثناء المسيرة الطبيعية للحوادث.

الليل والنهار يتتابعان، ولا يسأل أحد عن مصدرهما، ولذلك لا ينبغي أن نسمح لهذه التغيرات أن تعرقل انسجامنا مع الطبيعة، ولا أن تدخل في مجال الروح. بل ينبغي للمرء أن يعيش بأسلوب مريح يجعله متناغمًا مع العالم من حوله، لينعم بما في مسيرة الطبيعة، في تعاقب الفصول، والليل والنهار، من خيارات.

- الدوق : وما هي الفضيلة من غير أشكالها الخارجية؟

- كونفوشيوس: الماء الهادئ يكون في حالة سكونه المثالية. فليكن ذلك نموذجاً لك، هادئاً ساكناً، رائقاً صافياً في داخل نفسك، من غير أية اضطرابات خارجية. فمن هذا الانسجام الداخلي تنشأ الفضيلة. فالإنسان يخشى أن تفارقه الفضيلة فقط عندما تتخذ أشكالاً خارجية، أو تأتي من منابع خارج نفسه.

الحكيم لا يرسم الخطط، ويستتبط الوسائل، ويتدخل في ما لا يعنيه، ولهذا فهو لا يحتاج إلى كل العلم، وهو لا ينفر من الناس، ولا ينبذهم، لذا فهو لا يحتاج إلى وسائل لتوثيق العلاقات؛ وهو لا يسعى لامتلاك الدنيا، ولذا ليس له شيء يخشى أن يخسره. إنه يعيش في هيئة الإنسان، ولكنه ليس له مشاعر خاصة، ولذلك فهو لا يخضع لقضايا الخطأ والصواب.

- وهنا سأل سائل شوانغْتسي قائلاً :

هل يمكن حقاً أن يكون المرء بدون مشاعر؟

- أجل ، هو كذلك؛

- ولكن ما الذي يجعله إنساناً في هذه الحال؟

- إن الطاوَّ (TAO) ⁽¹⁾ تهب الإنسان وسائل التعبير، والإله يهبه الشكل، فكيف لا يصبح إنساناً؟

(1) TAO هو المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود وكل تغيير في هذا الكون، هذا لدى الطاوية، أما لدى الكونفوشيوسية فإن الطاوَّ (TAO) هو سبيل الفضيلة.

- ولكن إذا كان إنساناً، فكيف يكون بدون مشاعر؟
- ما أعنيه بالمشاعر هو فكرة الخطأ والصواب. أعني أن المرء بدون مشاعر لا يسمح للأشياء التي يحبها (المرغوبات) والأشياء التي يكرهها (المكروهات) أن تعكر نظامه الداخلي، بل ينسجم مع الطبيعة، ولا يحرص على تحسين وسائل حياته الخارجية.
- ولكن كيف يتمتع المرء بحياته الجسدية، إذا لم يحاول أن يحسن ظروف حياته المادية؟
- قلت إن الطاوَّ تعطيه «وسائل التعبير»، والإله يعطيه «الشكل».

* * * * *

الكائن الأسمى



- من يعرف حقيقة الإله وحقيقة الإنسان فقد بلغ أعلى درجات الحكمة والمعرفة، فهو لا يظلم الضعيف، ولا يلجأ إلى القوة لبلوغ أهدافه، إذا فشل لا يجد سبباً للندم، وإذا نجح لا يجد سبباً للبهجة، فهو يصعد دون أن يتبلبل فكره، ويمرّ في الماء دون أن تبتل ثيابه، ويقترّب من النار دون أن يحترق، يظل هادئاً راضياً، ... يتنفس من أعماق أحشائه، والجاهل يتنفس من حلقه. إنه لا يقدر الحياة ولا يكره الموت، لا يبتهج بميلاد، ولا يتذمر من مواجهة الفناء، لا ينسى من أين جاء، ولا يتساءل عن عودته إلى منبعه الأول.

* * * * *

«الطاو» الأصلية⁽¹⁾



لقد ظهرت فضائل الجمال الطبيعية بظهور السماء والأرض، كيف كان ذلك؟ جميع الألوان والأشكال نشأت من السماء والأرض. وتبدو الشمس، ويبدو القمر كتلتين ضخمتين من الأحجار الكريمة، وهما يمثلان الأشكال المرتبطة بالسماء.

وهناك نسيج واسع من الجبال والأنهار، وما بينها، يمثل أشكالاً من هيكل الأرض. وفي كل هذا يكمن جمال «الطاو» الطبيعي. يرفع المرء رأسه فيشاهد تلك الأشكال والألوان المنتشرة في السماء، ويخفض رأسه، فيشاهد حوله أشكال الجمال المنسقة، ويسمع الأنغام الساحرة. أما الإنسان فيمثل العنصر الثالث، ويميزه كونه المخلوق الذي يوجه فكره للتأمل في الطبيعة، وعندما ينتشر تأمله وتتسع أفكاره، يستتير الجمال الطبيعي، وترتقي الحياة، فتصبح هي «طاو» الطبيعية.

وإذا بسطنا هذه التأملات والحقائق على جميع المخلوقات، نكتشف أن عالم الحيوانات والنباتات يكتسب هو الآخر جماله من الطبيعة؛ فزخرفة ألوان الطاووس والتين توحى بالفخامة والعظمة؛ وزخرفة ألوان الفهود والنمور تمثل نماذج فنية رائعة؛ وتعتبر السحب

(1) الطاو TAO في الطاوية هي المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود وكل تغير في هذا الكون؛ وتعني كذلك «الحقيقة». وفي الكونفوشيوسية تعني «الفضيلة».

بألوانها المتغيرة عند الصبح والغروب عن مشاهد مزركشة تتجاوز لوحات أكبر الرسامين؛ وتمثل الألوان والأشكال التي ينبثق عنها ازدهار النباتات والبراعم أزهى زخارف النسيج وأروع نماذجه. كل ذلك من سحر الطبيعة ووحيتها.

إن ما نسمع من أصوات متداخلة متجاوبة في الغابات يشكل أنغاماً متجانسة يفوق جمالها ألحان القيثارة والأرغن. ومن المنابع التي تتحدر من أعماق الربي والجبال تنسكب أنغام لطيفة مؤنسة أحلى من موسيقى الإنسان.

عندما تتشئ الطبيعة الأشكال تخلق فيها رونقها وجمالها وتناسقها؛ وعندما تولد الأصوات، تنبثق معها أنغامها وألحانها. وإذا كان لهذه المخلوقات من الغابات، والأنهار، والجبال والمنابع... التي لا وعي لها، تلك الروعة وذلك الرونق والجمال والسحر والبهجة والزخرفة، فهل ينتظر من المخلوقات التي تتمتع بالوعي والتفكير أن تعيش خالية من جمال الطبيعة وسحرها ووحيتها؟

الشيخ



كان م . د . دانغوانك ذات ليلة مستلقيًا في مكتبة سوترا⁽¹⁾ في أحد الأديرة. وفجأة شعر بأن شخصًا يجذب ذراعه قائلاً:

- إنهض! إنهض! إنك باستلقائك هنا تخالف التقاليد الخاصة باحترام السوترا!

الرجل - من أنت؟

الشيخ - أنا الشيخ المكلف بحراسة المكتبة.

الرجل - ولماذا تحرس المكتبة؟

الشيخ - إنه أمر من السماء.

الرجل - إن الكتب الخاصة بالحكيم كونفوشيوس كثيرة، كثيرة جداً،

تملاً عربات تعجز الثيران عن جرّها، ومع ذلك لم أسمع

بإله يهتم بحراستها؛ فهل تهتم السماء فقط بحراسة

السوترا البوذية؟

الشيخ - البوذية تتبع من مصادر إلهية؛ ويؤمن بها بعض الناس،

والبعض الآخر لا يؤمن بها، لذلك تهتم الآلهة بحمايتها. أما

(1) Sutra مجموعات من الحكم تلخص التعاليم الهندية في الدين والأخلاق والحياة اليومية.

الكونفوشيوسية فتتبع تعاليمها من الإنسان، وينبغي لجميع الناس أن يعرفوها ويحترمونها. لذلك فهي لا تحتاج إلى قوة سماوية لتحميها. وهذا لا يعني أن السوترا (المكتبة) البوذية تتمتع بأهمية خاصة.

الرجل - وهل تعتبر السماء مناحي التفكير الثلاثة⁽¹⁾ صورة لمجرى تفكير واحد؟

الشيخ - الكونفوشيوسية تتأسس على مبادئ تهذيب النفس وتربيتها، وهدفها إصلاح المجتمع وأساليب الحكم. الطاوية تسعى لأن يتجرد الناس من الملذات وتعلمهم كيف يندمجون في الطبيعة.

البوذية تهدف إلى تعليم الإنسان كيف يصل إلى الصفاء النفسي، وكيف يندمج في أعمال الخير والإحسان إلى جميع المخلوقات. والهدف النهائي لهذه المذاهب الثلاثة متقارب، لذلك تساعد السماء على خلق روح التعايش بينها.

«ولكن رسالة الكونفوشيوسية تركز على مجتمع الأحياء، فهي تربي الأفراد لخدمة المجتمع، بينما تهتم البوذية والطاوية بتكوين الفرد، وبالرقي بمعنوياته وبحياته؛ ويأتي الإصلاح الاجتماعي كنتيجة لذلك. ولذلك نجد أن المبدأ الأساسي فيهما هو تبيان «الطريق»، أي

(1) الطاوية والكونفوشيوسية والبوذية.

سبيل الخير والصلاح وخلاص الفرد؛ وتجعلان الاهتمام بنشر التعاليم الإلهية في المرتبة الثانية. ولذلك لم يكن هدف الطاوية والبوذية هو تنظيم الحكم وتدبير شؤون الدولة، كما هو في الكونفوشيوسية».

«ويمكن القول أن الكونفوشيوسية تشبه «الغلات الغذائية» إذا لم تتوفر يوماً واحداً شعر الناس بالجوع، وإذا حرم الناس منها أياماً عديدة يموتون. أمّا البوذية والطاوية فهما أشبه بالأدوية، تساعدان الإنسان على التخلص من المشاعر، والإثم، والغضب، والحزن، والقلق، والملذات، والآلام... أثناء مرحلة رحلته من الحياة إلى الموت».

«والطاوية والبوذية في هذا المجال أقوى فاعلية من الكونفوشيوسية، لأن الناس يجدون في مواعظهما عن السعادة والشقاء، والموت والبقاء، نصائح وإرشادات أقرب إلى النفس، خاصة عندما يتعلق الأمر بمخاطبة عامة الناس من ذوي المواهب المحدودة».

«ونجد أن بعض أتباع الكونفوشيوسية يحاضرون حول الطبيعة، والروح، وينشئون حصيلة بين تعاليم البوذا وتعاليم لاوتسي (الطاوية)⁽¹⁾؛ وهناك فئة أخرى من أتباع كونفوشيوس، عكس الأولى، يهاجمون تعاليم البوذا ولاوتسي، ويدعون لمقاومتها. ويلاحظ أن لدى الفئتين وجهة نظر مشوهة.

(1) لاوتسي فيلسوف عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وهو مؤسس فلسفة الطاوية.

الرجل - عندما يندمج بعض أتباع البوذية والطاوية في سحرهم من أجل تضليل الناس، إذا لم نكافحهم بجميع قوانا، فهذا يعني أننا نسمح لهم بنشر الشرور عبر العالم.

الشبح - ينبغي لنا أن ننظر إلى المبادئ الأساسية. فإذا فكرنا في المخلوقات التي تتألم وتشقى، فهل نقول بأن أسباب شقائهم جاءت من تعاليم البوذية والطاوية؟ ألم تسهم في ذلك الكونفوشيوسية؟ ومن جهة أخرى، هل نقول عن كل من ينام سكراناً، متضرراً.. أنه يسير على التعاليم والشعائر التي وضعها كونفوشيوس ومدرسته؟

وقدم م. د. دانغوانك اعتذاره للشبح الزائر؛ وواصل الاثنان حديثهما حتى مطلع الفجر، ثم افترقا. ولم نعرف أبداً أي رسول كان ذلك الشبح، ولا أي سماء أرسلته.

* * * * *

وجهات نظر:

قال كونفوشيوس: إذا رغبتُم في معرفة مستوى شخص فانظروا إلى من يعاشِر؛ وإذا رغبتُم في معرفة سيرة حاكم، فانظروا إلى من يوظف من الناس في دائرة مسؤوليته.

إن مخالطة الصالحين من أهل الفضل تشبه من يدخل دكان رجل يبيع الورد؛ نشعر برائحة العطر عندما ندخل الدكان، ثم بعد فترة لا نشعر بها، لأن نفوسنا امتزجت بها. ومثال من يخالط ذوق الأخلاق السيئة كمن يدخل إلى سوق الأسماك، نشعر برائحة مزعجة أول الأمر، وبعد فترة لا نشعر بها لأن نفوسنا تكون قد ألفتها وامتزجت بها. ولذلك ينصح العاقل أن ينتقي البيئة التي يريد أن يندمج فيها.

* * * * *

سأل أحدهم كونفوشيوس: ماذا بعد الموت؟ هل يظل للميت شيء من الشعور؟

- إذا قلتُ أنه يبقى للمرء شيء من الشعور بعد وفاته، أخشى أن يستمر قلق الأولاد الذين تفرغوا في حبّ آبائهم لدرجة تفسد عليهم حياتهم اليومية. وإذا قلتُ بأنه لا يبقى أيُّ شعور للمرء بعد وفاته، أخشى ألا يهتم الأولاد الذين لا يُقدِّرون آبائهم، بدفنهم بالطريقة اللائقة. ولذلك أترك لك أن تعرف بنفسك، بعد وفاتك، ما إذا كان للمرء شعور بعد وفاته.

* * * * *

شعر Y.Wangsun باقتراب أجله، فأوصى أولاده أن يدفنوه عارياً، لتسهل عودته إلى طبيعته الأولى. وجاءه رجل من أكابر القوم ليقنعه بأن يعدل عن رأيه هذا، فقال: ليس من اللائق أن تدفن من غير ثياب؛ فإذا لم يكن للموتى شعور، فلا أهمية للثياب، ولكن إذا كان لهم شعور، يكون الدفن عارياً إهانة لروح الميت وشعوره.

فقال وأنفسان: إنني أحاول بهذا أن أغير العادة. ألا ترى أن الطقوس الجنائزية الفاخرة مكلفة، وأنها لا تفيد الموتى شيئاً. أما الأحياء فيريدون من وراء ذلك إظهار مركزهم ومحبتهم للموتى، فيبذرون المال في زخارف يفسدها الزمان تحت التراب.

أليست الموت مجرد تحول عناصر المادة ليعود كل شيء إلى أصله الأول؟ وقد عرفت أن الروح هبة من الله، وأن الشكل هبة من الأرض؛ وعندما ينفصلان، يرجع كل منهما إلى طبيعته الأولى. فكيف يبقى للجثمان شعور وهو ملقى تحت التراب؟ ولهذا أعتبر أننا عندما نحيط الميت بالزخارف وندفن معه الهدايا الثمينة، إنما نبذر حق الأحياء... ولهذا قررت أن أدفن عارياً.

* * * * *

كان رجل يتدرب على استعمال السيف، فسأله الحكيم كونفوشيوس:

- لماذا تحمل سيفك؟

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

- عندما أحمل سيفاً، أستطيع أن أحمي نفسي، وأحمي من يحسنون معاملتي.

- إن قوة الرجل الخيّر تكمن في صدقه ووفائه، وسلاحه هو فضائله، وعندما يلقي الأشرار، يستطيع أن يغيّر مواقفهم بصدقه وشهامته وكرم أخلاقه.

- هل يسمح لي سيدي أن أنزع سلاحه وأدخل تحت حمايته؟

* * * * *

بينما كان أحد الأمراء في رحلة صيد، اصطاد رشاً حياً وأرسل أحد رجاله للقبض عليه. وبما أن أم الرشاً كانت تنظر إلى صغيرها، لم يتحمل الرجل صراخها، فردّه إليها. فغضب الأمير وطرده الرجل من قصره.

وبعد سنوات أرسل الأمير في طلب ذلك الرجل ليكون معلماً لولده الصغير. وعندما تساءل بعض رجال القصر: كيف يأتي الأمير برجل ارتكب خطأً، لتعليم ولده، أجابهم: إن الرجل الذي يشفق على أم حيوان ويردّها إليها صغيرها، لا يمكن أن يقسو على ولد الأمير.

* * * * *

سأل الدوق هوان أحد الحكماء:

- ما هي أسوأ كارثة يمكن أن تحلّ ببلد؟

- لا توجد كارثة أكبر من الفئران، يا سيدي.

- ماذا تعني أيها الحكيم؟

- إن القصر بينى عادة بهيكل من الخشب، وجدران من الآجر المصنوع من التراب. ولهذا يصعب القضاء على الفئران التي تتسلل إلى القصر. لأنه إذا لجأنا إلى النار لطرد الفئران، بفعل الدخان، نعرض القصر للحريق. وإذا لجأنا إلى استعمال الماء لإغراق الفئران، يجرف الماء تراب الآجر فالمشكلة تكمن في كون القصر بنى بالخشب والتراب.

ولكن للمجتمع فئرانته كذلك. يتسرب بعضها إلى قصور الحاكم والسلطان والرئيس والوزير... فيخفون عنهم الحقائق، فلا يعرف المسؤول منهم الحق من الباطل، والصحيح من الخطأ، والطيب من الخبيث، والعدل من الظلم. ويستغل هؤلاء (الفئران) نفوذهم خارج قصور الحكم ليقضوا مصالح على حساب الضعفاء، وليس من السهل مواجهتهم لأنهم مقربون من الرؤساء والأمراء وذوي السلطان...

يحكى أن تاجراً كان يبيع نوعاً جيّداً من النبيذ، وكان قد وضع لائحة كبيرة أمام دكانه تعلن عن نبيذه. ولكن لم يكن الناس يجروون على دخول دكانه. وتعجب التاجر من ذلك فزار جيرانه يسألهم، فقالوا: ألا ترى أن كلبك يخيف من يرغب دخول دكانك؟

وكذلك يوجد أمام دواوين كبار المسؤولين حراس مخيفون، وحول رجال الحكم مسؤولون مفسدون، يخفون الحقائق عن أسيادهم، ويبعدون عنهم من يرغب في تقديم النصيحة والمشورة من ذوي الرأي الصادقين. ألا ترى يا سيدي الدوق أن هؤلاء الحراس والبوابون والكتاب

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

وصغار المسؤولين، إذا كانوا من ذوي النفوس الشريرة، يضررون بمصلحة البلاد، ولكن يصعب التخلص منهم لأنهم في حماية ذوي السلطان.

* * * * *

فكّر أحد الملوك في مهاجمة مملكة مجاورة له، وأبلغ جميع من حواليه أنه لا يرغب في سماع قول من يفكر في رده عما عزم عليه. وكان من بين مستشاريه شاب مقرب منه، فكّر في نصحه بأن يتروى في الأمر، وألا يغامر بهذا الهجوم لأن الظروف الحالية غير مناسبة، ولكنه خشى هو الآخر غضب الملك.

راح هذا الشاب يتجول ذات صباح في بستان القصر بين الأزاهر والأشجار. ولاحظ الملك أن ملابس الفتى كانت مبتلة بقطرات الندى الصباحية، فناده وسأله عما يبحث في هذه الزيارة المبكرة. فأجاب الفتى:

- لقد شاهدت، يا سيدي، حشرة صغيرة تمتص الندى وهي تزنزن في هدوء، وشاهدت وراءها حشرة أكبر منها، تستعدّ في سكون لتتقض عليها؛ وكانت هذه الأخيرة تجهل بأن وراءها طائراً يمدّ عنقه ليبتلعها. وكان هذا الطائر بدوره يجهل أنني تحت الشجرة أتربّص به لاقتناصه بسهمي.

وهكذا كان كل واحد من هذه المخلوقات الثلاثة مُركّزاً اهتمامه على الفريسة الماثلة أمامه لدرجة أنه لم ينتبه للخطر الذي يهدده. وأدرك الملك المغزى الذي يرمى إليه الشاب بحكايته فرجع عن قراره بمهاجمة تلك المملكة.

* * * * *

سأل أحدهم الحكيم كونفوشيوس:

- هل ينتاب القلق الرجل ذا المنزلة الرفيعة؟

- كلاً! لأنه إذا لم توكل إليه المهام يحتفظ بموهبته؛ وإذا أوكلت إليه المهام يبتهج لكونه يوظف موهبته وتجاربه في عمله. أما الرجل قليل الأهمية والمواهب فيقلق إذا أوكلت إليه عظام المهام خشية الفشل؛ وكذلك يعتريه القلق إذا لم يكلف بأية مسؤولية.

جني البحر وجني التهر:

- سأل جني النهر جني البحر: هل أعتبر أن «العالم» هو رمز للضخامة المطلقة؟ فأجابه:

- ليس الأمر بهذه البساطة. والعالم كما هو حالياً ليس رمزاً للضخامة المطلقة، لأن هذه الكمية الهائلة من المادة ليست ثابتة، بل إنها تتغير عبر الزمن اللانهائي. والفرق بين الضخم والصغير يتطور ويتضاءل أمام أبعاد الزمان والمكان اللانهائية.

وكذلك بالنسبة للفرق بين الماضي السحيق والحاضر فإنه لا يثير مشاعر القلق، وأن الفرق بين الغنى والفقر يتضاءل في خضم التطور اللانهائي، وعندما تمر الأشياء في مراحل مؤقتة، يصبح الثراء لا يجلب متعة، والفقر لا يسبب قلقاً.. ولهذا لا يمكننا، بناء على القليل الذي نعرفه، أن نقول أن الشعرة هي رمز الصغر المطلق، وأن العالم هو رمز الضخم المطلق.

ومن الناحية الواقعية تكون الأشياء كبيرة بالنسبة لما هو أصغر منها، وتكون نافعة بالنسبة لما تستطيع أن تقدم من خير، وغير نافعة بالنظر إلى ما تعجز عن فعله. ومن وجهة نظر الملاحظ، نجد أن لكل مخلوق جوانب ترضي بعض الناس، وجوانب أخرى تزعج أناساً آخرين.

* * * * *

- قال جنيُّ النهر: هل لك أن تعلمني الحكمة والمبدأ الأساسي في السلوك؟

- جنيُّ البحر: لا يوجد في الكون إلا وحدة متكاملة مطلقة؛ ولكن مظاهر هذه الوحدة في تغيير مستمر. وعلى هذا لا توجد «أخلاق مطلقة»، فقط توافق وتناسب في أوانه. على المرء أن ينسجم مع الزمن والظروف، وأن يكون عادلاً مثل الأمير الصالح، يصاحب الخير والصلاح بما يرضي الله، وأن يستوي في نفسه كل شيء في معاملاته الفردية، وأن يتقبل جميع المخلوقات ويحتضنها لأنها وإياه من مادة واحدة.

المخلوقات في رحلة التحول والتغيير تنتقل من لا وجود إلى وجود، والعكس، وتتوالى عليها مراحل النمو والإندثار، تولد، وتموت، وتتواصل بدايات تتلوها نهايات، فلا تمر لحظة دون تغيير، وتتتابع تقلبات الزمن. وها أنت تسألني: ماذا تفعل؟ وماذا لا تفعل؟ إتبع مجرى التحولات، تصرف وفقاً للظروف الحالية؛ ليس هناك سر وراء ذلك.

إن الإنسان الذي يتبع مبدأ الحكمة يقترب من النار ولا يحترق،

يغطس في الماء ولا يغرق، يتعرض للحر والبرد ولا يتعب، يرافق الحيوانات المتوحشة ولا تؤذيه. ليس لأنه لا يخشى هذه الأخطار، ولكن لأنه بحكمته وتبصره وتجاربه يحسن حساب الحوادث فيتجنب الأذى.

- جنيُّ النهر : هل لك أن توضح لي الفرق بين الحيوانات ذوات الأربع؟

- جنيُّ البحر : إليك هذا المثال: الخيل والثيران حيوانات، وهذا هو العنصر الطبيعي (الإلهي)، أما كونها تُلبَسُ الشكيمة في فمها، أو الحلقة في أنفها فهذا عنصر اصطناعي من فعل الإنسان. ولا ينبغي للعنصر الاصطناعي أن يخنق العنصر الإلهي.

* * * * *

دورات الحياة :

توفيت زوجة أحد الحكماء، فجاءه أحد أصدقائه ليعزيه ويبكيها إلى جانبه، فوجده منحنيًا يغني ويطنبل على قصعة معدنية، فقال له:

- كونك لا تبكي وفاة شريكة حياتك التي أنجبت لك أولادًا، حدث غريب، ولكن الأغرب من ذلك أن أجدك أمام جثمانها تتشد وتضرب على القصعة! فأجابه الحكيم:

- لقد شعرت بالألم والحزن أثناء اللحظات الأولى. ثم فكرت في الأمر فوجدت أن ذلك لا يجدي شيئاً. لقد مرّ زمن طويل لم تكن فيه هذه المخلوقة موجودة، لم يكن لها جسد، لم تكن «مادة»، ولكنها كانت موجودة ضمن النظام الكوني وفي كتلته. ثم حدث تطور جعل هذه

مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —

المخلوقة مادة حية لها جسد عندما ولدت. ودارت المادة دورة أخرى فحدث تحول جديد، ودخلت المخلوقة مرحلة جديدة عندما توفيت.

ألا تلاحظ أن دورات الحياة والموت تتوالى متلاحقة كما تتوالى فصول السنة. وها هي تلك المخلوقة التي كانت زوجتي تسكن الآن ذلك العالم الفسيح ما بين السماوات والأرض في انتظار دورة أخرى وتحولات جديدة. فإذا بكيتها أبدو كأنني لا أعرف شيئاً عن القدر، أعني القانون الكوني الحتمي للتغيرات المتتالية. ولكن بما أنني أعرف شيئاً عن هذا القانون المحتوم، فلا أبكيها.

* * * * *

قالت لي البومة⁽¹⁾

... الحظ وسوء الحظ يتناوبان، وقد يمتطي أحدهما الآخر؛
المباهج والأحزان، والسعادة والشقاء، خيوط تنسج منها حبال الحياة؛
أما القدر فيظل سرّاً غامضاً.

هي ذي حوادث حياتك وحياتي مثل السحب

تصعد، ومنها تسقط الأمطار، هذه

مرتبطة بتلك.

الفنان السماوي العظيم ينشئ المخلوقات،

(1) للأديب Jia Yi (200 - 168) قبل الميلاد.

ولكن الإنسان يبقى ضعيفا ، يجهل نهايته ومصيره،
وتظل الأرض والسماء فرنا (مصنعاً) للخلق والتدبير،
والأقدار سابحة بينهما،

وتبقى السماوات ملفوفة في أسرارها .

تقلبات الحياة، على درب الزمان، تجمع وتفرق،

والتحولات مستمرة لا بداية لنهايتها .

* * * * *

هو ذا مخلوق جديد دخل خضم الحياة،

فهل من الحكمة التعلق به؟

وسرعان ما يحوله الموت إلى عالم آخر،

فهل من الحكمة أن نبكي ونتألم لفراقه؟

الجاهل يبغض الآخرين لأنه مخلوق

ضعيف منغلق في أنانيته،

والجشع يركض وراء الثروة والطموح

إلى الشهرة والسلطة،

أما من يدرك كنه الحياة فيمتدُّ بصره

إلى أبعد من ذلك.

ولكن تيار الفناء يَجْرِفُهُمْ جميعاً.

تقلبات الحياة شديدة

ولكنها لا تغير قلب الحكيم.

تبدو لي الجماهير تائهة تسبح في التقاليد.

يكس الناس في أفكارهم ظلام الأحقاد

على نور المحبة،

أما الرجل الحكيم فيتحرر من أعباء الضمير،

ومن الأشكال والألوان والهموم، وينسى

نفسه، فتراه خفيفاً، واسعاً، فارغاً، كبيراً،

متوحشاً، يطير على أجنحة الطاوية.⁽¹⁾

* * * * *

- كان رسام يعد لوحة لأحد الأمراء، فسأله هذا الأخير: ما هي الأشياء التي يصعب عليك رسمها؟ فقال الرسام: القطط والكلاب، يا سيدي. وقال الأمير: وما هي الأشياء التي يسهل رسمها؟ فأجاب

(1) فلسفة دينية مبنية على تعاليم «لاوتسي» الحكيم الصيني في القرن السادس قبل الميلاد.

الرسام: الأشباح والوحوش الخرافية.. لأن الناس يشاهدون القلط والكلاب كل يوم، أما الأشباح فليس لها شكل محدد، فيسهل رسمها.

- كان رجل يبيع الدروع والرماح في الشارع، ويثني على جودتها وأنه لا شيء يغلّبها. فقال أحد المارة: وماذا يحدث إذا هجم من يحملون رماحك على من يلبسون دروعك؟ فاحتار البائع في الجواب.

* * * * *

الطبيعي والاصطناعي :

كان الإنسان يعيش حياة متواضعة متناغمة مع الطبيعة. ثم بدأت الصناعات تطفئ تدريجياً على الأشياء الطبيعية، فاخفت السلام والرحمة والتآلف من العالم؛ وأعلن الإنسان الحرب على الحيوانات في البرّ والبحر؛ وانتشرت أشكال من الشعائر والطقوس والموسيقى أفسدت الحركات والألحان الطبيعية؛ وراح الفنانون يعتمدون على مختلف المواد والأجهزة الاصطناعية.

وحتى من نسميهم الحكماء متهمون بأنهم أحلّوا عدالة مفتعلة مزيفة محلّ القوانين الطبيعية. وعندما ظهر أول «حكيم» علّم الناس كيف يرقصون على أنغام الموسيقى، وكيف يقومون بحركات طقوسية تحت عنوان «الفضيلة»، بذلك بدأ التنافس من أجل تحقيق طموحات لا تنتهي وبلوغ أهداف لا حدود لها.. وهكذا سعى «الحكيم» الأول إلى إفساد عقول الناس، فظهرت لوحات وألوان تفسد المشاهد الطبيعية، وأصوات موسيقية أضرت بحاسة السمع، وأنتجت عطور وروائح

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

أفسدت حاسة الشم، وظهرت نظريات حول فنون الطبخ أفسدت المذاق الأصيل، وأخرى حول الأدب واللغة أزعجت القلوب والمشاعر الطبيعية.

إن القواعد والفنون الاصطناعية تخنق الناس وتضيق مجالات شعورهم ، فكيف يمكنها أن تجلب لهم السعادة؟ وهل الطائر السجين في قفص أسعد من الذي يحلق في الأجواء؟ فما أشقى هؤلاء الناس، إنهم يتبنون نظريات تخنق مشاعرهم ، وكأنهم يلبسون أحزمة تضغط على أحشائهم، كأنهم وحوش في أقفاص؛ فهل هذه هي السعادة؟

* * * * *

حول الموسيقى :

قال أحد الحكماء : كان الحكماء من الملوك، في قديم الزمان، عندما ينصتون إلى الموسيقى لم يكن هدفهم الوحيد من ذلك إمتاع النفس فحسب، بل كانوا يفعلون ذلك خاصة من أجل إجادة الحكم بالعدل والإحسان في قضايا الناس.

وعندما تكون الأنغام الموسيقية صافية سليمة فإنها تهدي إلى تعاليم السلوك السليمة، وتشجع الرجال على التمسك بهذه التعاليم. فالأنغام الموسيقية تحرك الدم في الشرايين والأوردة، فيجري بانتظام ليسقي الأعضاء، وتنشط نبضات القلب وتساعد على التناغم مع دورة الحياة.

ويقال إن هناك نغمات مختلفة منها ما ينشط الطحال، فيجعل

الإنسان منسجماً مع الصفاء والقداسة؛ وفي الموسيقى أصوات تنشط الرئتين وتجعل المرء يميل إلى الصدق والعدالة؛ ومنها أنغام تنشط الكبد، وأخرى تنشط القلب، وأخرى تؤثر على الكلى.. وكل ذلك يجعل الإنسان أكثر انسجاماً مع الأخلاق الفاضلة.

إن الطقوس والشعائر العقائدية تؤثر على الإنسان من الخارج، والموسيقى تؤثر عليه من الداخل، على القلب والأحشاء. والإنسان الحكيم يتمسك بالشعائر لأنها تهذب أفعاله الوحشية، ويقبل على الموسيقى السليمة لأنها تطرد عنه مشاعر الشر والفساد.

* * * * *

الماء والأدب⁽¹⁾ :

سألني سائل قال: في مسقط رأسك يكثُر الماء، ولكن هنا، في العاصمة، نسمع الضجيج، ونرى الغبار يتطاير.. ولا يوجد كثير من الماء. فكيف تتخيل أمواج الماء؟ فأجبت مبتسماً:

الأمر لا يتعلق بوجود الماء أم لا. والواقع أنه لا يوجد شيء تحت السماء أقرب إلى الأدب من الماء. فهو ينساب في خط مستقيم، ويغير مجراه فجأة؛ ويغطي السماء ويكشفها؛ تارة رقيقاً شفافاً مثل شرع من حرير؛ ويتحول إلى دوامة في البحر فيشبه عين النمر؛ وتراه في الشلال كأنه شعاع سماوي؛ ويُروّض الماء فتخاله قطعة من حجر كريم؛

(1) للأديب Xu Wenchang.

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

وبهيج فهو زوبعة مخيفة؛ وإذا انتشر وخفت عناصره يصبح ضباباً؛
وإذا غضب تحسبه رعداً؛ وإذا استنشقتة ظننته هواء.

وسواء كان سريعاً أم بطيئاً، عنيفاً أم فاتراً، فإنه يظهر على ألف
شكل. إن للماء صفات مدهشة، فهو من أشد المواد تغيراً وإعجاباً تحت
قبة السماء. أتخيله، وأنا جالس في غرفتي، يتقلب ويتموج في
تحولات خارقة: يتجمع في مضيق، يهيج فيرتفع في شكل أمواج عاتية؛
يترنم في الجداول؛ ينطلق في الشلالات؛ يستجم في البرك؛ وينبسط
تحت السماء في البحار.

كل ما هو مرن ، لين ومتعرج فهو ماء. وأرى جميع أنواع الأدب
مثل الماء. أجد الأدب في الجبال الشاهقة وفي الربى؛ وفي البحار وفي
الغابات. ما كان يابساً فهو ميت، وليس الماء ولا الأدب كذلك. وأجد بين
روح الماء وروح الأدب تشابهاً، مهما اختلفت أشكالهما.

* * * * *

حول الجمال



قال القدماء: يكفي أن يشاهد الرجل امرأة جميلة لينتعش قلبه وتتحرك عواطفه، ولكن كثيراً من الناس ينسون أو يجهلون بأن للجمال الحقيقي صفات أخرى، فيها جاذبية وسحر وإبهار، ولطافة وغنج، وبساطة وروعة، وظرف وسرّ خفي يتعذر وصفه، يُسحر النفس ويملك اللب.

فالمظهر الخارجي وحده لا يكفي، وإلا لكانت الدُّمى والرسوم والتمائيل الجميلة كذلك تسحر القلب وتخلق لدى المرء مشاعر غريزية. فالجمال الحقيقي، بجاذبيته وسحره، مثل شعلات النار، مثل ضوء الفوانس، ولمعان المعدن الخالص، ليس له شكل محدد؛ فهو ملموس ومجرد في الوقت نفسه.

ولهذا كان سحر هذا الجمال سحراً لا يمكن وصفه بالكلمات وحدها. فهناك قوة خفية فطرية لدى بعض النساء، بمجرد أن يشاهدنَّ الرجل، توقظ في نفسه شعلة روحانية لدرجة أنه يخاطر، أحياناً، بممتلكاته، وملكه، وحياته لينال مبتغاه. وتلك القوة الساحرة (الجمال الفطري) سرّ غامض، وجاذبية ذاتية داخلية طبيعية وفطرية، يصعب التعبير عنها.

وهذه القوة السحرية والسرّ الفطري في الجمال لا يمكن صنعها، ولا الزيادة عليها أو التقليل منها، في الظروف العادية. فبوسع المرأة أن

مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

تزيّن بشرتها، وتزخرف وجهها وعينيها وحواجبها، ولكن الجمال الفطري ينبع من الداخل، ممتزج بالنفس، ولا يمكن تحويله أو نقله لأنه غير ملموس.

وقد يقول القائل: إذا كان بوسع المرء أن يتعلم الحكمة، وهي فنّ مجرد، فلماذا لا يمكنه أن يتعلم أساليب الجمال السحري؟ ولكن كيف يحدث هذا؟ كيف نعلمه للنساء؟ فإذا عاشرت امرأة عادية امرأة أخرى من ذوات الجمال الفطري الساحر، فهل يمكن أن تأخذ شعاعاً من جمالها بالعدوى؟ لنقلّ مثل نبات القصب الذي ينمو مستقيماً وسط نبات القنب دون حاجة إلى ما يسنده؟ أو مثل ما يحدث عندما يعيش غراب وسط سرب من الحمام، في ظروف خاصة، فيحاول تقليد مشية الحمامة! وهل محاكاة الصفات والمواهب والمعايير الذاتية الفطرية يعطي نتائج فعالة؟ أخشى أن يؤدي التقليد، في هذا المجال، إلى الإساءة إلى الصورة الأصلية.

* * * * *

مشاعر



عندما نفتح كتابًا، نلتقي بالأقدمين؛
عندما نسير في الشوارع، نلتقي بأبناء الحيّ .
لقد أصبحت عظام الأقدمين غبارًا،
ولكن مشاعرهم ما زالت تطل علينا، وتمتعنا .
أما أبناء جيلنا، فعندما نتحدث إليهم،
فكأننا نمضغ الشمع .
أفضل أن أعاشر الأشياء والأشجار والصخور،
من أن أضيع وقتي مع الجاهل المغرور .
ومن حسن حظي أنني أعاشر وأجالس أجيالاً قديمة؛
وأنا سعيد بالانتماء إلى عهود الكتب التي أقرأها .
من يدري؟ لعلي سأتيه في سماء غير هذه السماء،
حيث تشاهد عيناى ما لا تشاهده في هذه الدنيا .
وسأشعر بخيبة كبيرة، إذا اكتفت عجلة التقمص

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

بأن تجعل منّي، مرة أخرى، مجرد شاعر، كما أنا في هذه

الحياة.

لقد بلغت سنّ السبعين،

وما زلت أغرس الأشجار، وأستشق عطر الأزهار،

وهذا عمل يرضي الطبيعة.

أعلم أنه لا خلود في هذه الحياة،

ولا جدوى من التحسر على ذلك.

* * * * *

الابتزاز



إذا نفذ سحر الحب إلى القلب، عن طريق العينين،
فهذا من أسرار الطبيعة وعملها في حياة المخلوقات؛
وإذا استجاب الطرف الآخر؛ واستولى على مشاعره،
فتلك نتيجة سعيدة للقلبين، وإن كانت لا تحدث دائماً.

* * * * *

بصفة عامة يغازل الرجال النساء، وتستجيب النساء للحب، فينتج ما نسميه علاقة غرامية. ولكن عدد الرجال الذين يعانون ويتألمون من هذه العلاقة ليس بالقليل. بل منهم من تتسبب لهم علاقاتهم الغرامية في الموت، خاصة عندما يقعون في شبكة فئة من الأندال ممن تمرّسوا في استغلال ضعف الرجل في ميدان العلاقات الغرامية، فيكيّدون له، ويحتالون لابتزاز أمواله.

كان يوجد في العاصمة رجل شرير عرف بمهارته الشيطانية في استغلال هذه المهنة القذرة. كانت زوجته تتزين وتتخضب وتتخرف بأجمل الثياب والحلي. وتزور الأماكن المواتية لصيدها، فتجذب إليها اهتمام الرجال، وخاصة من تلاحظ عليهم مظاهر الغنى، فتشير بأن يتبعوها إلى منزلها.

وفي اللحظة المناسبة تعطي الإشارة إلى زوجها (أو رفيقها في

المهنة) فيدخل متظاهراً بالغضب، حالفاً بأغلظ الأيمان بأنه سيغسل العار (عار زوجته) بالدم. ولا يبقى للمسكين الذي وقع في الفخ إلا أن يهدئ الزوج بدفع مبلغ من المال لإنقاذ سمعته وحياته. وهكذا ظل الرجل الشرير يحقق مبالغ ضخمة كلما اقتضت زوجه ضحية غنية.

وحدث ذات يوم أن لقيت الزوجة شاباً حسن المظهر والهندام، فرأت فيه فريسة سهلة، غير أنه كان من أصحاب مهنتها، بارعاً في لعبة المكر والاحتيال، قد مارس المهنة التي تصطاد بها تلك المرأة ضحاياها؛ غير أنه تبع المرأة إلى منزلها، وراح يغازلها ويتظاهر بالوقوع في حبالها... وفجأة دخل الزوج كعادته في اللحظة الحرجة، وراح يصرخ ويهدد ويتوعد. غير أن الفتى الزائر ظل هادئاً، ولم يحرك ساكناً، بل راح يضم المرأة إلى صدره بشدة، وهي تحاول، بل تتظاهر بمحاولة التخلص منه والنجاة من غضب زوجها، غير أن الفتى طلب منها ألا تتحرك ولا تقلق، وألاً تضيع عليه فرصة متعته.

أخرج الزوج سكيناً ووضع على عنق الفتى. فلم يلتفت إليه هذا الأخير، بل قال له في هدوء: إذا كنت ترغب في الفضيحة والقتل والسجن، عليك أن تبدأ بزواجك أولاً، أليست خائنة مجرمة؟ احتار الزوج في الأمر، لأنه لم يتوقع أن يتعامل مع هذا النوع من الأشرار مثله. فرمى السكين، وتناول عصي لينزل بها على رأس الفتى، فوقعت الضربة على عنق الزوجة.

وكانت نتيجة العراك بين ثلاثتهم أن نقلت الزوجة والزائر الفاسق إلى المستشفى في حالة خطيرة، وشيعت جثة الزوج الجشع المبتز إلى مثواه الأخير؛ وذلك جزاء الأشرار وعاقبة المفسدين.

الحياة حركة واسترخاء⁽¹⁾



كان كونفوشيوس من أبرع الناس في فن المحافظة على الحياة. ومن أقواله في هذا الصدد «لا تتَمَّ مثل جثة هامدة، ولا تترك عضلات وجهك تتجمد». ولو أنه فضل مظاهر اللياقة ومراسم المسؤولية، لاحتفظ دائماً بمظهر الرجل الحكيم الموقر، وكان جسده مثل جثة باردة، وملامح وجهه عابسة متجمدة. ولكن كيف يشعر بالراحة من ظل على هذه الحال، وأعضاؤه متوترة. وكيف يظل الجسم سليماً إذا كان يبدو كأنه تمثال من خشب أو من طين؟ وقد وصف لنا كونفوشيوس بسلوكه ونصائحه، صورة الرجل الحكيم الجدير بالاحترام والتقدير، وكان عبر الزمن الطويل نموذجاً للقدماء من أهل المعرفة واللياقة والحياة الراضية.

«عندما أكون في المنزل أطبق تعاليم كونفوشيوس: فلا أتجمد في جلوسي كتمثال مستقيم؛ ولا أحتفظ دوماً بمظهر الرجل الجدي؛ ولا أبقى ساكناً بدون حركة؛ ولا أبدو كأنني مقيد أو ملتصق بمقعدي؛ بل أثنى ركبتي حيناً، وأترنم بأنغام مطربة طورا».

«إنه بوسعك أن تفعل مثلي، فتتحرك وتسترخى، وأنت غير ملزم بأن تظهر بمظهر الشخص المستغرق في أفكاره. وإذا أبقيت جسديك

(1) للكاتب Li yu (1611 - 1679).

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

ووجهك في حالة متجمدة فترة طويلة، فإنك بعد طول الزمن تبدو كمن يزحف نحو الموت، لأنك بوضعك المتجمد تتخذ الوضع الذي ستكون عليه بعد الوفاة».

أما في حالة الوقوف، فيمكنك أن تبقى مستقيماً خلال دقائق، ولكن إذا طال وقوفك فإنك تحتاج إلى شيء ترتكز عليه، وإلا فإن مفاصلك وعضلاتك تتوتر وتتجمد، ورجليك تتألم، والدورة الدموية تتعطل. فارتكز على شجرة، على حائط، أو حجارة، أو حاجز، أو عصا. عندئذ تبدو في وقفتك هذه كأنك رسم على لوحة فنية. وأنصحك ألا ترتكز على امرأة جميلة، لأن قاعدتها غير ثابتة، وقد تسقط أعمدة السقف على رأسك.

* * * * *

من أقوال الأديب لوسين⁽¹⁾



- النحلة تلدغ وتفقد حياتها، والناقد يلدغ محاولاً أن يحافظ على حياته.
- يكرهني أناس ، وأكره أناساً، وهذا ما يجعلني أشعر أنني حيٌّ.
- الشعب الصيني يحبّ الحلول الوسطى، إذا قلت لهم: هذه الغرفة مظلمة، لنفتح فيها نافذة، عارضوك؛ وإذا قلت: لننزع السقف! يقولون «لنفتح نافذة».
- الحضارة الصينية، حضارة خِدْمَةِ الأسياد، على حساب الجماهير الفقيرة. ومن يمدحونها يفترضون أنهم ينتمون إلى طبقة الأسياد.
- كان الناس في الصين القديمة يرفضون البوذية. ولكن عندما بدأ فلاسفة العقل يتحدثون عن التأمل، وبدأ القساوسة يقرأون الشعر، بدأ الناس يكتشفون أن الأديان الثلاثة (الطاوية، الكونفوشيوسية، والبوذية) جاءت من منبع واحد.
- احتياجاتنا الأساسية الملحة ثلاثة: البقاء، الغذاء واللباس، والنمو. وأي شيء يعرقل هذه الأشياء ينبغي سحقه.

(1) لوسين اسمه الأدبي، واسمه الحقيقي Chou Shujen، توفي سنة 1936؛ هو من دعاة البروليتاريا، ويمثل أدب الثورة. انتقد الحضارة الصينية القديمة. وتعبّر أفكاره عن مزاج الجماهير الصينية في عهد الصين الجديدة.

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الصيني —————

- الكلام والكتابة كلاهما علامة على الفشل. فالذين يحاربون قوى الشرّ ليس لهم وقت للكلام؛ والذين نجحوا في مهمتهم يفضلون السكوت.

- ليس لدينا إلا طريقتان : إما أن نتبنى مناهج الأدب القديم ونموت؛ أو نرفضه ونحيا.

- الأدب في العصور القديمة أشبه بمن يشاهد حريقاً عبر نهر؛ أما في أدب العهد الجديد فنجد الأديب وسط الحريق، مضطراً للمشاركة في معركة النضال الجماهيري.

- قال لي صديق: ليست المشكلة في هل نستطيع أن نحافظ على تراثنا القومي، بل هل نستطيع تراثنا القومي أن يحافظ على بقائنا؟

* * * * *



**مقتطفات من الحكمة
والأدب الهندي**

البوذا المستنير



موعظة حول السلوك السيئ :

تأمل البوذا في ما يحدث في المجتمع، فلاحظ أن معظم الشقاء والمعاناة يسببها مكر الناس وفساد تصرفاتهم، وأن ما يدفعهم إلى ذلك هو الأنانية والغرور والطموح إلى إشباع رغبات النفس ومطامعها .

قال البوذا :

«إذا تصرف شخص بحماقة، وأذاني، فإنني أردُّ عليه بالمحبة واللطافة، وليس بالكراهية والحقد . وهكذا أستمتع بما يفوح من طيب معاملتي ونبيل أخلاقي من عطر وشذى منعش . وهو يتلقى على وجهه ريح الشرِّ والفساد التي تنطلق من سوء سلوكه» .

واستمع رجل أحمق إلى ما قاله البوذا عن مجازاة الشر بالخير، والكراهية بالحب، فتقدم نحوه وأساء الكلام معه، فبقى البوذا صامتاً، ثم قال له :

«يا بني، إذا رفض رجل هدية قدمت إليه، فلن تعود؟» فأجاب الرجل الأحمق: طبعاً تعود إلى صاحبها . فقال البوذا: «لقد كلمتني بألفاظ سيئة جارحة، وأنا أرفض هديتك، وأطلب منك أن تحفظها لنفسك؛ ولعل مساوئ كلامك تسبب لك بعض المعاناة» .

«إنّ الصدى ينبع من الصوت، والظل يلاحق مادته، ولا شك في أن الشقاء يلحق بالشرير». وواصل البوذا كلامه قائلاً:

إن الرجل الشرير الذي يؤدي رجلاً صالحاً يشبه من ينظر إلى أعلى ويصق نحو السماء، فبصاقه لا يزعج السماء، بل يسقط على وجه صاحبه ويلطخه. ومن يعيب شخصاً يشبه من ينثر الغبار على رجل آخر، بينما الريح تهب في اتجاهه فتعيد التراب إلى وجهه».

* * * * *

موعظة النار (للبوذا) :

ذات يوم كان بوذا المستنير في وسط جمع غفير من القساوسة، فخاطبهم قائلاً:

«أيها القساوسة، كل شيء يحترق، العين المبصرة تحترق؛ الوعي يحترق؛ الانطباعات التي تتلقاها العين تحترق؛ جميع الإحساسات، مريحة كانت أو مزعجة، أو محايدة، تحترق».

«وبماذا تحترق جميع هذه الأشياء؟»

«إنها تحترق بنيران الرغبات والأهواء، والانفعالات والعواطف والمشاعر؛ إنها تشتعل بنيران الإحساسات والفتنة والحقد والشهوات، ونيران الميلاد، والشيخوخة، والفناء، والحزن، نيران الآلام والشقاء واليأس».

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي —————

«وكذلك تحترق الأذن وأصواتها؛ والأنف وروائحها؛ واللسان ومذاقاته؛ ويحترق الجسد ووعيه وشعوره وأفكاره...».

«وعندما يدرك، أيها التلاميذ والقساوسة، القس المتفقه النبيل، هذه الحقائق، ينفر من الحواس والإنطباعات والاحساسات والمشاعر، وعندئذ فقط يتخلص من رغباته وأهوائه وعواطفه وانفعالاته ومطامحه وشهواته، عندئذ فقط يصبح حرّاً طليقاً؛ وعندما يعي أنه تحرر من جميع القيود، من متاع الدنيا وفِتَنِهَا، يتخلص من سلسلة الميлад والموت المتكررة (التقمص)، ويتحول إلى ملكوت الحياة السامية المقدسة، وعندئذ يعي أنه قد فعل ما كان مطلوباً منه، وأنه قد تحرر من حياة هذا العالم.».

* * * * *

حكم ومواعظ من الهند القديمة

«الضمابادا» The Dhammapada



كلمة «الضمابادا» هذه تعني العقيدة، وهي كتاب في البوذية يجمع عدداً كبيراً من الحكم والمواعظ والأقوال المأثورة، وتنسب للمعلم بوذا المستنير.

موعظة:

- الإنسان نتاج أفكاره وخلاصتها. فإذا وجه خياله إلى أفكار شريرة يتألم ويكتئب ويحزن عاجلاً أم آجلاً. وإذا تحدث بأفكار إيجابية سليمة يشعر بالرضى وراحة البال.

- يقول المرء: أساء إليّ فلان، أهانني، إحتقرني... وما دامت شعلة هذه العواطف تضطرم في أحشائه لا يزول حقدّه. فالحقد لا ينطفئ بالحقد، بل بالتسامح والمودة والعفو والتراحم.

- الإنسان الذي يسارع للملذات، ولا يكبح جماح حواسه ومشاعره، ولا يحدّ من رغباته في الشرب والطعام، ولا يعطي جسده حقه من الحركة.. سينهزم، وتطيح به رياح الشهوات العاتية كما تطيح بالشجرة الضعيفة.

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي —————

- المشاعر السلبية تنفذ إلى الفكر المبلبل، كما ينفذ المطر إلى منزل بلي سقفه.

* * * * *

الفكر والتفكير:

- يضطرب تفكيرنا أثناء الغضب كما تتقلب السمكة التي ترمى على اليابسة.

- أحسن ترويض فكريك يألفك وتألفه، وتنعم براحة البال. فإذا ألفتَه يمكنك أن تقوده وتقومه كما يقوم السهم صانعه.

- من يلجم تفكيره الجامح يتحرر من طغيانه، ويخرجه من متاهة الشاعر.

- حصن فكريك كما تحصن القلعة تتغلب على الغضب والقلق، ويسترخى جسدك المضطرب.

- الفكر السليم يخدمك أكثر مما يخدمك والداك، والفكر الجامح يفعل بك ما لا يفعل عدوك.

* * * * *

الزهور:

- على الحكيم أن يعيش في قريته مثلما تمر النحلة بين الزهور، تجمع منها الرحيق، وتغادر، دون أن تؤذي الزهور، ولا عطرها، ولا لونها.

- الكلام المزخرف الذي لا يتبعه العمل، مثل الزهرة بلا عطر.
- عطر الزهور لا يسافر عكس اتجاه الريح، أما سمعة الرجل الطيب فتطير في كل اتجاه.
- تلاميذ بوذا المستنير يسَطْعُون بالحكمة والمعرفة فوق جميع من أعمت الدنيا بصائرهم؛ وهم في ذلك يشبهون الزهور الجميلة بعطرها المنعش، رغم أنها تنمو على أكوام الفضلات على جانب الطريق.

الأحمق:

- المجنون الذي يعرف أنه مجنون، ويلتزم بحدود القانون، فهو حكيم.
- لا يتعرف المجنون على الحقائق إلا بقدر ما تتذوق الملعقة لذة الطعام.
- من تدمع عيناه عندما يتلقى هدية على عمل أنجزه، يعني أنه لم يتقن ما أنجز.
- هناك طريق يقود للثروة، وطريق يقود للخير الأسمى، ومتى اختار تلميذ بوذا طريقه فإنه لا يطمح للمجد والشهرة، بل يسعى للانفصال عن العالم المحدود.

الرجل الحكيم :

- الحكيم لا يفره المدح، ولا يزعجه الذم.
- إختَرُ أصدقاءك، تجنّب الأشرار، إحدَرُ اللئام، المفسدين في الأرض.
- الحكيم يحيا وسط التشريعات بنفس هادئة راضية، وتكون حياته مثل بحيرة عميقة هادئة صافية طاهرة.
- العاقل لا يشتدّ في طلب الأولاد والمال والسلطة، ولا يلجأ إلى الوسائل الملوثة لاكتسابها.
- الحكيم يركز تفكيره على منابع العلم، لا يتعلق بمتاع الحياة، يقيّد شهواته، ويكبح رغبات الجسد، ويسعى لما ينير سبيل الصراط المستقيم، ذلك هو المؤمن الحرّ الصادق في حياته الأولى وما يتلوها.

* * * * *

خير من مائة :

- ليس من ينتصر في الحرب ويفلب بالقتل بطلا، بل من ينتصر على نفسه، ويعيش في رعاية التشريعات السماوية.
- خير لك أن تقدم ولاءك وإجلالك للعالم الصادق المؤمن، من أن تقدم مائة قريان.
- من يواظب في سلوكه على تحية كبار السنّ وإكرامهم، ترزقه الروح السامية بأربع فضائل: الحياة الراضية، الجمال، القوة، والسعادة.

- لأنَّ تحيا سنة واحدة في ظل قوانين السماء ورعايتها، خير لك من أن تعيش مائة عام خارج ملكوتها .

* * * * *

الخير والشر :

- قد يتمتع فاعل الشر إلى حين، ولكن له الويل عندما تتضح شروره، وتتبت أشواكها وأظافرها وأنيابها .

- لا تستهن بصغائر السيئات، فالشرور تتراكم في هدوء وغفلة مثلما يمتلئ الإناء بقطرات الماء الصغيرة .

- من يسيئ إلى شخص بريئ ينقلبُ شره عليه، كمن ينثر الغبار في وجه رياح تداهمه .

- لا يخلو امرؤ من سوء نية، سوء عمل، أو سوء تفكير ولو صعد إلى السماء، أو اختفى في أعماق الغابات والجبال والبحار .

* * * * *

العقاب :

- كل إنسان يخشى العقاب، ويرعبه الموت، ويتعلق بالحياة، وأنت منهم . فلم تعاقب، وتقتل، وتتسبب في عذاب الآخرين؟

- قيِّد غضبك! لا ترفع صوتك! فالغضب يُوتر العضلات، ويسرع باللكمات .

مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي —————

- كِبْرُ السِّنِّ يسوق الناس نحو القبور، كما يسوق الراعي قطيعه نحو الإصطبل.

- من ينزل العقاب على الأبرياء، سيجد نفسه قريباً في إحدى الحالات التالية:

- فقدان التفكير السليم، وآلام في الأحشاء؛

- يُنْهَبُ ماله، يَصْفَرُّ وجهه، وتنزل عليه الاتهامات؛

- يحترق منزله، تنكسر رجله، ثم عذاب الآخرة.

- الفرس الأصيل لا يفعل ما يجعل صاحبه ينزل عليه بالسياط، والرجل الكريم يمنعه الحياء من أن يجلب لنفسه اللوم والتأنيب.

- أهل الخير يوصلون الماء إلى حيث ينفع الناس والزرع، والرجل الصالح يُقَوِّمُ نفسه كما يقوِّم النجار الخشب، ويقوِّم صانع السهام سهامه.

* * * * *

كِبْرُ السِّنِّ :

- كيف تضحك أيها الإنسان وتبتهج؟ وأنت تعيش في عالم يحترق؛ ألا يبحث عن النور من كان يعيش في الظلام؟

- أنظر إلى هذه الرزمة الهشة المغلفة في ملابس فضفاضة، رزمة ضعيفة، مريضة، ذابلة.. ولكن رأسها مملوء بالمشروعات الدنيوية.

- أرى كتلة من العظام مغلقة بالجلد والدم، تنسلخ منها قوتها وغرورها؛ إنها الشيخوخة، والنهاية معروفة.
- الرجل الذي لم ينظم طاقته في شبابه، ولم يخطط لمستقبل أيامه، يعيش شيخوخته مثل طائر الحزين في بحيرة خالية من الأسماك.

* * * * *

العالم:

- أنظر إلى العالم كما تنظر إلى فقاعة كبيرة، وكما تنظر إلى سراب، عندئذ لا يفاجئك شيء.
- العالم من حولنا يجري مثل مركبة سريعة، الأحمق يحاول اللحاق بها، والحكيم يراقبها ويتأملها عن كثب.
- من تكثر سيئاته، ثم يستقيم ويجتهد ليغطيها بحسناته، يصبح مثل القمر الذي ينسلخ من السحب لينير ما حوله.
- إذا خالف رجل قوانين السماء، واستهتر وكذب واستهزأ بحياة العالم الآخر، سهل عليه أن يفعل أي شيء آخر.
- لأنَّ يخطو المرء خطوة صالحة لينال جزاء قدسيا، خير له من أن يملك العالم.

* * * * *

السعادة :

- يعيش المرء هنيئاً راضياً إذا خلا قلبه من الحقد والبغضاء، كما يعيش الرجل سليماً مطمئناً ولو كان وسط المرضى والحمقى.
- الانفعالات شعلة متأججة، والحقد والغضب أشدها اشتعالاً.
- من يرافق الحمقى يثقل عبؤه، ويتبلبل فكره، وتقلق نفسه.
- القناعة ألا تقول هذا ملكي؛ والكرم ألا تقول هذا ملكي وحدي.

* * * * *

المتعة والبهجة :

- ترك الملذات فيه ألم الحرمان، والانغماس فيها يجلب ألم الندامة.
- لا شك أن فقدان شيء ثمين أو شخص عزيز شيء مؤلم، ولكن من أوصاك أن تتعلق به دون التفكير في العواقب؟
- الملذات مصدر المتعة المؤقتة، ومصدر القلق والخوف والحزن في نهاية المطاف، فاحذر اللذة المؤقتة.
- الحب منبع الحزن والخوف، وهو متعة مؤقتة، فَتَحَرَّرْ منه، فمالك تصبح عبداً لعاطفة تورثك الألم في نهاية المطاف؟
- الأصدقاء والأصدقاء يرحبون بالمرء عندما يعود بعد غياب طويل، وأعماله الصالحة ترحب به عندما تلقاه في العالم الآخر.

* * * * *

الغضب :

- الغضب الهائج يشبه عربة تتدحرج في منحدر وعر، والقائد البارع من يحسن كبح جماحها دون أذى أو خسارة كبيرة.
- هل تودّ أن تقترب من الآلهة؟ إملك نفسك عند الغضب! أأحمد شعلة الشر بالحب والعتفوا! تغلب على الجشع بالكرم! تخلّ عن القليل بالتسامح، إذا يجنبك العداوة!
- لا يخلو امرؤ من العتاب والمعاتبة. فأناس يعاتبون من يسكت طويلاً، أو يتكلم كثيراً، ومن يتكلم قليلاً، ومن يمشي ببطء، ومن يمشي بسرعة... لأنّ المعايير نسبية؛ وفي النهاية، للمدح نهاية وللعتاب نهاية. ولكن إذا كان معدن المرء صافياً مثل الذهب، فإنّ البرهَمِيَّ نفسه يمدحه.

النفس الطاهرة والنفس الملوثة :

- العيب في الصلاة أن يهملها المرء أو لا يكررها؛ وعيب المزاج الكسل؛ وعيب الحارس غفلته؛ وعيب فاعل الخير بخله؛ وعيب المنزل إهماله؛ ورأس العيوب الجهل.
- من كان قليل الحياء قد يجد حياته ميسرة، لأن الوقاحة تقتل الضمير، وتدفن الكرامة؛ وعلى عكس ذلك يلاقي الرجل الطيب المتواضع العراقيل لأنه هادئ الطبع كريم الخلق.

مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي —————

- من يكذب يدفن الحقيقة؛ ومن يغتصب ما ليس له يدفن الحياة؛ ومن يطمع في زوجة جاره، ومن يتعاطى المخدرات، ومن يشهد الزور.. جميعهم آثمون، يجتثون جذور الأخلاق الحياتية، وجزاؤهم جهنم وبئس المصير.

- المشاعر شعلة متأججة، الحقد ثعبان، الحماسة فخ، والجشع سيل يجرف الأخلاق الفاضلة.

- من يجتهد ليكشف عيوب غيره، فعليه أن يشكر من يسعى لكشف عيوبه.

* * * * *

العدل والعدلون :

- لا ينال الرجل لقب كبير الجماعة أو لقب المسؤول الرشيد لمجرد أن شعر رأسه قد شاب، بل كبير القوم هو من عرف بالحكمة والتقى والاعتدال والعدل وطهارة النفس والإحسان وكرم الأخلاق.

- لا يقدم الرجل في المجالس، ويمنح التقدير والاحترام لثروته، أو حسن ملامحه، أو جمال هندامه، أو شهرة عائلته... فهذه مظاهر لا تمنع من أن يكون أنانياً، بخيلاً، سيئ الخلق.

- ليس بزاهد من يلاحق متاع الدنيا، بل الزاهد المتسك من يكبح جماح رغباته، ويلجم شرور نفسه، ويحارب الفساد في الأرض، وينشر السلام.

- من يرفع نفسه فوق الخير والشرّ، ويظهر نفسه من الأطماع، ويقاوم المغريات، يحق له أن يدعى قسّاً وزاهدا ورعاً.
- إنما يدعى حكيمًا من يميز بالتبصر والعلم بين الصلاح والفساد، ويزن بالوعي منابع الخير والشرّ، فيتبنى الأول، ويحارب الثاني.
- ليس من التقاة من يحارب المخلوقات البكماء، ويؤذي الحيوانات، بل التقى من يخشى الله فيها ويحسن معاملتها.
- لا ينال المرء درجة «النيرفانا» ويعتق نفسه من قيود الحياة، إلا بالانضباط، والوفاء بالندر، والتعمق في المعرفة الكونية.

* * * * *

تلميذ البوذا :

- تلميذ البوذا يقظ، تتجه أفكاره نحو المعبد، نحو البوذا، ونحو جسده. أفكاره مفعمة بالرحمة، مركزة على التأمل.
- ليس من السهل على تلميذ البوذا أن يلجأ إلى التقشف والتسك، وأن ينضم إلى مجموعات الأخويات الدينية، وأن يعتمد في معاشه على التسوّل. بل لا أنصح أحداً أن يتبع طريق التسوّل والتقشف ليتجنب الألم.
- المؤمن الطيّب ، تلميذ البوذا، يسطعُ نوره من بعيد مثل الثلج على قمة الجبال؛ والرجل الشرير لا يلقي اهتماماً من أحد، إنه مثل سهم يرمى به ليلاً، فيتيه في الظلام.

* * * * *

الطريق المنحدر:

- خير للرجل أن يبتلع قطعاً معدنية من أن يعيش على الأعمال الخيرية.
- الشرير الذي يلاحق زوجة غيره تلحق به أربعة مصائب: العقاب في الدنيا، سوء الخلق، سوء المصير، ونار جهنم.
- من لا يحسن استعمال المنجل قد يقطع أصابعه، ومن لا يحسن الزهد والتقشف قد يقوده الدرب إلى الهلاك.
- لا ترجو خيراً ممن لا يتقن عمله، ولا يحافظ على مواعده، ولا يلزم الانضباط ويحترم النظام.
- الحاج المهمل لا يزيد على أن ينشر غبار الطريق على الآخرين.
- من يستحون من أفعال لا توجب الحياء، ولا يستحون من أفعال توجب الحياء، ويخشون ما لا يخشى، ولا يخشون ما ينبغي أن يخشى، ويرون الإثم حيث لا يوجد إثم، ولا يرون الإثم فيما هو مَرْتَع للإثم، أولئك عميت قلوبهم وبصائرهم، ولهم سوء المصير.

الفيل:

- إذا كان الرجل ضخماً الجثة، بديناً، نؤوماً، يتأرجح في بطنه، ولا يسعى لإصلاح حياته، فإنه سيولد من جديد (التقمص) في هيئة خنزير ضخماً مثل الفيل.

- كان فكري يجول ويسرح كما يحلو له، والآن استيقظتُ، سأربطه إلى عمود شديد كما يربط الفيل الجموح.
- الوحدة خير من رفيق السوء. فإذا لم تجد لسفرك رفيقاً حكيماً، إذهب وحدك؛ ولتكن رغباتك محدودة، كمثّل فيل يتجول في الغابات.
- الرفاق الصالحون مسرة ومنتعة طيبة في المناسبات الطيبة، ومن الطيبات أن يهجر المرء الاكتئاب والحزن.
- أنقذ أفكارك من مسلسل الفساد، أنظر إلى الفيل كيف يخرج من بركة الوحل سالمًا.
- من متع الحياة العيش بالقرب من الأم والأب، ولا يفوق ذلك إلا الارتقاء بالروح إلى ملكوت الخير الأسمى (النيرفانا).
- ومن متع الحياة التمسك بالفضيلة حتى آخر الشيخوخة، عندما تسكن جذور الإيمان في الأعماق.

العطش :

- ينمو عطش روح من كان تفكيره سطحيًا ومحدودًا مثلما تنمو النباتات الزاحفة المتسلقة، وهذا يؤلمه؛ أما من استطاع أن يروى عطشه من منبع الإيمان والحكمة، فإن آلامه تتسلخ منه مثلما تنزلق قطرات الندى من أوراق اللوتس.

- ما لم ترّو جذور هذا العطش الروحي، يظل الألم ينخر جسمك. لاحظوا أن الشجرة تظل تنمو وإن قطعت أغصانها، فاحرصوا على اجتثاث منابع العطش.

- ملذات الحياة ووسائل الترف والرفاهية مغرية، تجنح بصاحبها نحو التطرف والتهور؛ وما دام المرء مستسلماً لها، منغمساً فيها، ستتواصل حالات تقمّصه وعذابه؛ ومن يدري في أيّ شكل ستكون حياته التالية.

- ليست القيود المؤلمة هي تلك التي تصنع من الحديد أو من الخشب أو الحلفاء، بل إنها القيود التي تربط الإنسان بالزوجة والأولاد، وزينة الحياة الفانية.

- القيود المؤلمة هي تلك التي تجرّ صاحبها وتتحكّم فيه بالمشاعر، تشتتّ تارة وتسترخى حيناً، إنها القيود التي تربطه بمتاع الدنيا، وتطمس على روحه بزخرفها وملذاتها، ومن يتحرر منها كأنما ملك العالم كله. ومن يستسلم لها يكون مثل الذبابة التي وقعت في شبكة عنكبوت جبارة.

- تخلّ عما خلفك، وعما أمامك، وعما بينهما. فإذا سافرت إلى العالم العلوي وأنت حرٌّ طليق، لا شيء يدعوك للعودة إلى سلسلة الحياة والفناء من جديد.

- من بلغ إيمانه درجة اليقين لا يضطرب، لا يحمل ذنباً، لا يحمل قيوداً، ليس به عطش، لا يخشى دورة التقمص، بل يكون جسده ذاك

هو آخر شكل في الحياة الدنيا، إنه يعرف بالرجل الكامل، الرجل العظيم، الرجل السعيد.

- لقد ملكتُ كل شيء، جريتُ كل شيء، تخلّيتُ عن كل شيء، تحررتُ من بوائق الدنيا وشرور هذه الحياة، أنا حرّ الآن، عرفت نفسي وعلمتها وصننتها، فمن أختار الآن ليكون أستاذي؟

- العواطف، المشاعر، الانفعالات تفسد الإنسان مثلما تفسد الحشائش الضارة زهور البستان. تذكروا: الأنانية، الحقد، الغرور، الظلم، الشهوات.. ألا يستحق الإجلال من حرّر نفسه منها؟

* * * * *

البرهمي⁽¹⁾ :

- البرهمي يحفظ بصره وسمعه ولسانه ويجنبها الحرام. إنه زاهد، قانع، راضي، يتقيد بالتشريعات، يتأمل نصوصها ويستذكرها ويحيا بها. يلجم الأفكار الطائشة، والحواس الطاغية، ولا يبتهج بالخير ولا ينفر من الألم، ولا يخطئ الصراط المستقيم.

- الزاهد يرضى بالقليل، لا يحسد الآخرين، لا يهتم بالألقاب والأشكال والمظاهر؛ يسعى للخير والسلام وخلود الروح.

- التأمل يقود للعلم ، والعلم يعمق التأمل.

(1) البرهمي أو البراهمان هو أحد أفراد طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس. وتطلق على القس الورع الزاهد كذلك.

————— مقتطفات من الحكمة والأدب الهندي —————

- البرهمي الزاهد يفكر في أصل العناصر، من أين نشأ الإنسان، وفي الفناء؛ وعندئذ يشعر براحة النفس وبالسعادة العليا التي هي جزاء من يسعون لمرحلة النيرفانا (الخلود).

* * * * *

البرهمي (ملحق) :

- أيها البرهمي، عندما تدرك عمق الدمار الذي سيلحق بكل موجود، تدرك أهمية الخلق الجديد.

- من لا يوجد في تفكيره هذا الجانب القريب من شاطئ الحياة، ولا ذلك الجانب البعيد من الشاطئ، ولا تخشى نفسه أية شواطئ، بل هي جزء من الكون الفسيح، ذلك الرجل أسمّيه برهمياً حقاً.

- الشمس تسطع في النهار، والقمر في الليل، والجندي في درعه... أما البرهمي فيسطع في تأملاته. والمعلم بوذا المستتير يسطع في الليل والنهار.

- البرهمي (المؤمن الصادق) هو من سلم الناس من لسانه ومن تفكيره، ومن جسده كله.

- ليس البرهمي برهمياً بصفائر شعره، ولا بأسرته، ولا بميلاده، ولا بلقب أجداده، بل البرهمي الحق من آمن بالحق واتبع شرائع الصراط المستقيم.

- ما فائدة الشّعْرِ المضمفور، أيها الأحمق؟ وماذا في أن تلبس جلود

الماعز؟ إن كان في داخلك حيوان مفترس، فما يفيدنا أن تجعل
مظهرك مزخرفاً بريئاً؟

- لا أَسْمِي برهميًا من يفتخر بأصله أو بماله، بل البرهميُّ هو ذلك
الفقير الذي حرّر نفسه من قيود الحياة؛ هو من يكتُم الغيظ، ويقهر
الطمع، وينجز المواعد، ويتحمل المظالم... ويعيش في جسده الأخير،
لأنه تحرّر من مسلسل التقمص.

- البرهميُّ الحق من يطلب الحكمة، من صفت سريرته، وحلّقت روحه
في ملكوت السماوات؛ البرهمي هو من لا يؤذي المخلوقات صغيرها
وكبيرها، هو الرجل المتسامح الذي هجر الكبرياء، والنفاق،
والحسد، واعتبر نفسه ذرة سابحة في هذا الكون الفسيح.

- البرهمي الحق هو المؤمن الصالح القويّ النبيل، المؤمن الواعي
المتكامل المعتدل، والرجل الحكيم المنتصر الذي حرر نفسه من الإثم
وملوثات الروح، وأطل على ملكوت الخير الأسمى، واقترب من عتبة
الخلود.

* * * * *



مقتطفات من الأدب اليوناني

حول مصر القديمة⁽¹⁾



في 3200 قبل الميلاد، وحَّدَ الملك Narmer، ويعرف أيضاً باسم Menes ، إقليم مصر العليا (الجنوب) وإقليم مصر السفلى (الشمال)، فأنشأ بذلك أول أمة في العالم، وشيّد عاصمة جديدة هي ممفيس.

وفي ذلك العهد البعيد جاد شعب مصر القديمة على العالم بحضارة عريقة، وسبق غيره إلى تطوير فن الكتابة، ونهض بالفنون والآداب والعلوم والفلسفة والرياضيات ، وبصفة خاصة بالهندسة الزراعية العملية . وبرع ذلك الشعب ، قبل خمسة آلاف سنة، في فنون العمارة والنحت والنقش والرسم، وأنشأ نظاماً للتعليم ؛ وكوّن إدارات منظمة ترعى شؤون السكان، وتحافظ على الأمن، وطوّرت نظام البريد والمواصلات.

وبدأ المصريون آنئذ يمتهنون الطب على أساس التخصص، فمنهم من يعالج جهاز الهضم ، وآخرون الرأس ، أو العيون ، أو الأسنان ... وبرع شعب مصر القديمة في صناعة الزجاج، وصياغة الحلي، وصنع الأثاث، ونسج الكتان، وصناعة الملابس، وغير ذلك من الفنون والمهن.

(1) المرجع هيروودوت صاحب أهم كتاب تاريخ قصصي للعالم القديم. ولد هيروودوت في مدينة «هاليكارناسوس» (حالياً بودروم في تركيا) نحو سنة 484 ق.م، وتوفي نحو سنة 420 ق.م.

وبرع قدماء المصريين في التقويم الزمني فقسموا السنة إلى 365 يوماً ؛ وصنعوا ساعة تحسب مرور الزمن على أساس الماء المتدفق من داخلها. وتفننوا في المفاهيم العقائدية، وابتكروا في ميدان تشييد المعابد، والمذابح، ورسم صور الحيوانات والناس على الحجارة، ومنهم من دعا إلى التوحيد؛ وتبنوا عملية الختان التي سارع اليهود إلى ممارستها. وقد انتقلت جميع هذه العلوم والفنون إلى الشعوب المجاورة مثل الفنيقيين واليونان والرومان وغيرهم. وفيما يلي فكرة موجدة عن عملية التحنيط التي أتقنها قدماء المصريين، وأظهروا فيها براعة فريدة.

* * * * *

التحنيط⁽¹⁾ لدى قدماء المصريين



... يستخرج خبراء التحنيط من جثة الميت أولاً الدماغ عن طريق الأنف بخطاف معدني، ثم ينظفون الجمجمة بمواد كيميائية. ثم يفتحون بطن الميت ويخرجون المعدة والأمعاء، ويفسلون ذلك التجويف غسلاً جيداً بنبيذ النخيل، ويكررون غسله بنقيع الأعشاب العطرية المسحوقة. ويدعك الجلد بالزيت والمرّ النقي والعطور الذكية.

ثم يحشى تجويف البطن بأصناف من التوابل والأعشاب العطرية، ومسحوق القرفة، والمرّ النقي، والقثاء الهندي، والملح، وقليل

(1) ملخص مما يرويه المؤرخ هيرودوت (484 - 420 ق. م.) وغيره من المؤرخين عن عملية تحنيط الموتى.

من البصل، وخليط من النشارة والكتان، والصودا.. وأحياناً تحقن الأوعية والشرايين بمواد كيميائية.

بعد ذلك تخاط فتحة البطن ، وتوضع الجثة في منقوع النطرون (خليط من الصوديوم والألومنيوم)، وتترك فيه لمدة 70 يوماً، لا تزيد يوماً واحداً، وتغطى تغطية محكمة. وبعد ذلك تغسل الجثة، وتقمط بإحكام، من الرأس حتى القدمين بضمادات من الكتان الرقيق المشمع، وتطلى الجثة كلها بالصمغ الذي كان قدماء المصريين يستعملونه بدل الغراء.

عندئذ تسلم الجثة إلى أقارب الميت، فيضعونها في تابوت خشبي على شكل بدن الإنسان، ثم يحكمون إغلاق التابوت، وكانت عملية التحنيط المذكورة مكلفة.

وإذا كان أقارب الميت غير قادرين على تحمل التكلفة، بوسعهم أن يختاروا طريقة أرخص للحنيط، تتلخص في أن يحقن تجويف جهاز الهضم بزيت شجر الأرز بكمية كافية، ويغلق المنفذ الذي يمكن أن يخرج منه هذا السائل، وتترك الجثة مغمورة في سائل النطرون طيلة المدة المطلوبة (70 يوماً). وكانت فعالية الزيت المذكور قوية لدرجة أنه عندما يفتح المنفذ في الجثة، يخرج الزيت وقد أذاب جميع الأحشاء، وتكون مادة النطرون قد أذابت اللحم ، فلا يبقى من الجثة إلا الجلد والعظام، فتعاد إلى الأسرة.

وهناك طريقة ثالثة تلجأ إليها الأسر الفقيرة، تتلخص في أن

ينظف المحنط أحشاء الجثة بحقنة شرجية، وتترك في سائل النطرون 70 يوماً، ثم تعاد إلى الأقارب.

ومن الواضح أن الهدف الأول من عملية التحنيط هو إزالة الماء من الجسد. وقد يستعين المحنطون بحرارة الشمس، أو بالنار الهادئة لتجفيف رطوبة الجثة. وتستغرق عملية التحنيط أحياناً بضعة شهور.

ويلاحظ المؤرخ هيروودوت، بهذه المناسبة، أن نساء العائلات الشهيرة والفتيات الجميلات، لا تسلم جثثهن إلى عمال التحنيط مباشرة بعد الوفاة، بل تترك على حالها مدة ثلاث أو أربعة أيام حتى تتغير ملامحها، وذلك خشية أن يسيئ عمال التحنيط إلى الجثة وهي لا تزال حسنة المظهر.

قدماء المصريين يكرهون الخنزير، ويحترمون التمساح



- ومما يرويه المؤرخ هيروودوت أن المصريين كانوا يعتبرون الخنزير حيواناً غير طاهر. فإذا لمس رجل خنزيراً، ولو صدفة، فإنه يسرع إلى النهر ويقفز فيه بملابسه. ويمنع رعاة الخنازير ومن يربونها من دخول أي معبد؛ كما أن الرجل لا يزوج ابنته لراعي الخنازير أو مربيها، ولا يتزوج منهم. ومربوا الخنازير لا يقدمون قرابين من

خنازيرهم لألهتهم، باستثناء الإله باخوس (إله الخمر)، والإله «قمر»، الذي يُقدم له القربان يوم اكتماله.

* * * * *

ومن عادات قدماء المصريين وشعائهم أن من يفترسه تمساح، أو يغرق في النيل، يجبر القانون سكان القرية المجاورة للمكان الذي وقع فيه الحادث أن يتولوا تحنيط جثة المقتول، وأن يدفنوه في أحد الأماكن المقدسة. ولا يسمح القانون لأي شخص أن يلمس جثته ؛ بل يتولى كهنة النيل تكفينه ودفنه ، والسبب هو أن جثته تعتبر مقدسة نتيجة الطريقة التي مات بها.

* * * * *

الروح التائهة⁽¹⁾



يقول وحيٌ قديم، ضَمَّنَهُ القدر سرّاً قدسيا، وختم عليه بأيمان
مؤكدّة:

إنه إذا دَسَّتْ روح جسدها في لحظة

طيش ، واتبعت سبيل الشقاق والفساد،

ونقضت عهدها،

فإن هذه الروح تمنح حياة مديدة لتشقى،

ويحكم عليها بأن تطوف بعيداً عن الأرواح الطيبة،

طيلة عشرة آلاف موسم،

وتتقمص أثناء كل ميلاد جديد جميع أنواع

المخلوقات الفانية،

وكتب عليها أن تمرّ بجميع الدروب الوعرة

التي تتبعث منها الحياة.

ستغرقها تيارات الهواء في أعماق البحار،

(1) Empedocle (484 - 428 ق.م).

وتلفظها الأمواج إلى سطح الأرض،
فتسقط تحت نيران الشمس الحارقة،
ثم تُرْمَى في مهبّ الرياح، وتظل عناصر
الطبيعة تتقاذف هذه الروح دهرًا طويلًا.

* * * * *

الحق أنني الآن، في حياتي الحالية، أحد هذه
الأرواح التائهة، فرارًا من الآلهة،
أواصل رحلتي الطويلة في عذاب،
لأنني ذات يوم كان قلبي شريرًا،
وامتلأ بالأنانية والبغضاء.

وفي رحلتي هذه، تقمّصت رُوحِي
تارة جسد طفل شرير، وحيناً جسد
طفلة، وطوراً شكل طائر، سَمَكَة،
أو شجرة؛

وأمام مراحل هذه الحياة الغريبة المتقلبة،
ظللتُ أبكي وأنوح متحسراً على سوء مصيري.

* * * * *

(1) الفتاة السمراء



أبهجتُ قلبي، فأصبحتُ أمام جمالها
أذوب مثل قطعة الشمع قرب شعلة الجمر .
إنها سوداء، وما في اللون من حرج ،
فالفحم أسود ، ولكن عندما يشتعل
يتألأ لونه مثل ورود الهضاب.

* * * * *

(2) الحب يشكو



كانت نحلة نائمة ذات يوم في وردة
وكان الحب يطوف بالورود ولم يشاهدها ،
فلدغته في إصبعه ؛ فأسرع إلى أمه باكياً شاكياً،

(1) من مجموعة «مختارات يونانية» من الأدب اليوناني القديم.

(2) Anacréon (478 - 570).

وقال: أمي لقد انتهيتُ .. لدغنتي أفعى!

إنها أفعى صغيرة، لها جناحان، يسميها الفلاحون «نحلة».

هَدَّاتِ الأُمِّ من خوفه وقالت:

إذا كنت تشكو وتتألم من لدغة نحلة،

فماذا يقول أولئك الذين جرحت قلوبهم

بسهامك سنين طويلة.

* * * * *

إلى الشباب⁽¹⁾



تعلَّمْ أيها الشاب أن تستمع إلى صوت العقل !

فلا ترتكب أفعالاً تحمّر لها ملامح وجهك؛

ولا تشتعل مشاعرك عندما يسخر منك أحد ؛

لا تتطق بكلام يزعج أمك وأباك ؛

واترك مكانك للشيخ والعجوز.

الشرف أجمل على رأسك، فلا تُدَسِّسْهُ ؛

ولا تسارع إلى الحانات ونوادي الراقصات،

(1) أرسطوفان (450 - 375 ق.م).

واحذر نظرات مومس تفقدك سمعتك لدى

فتيان الحي.

لا تصف أباك بأنه «رداء قديم»،

إقض معظم وقتك في المدرسة ونوادي الرياضة،

وابتعد عن حماقات المقاهي،

وانزل إلى ساحات الرياضة لتشارك في المباريات،

لتتوج، مع رفاقك، بأغصان الزيتون،

وتتنفس نفحات الفصول المتتالية،

فهي تتشط رئتيك، وتتعش قلبك.

* * * * *

فرار الحب⁽¹⁾



نادت إلهة الحب تسأل الناس عن ابنها «الحب» قائلة:

لقد فرّ ابني ، هل رآه أحدكم؟ لمن يخبرني بمكانه «قبلة»، ولن

يأتيني به أكثر من ذلك .

(1) لأديب لا يعرف عنه الكثير (نحو القرن الثالث ق . م) يدعى: Moschos، وفي الموسوعة البريطانية Moschus (نحو عام 150 ق.م).

————— مقتطفات من الأدب اليوناني —————

إنه من السهل التعرف عليه : فهو في العشرين

من عمره ، لون بشرته من لون الشعلة المتألئة،

عيناه لامعتان ، وكلامه ساحر، وهو ذكي ماكر،

لا يفصح دائماً عما في ضميره .

نغمات صوته ممتعة، لذيذة،

غير أن نواياه ومقاصده قد تكون خفية؛

بل قد يكون مخادعاً، متوحشاً، شديد القساوة.

قبضة يده صغيرة، لكن لكلماته قد تصل إلى الأعماق؛

يطير بجناحيه هنا وهناك؛ له سهم صغير، ولكنه

يبلغ هدفه في لحظات....

أرجوكم، إن أمسكتموه، أن تأتونني به مقيداً،

لا ترحموه إن سالت دموعه، إنه يخادعكم،

واحذروا قبلاته، إنها مؤلمة، واحذروا

أن تصدقوا مراوغاته وتوسلاته، إنه

ذكي محتال، ومواهبه ملقحة بشعلات من نار.

* * * * *

تعاليم أخلاقية⁽¹⁾



لا تأكل اللحوم فهي طعام الحيوانات؛ خذ بيد الطفل بلطف وحنان؛
لا تسيء لزوج أبيك إنها في مقام أمك؛ لا تضاجع امرأة في فراش
أبيك؛ إحذر أن تنظر إلى زوج أخيك نظرة إغراء؛ إنه عمل مخزي؛

أيها المرأة لا تقتلي الحياة في أحشائك؛ أيها الرجل إحذر أن
تسيئ إلى امرأة حبلى؛ إحذروا أن تخلصوا طفلاً إنه عمل شنيع؛
اغتصاب المرأة جرم كبير.

إن الطبيعة تتألم لأشكال الحب المحرمة؛ فميل الرجل إلى
الرجل، وميل المرأة إلى المرأة يجرح كرامة الطبيعة ويدنس قوانينها؛

لا ترمي جميع مؤهلات حياتك بين أحضان المرأة، فالحب قد
يكون عملاً مخزياً ، يورث الندامة. ولكن وجّه حبك كله لزوجك، فليس
هناك شيء أحلى وأمتع في الحياة من أن يعيش الزوجان في كنف
السكينة والمودة إلى آخر مراحل الشيخوخة.

* * * * *

(1) Phocylide (القرن السادس ق.م).

نشوء العناصر⁽¹⁾



كل ما كان، وما هو موجود، وما سيكون، يتكون من العناصر.
فبفضلها تنمو الأشجار، والحيوانات، والرجال، والنساء....
وطبيعة هذه العناصر ثابتة، لا تتغير،
ولكنها تتداخل وتتمازج فيما بينها في أشكال
مختلفة، وهذا التمازج والتفاعل يؤدي
إلى تغييرات وتشكيلات ومخلوقات جديدة.
أحياناً يسود الانسجام والصدقة بين هذه العناصر،
فتتج عالماً متجانساً من المخلوقات،
وأحياناً ينشأ بينها التنافر، فتفصل عن بعضها.
وليس الإتحاد بين هذه العناصر سرمدياً،
فبعد زمان يطول أو يقصر، تتحلل وحدتها،
فينشأ التعدد من جديد، ذلك أن الطبيعة

(1) Empedocle (484 - 428 ق.م).

تنزع نحو الخلق والإبداع والتجدد، فلا تبقى عناصرها

مستقرة على حال إلى الأبد.

يستمر تفاعل عناصر الطبيعة في سبيل التجدد،

ولكن مهما تغيرت أشكال المخلوقات وصفاتها، فإن

تلك العناصر تظل ثابتة إلى الأبد، وتواصل

رحلتها متفاعلة فيما بينها، منتقلة من

شكل إلى آخر.

الخلود⁽¹⁾



أكرر لك قولي: لا يوجد ميلاد جديد لأيّ مخلوق فاني في عالم المخلوقات. والموت المشؤوم لا ينهي وجود أيّ شيء، وكل ما يحدث هو تفكك العناصر، ثم تجمّعها واندماجها من جديد بأشكال مختلفة، وهذا هو ما يسميه الناس «ميلادا».

فعندما تتجمع العناصر المختلفة على شكل إنسان أو حيوان، أو نبات... نقول هناك ميلاد. وعندما تتفصل هذه العناصر عن بعضها وتتحلل، نتحدث عن الموت.

ومن الواضح أنه لا يمكن أن ينشأ شيء من لا شيء، من العدم.

والواقع أننا لم نسمع كذلك بأن ما هو موجود ينتهي تماماً، يخرج من الكون، ينعدم كلياً. ولم نسمع كذلك أن ما هو موجود يظل على حاله إلى الأبد.

والسبب هو أن ما نسميه «الكل» ليس فيه أيّ فراغ، لأنه لا يوجد شيء خارج الكل نملاً به ذلك الفراغ.

* * * * *

(1) Empedocle (484 - 428 ق.م).

الشيخوخة والموت⁽¹⁾



العرق يبيل بدني عندما أشعر أن أيام
الشباب اللذيذة قد أدبرت، وبدأت
العضلات تذبل مثل أوراق الخريف، كأن الشباب
حلم بدأ يبتعد عني، وبدأت ملامح الشيخوخة
تغزو جسدي.

فَلَنَبِّكَِ مَرِحَلَةَ الشَّبَابِ اللَّذِيذَةُ
التي تغادرنا ، ولنصبر على مرحلة
الشيخوخة التي تهاجمنا ،
وإذا كان البكاء على الأموات لا يجدي ،
فماذا يجدي البكاء على زهرة الشباب وربيع الحياة.

* * * * *

(1) Théognis (القرن السادس قبل الميلاد).

أنا أفكر، إذاً أنا موجود⁽¹⁾



هناك طريقتان لمعرفة العالم :

الأولى تؤكد وجود الله، وتقول بأنه من المستحيل ألا يوجد الله. وهذا هو سبيل علم اليقين، إنه يساير سبيل الحقيقة.

والطريقة الأخرى تقول «لا يوجد الله»، بل يوجد العدم، أي اللاوجود.

وأقول إن هذه الطريقة خاطئة، لا تفيدنا بشيء، لأننا لا نستطيع أن ندرك اللاوجود (العدم)، لأنه لا يوجد، ولأنه خارج عن متناولنا، بل لا نستطيع أن نجد له تعريفاً؛ ولكنه بوسعنا أن ندرك الفكرة الأولى، لأنه لا فرق بين الموجود وبين الفكرة.

* * * * *

(1) Parménide ، نهاية القرن السادس، وبداية القرن الخامس قبل الميلاد.

أنشودة الشمس⁽¹⁾



إسمعيني، أيتها العين الخالدة، الجبارة، العظيمة في علاك، نور
السموات، لا يصيبك التعب، نورك يسطع من أحشائك... ما أحلى
مشاهدتك من بعيد؛ أنت أمّ الصبح الجميل، ومنبع الليل، وسيدة الفصول؛

تواصلين دورانك مسرعة، تشتعلين

وترقصين، منطلقة في سمائك، في دورات

لا تنتهي.

إنك تقودين الصالحين نحو منابع الحياة والجمال،

وتثورين أحياناً ضد المفسدين.

يا من تجوبين العوالم في دوران متناسق،

أيتها القيثارة الذهبية، مبدعة الخيرات

الجليلة، وأميرة الفصول المتتالية،

سيّدة الكون والحياة، تتجولين في دائرة

(1) تنسب لـ Orphée : من الأساطير اليونانية. كان شاعراً وموسيقاراً، وهو ابن إلهة
الشعر، وكانت أنغام موسيقاه تسحر الأشجار والحيوانات والناس والآلهة.

محكمة، وتسبحين في عالم من اللهب،

يرسل للعوالم أحياناً دافئة منعشة.

أنت منبع النور والصفاء والخصوبة والطمأنينة،

أنت المشعل الخالد، أم الزمن، تذهبين وتعودين

في هدوء وكبرياء، وتشاهدين بعين الأم تلك الكواكب

التي تسبح حولك.

وتشاهدك عيون المخلوقات مشتاقة مستبشرة،

في يدك مفاتيح النور والدفء.. ترسلين

وتقبضين أشعة الأمل والحياة.

لقبوك بحق ملكة الكون، رمز العدالة، حبيبة الأنهار

والبحار؛ الحارس الأمين، تواسين الأشقياء والفقراء،

منبع الخيرات والحياة، نناشدك أن تسمعي أنشودتنا،

وتعطفي على المخلوقات فوق الأرض، وتمنحيها حياة سعيدة.

* * * * *

أنشودة الليل⁽¹⁾



أتغنى بمنبع الكون الفسيح، بمهد الآلهة والأبطال، سيّد النجوم
المتلألئة، وغطاء الشمس المسودة!

إستجبّ لنا، أيها الليل المقدس، فليزدهر السلام، والهدوء والنوم؛
أيها الليل، إنك منبع الإلهام والسعادة، ملك السهرات والأحلام. إنك
تسلي وتواسي، وتلطف مصادر الألم والشقاء، أنت فارس شهم،
وصديق وفيّ لجميع البشر.

ما زلت تواصل دورانك السرمدى حول السموات
والأرض، تجوب حولها بوثبات حيوية في ظلام
منعش، وتطرد الأنوار من مساكن الموتى.

أيها الليل السعيد، فيك ألف هناء ولطف وسكينة،

أيها الضيف العالمي الكريم، نناشدك أن تطرد

عنا الشرور التي تتجمع في الظلال،

وأن تشملنا بعطفك وخيراتك، وبحسن المئاب.

* * * * *

(1) Orphée : أنظر ما سبق.

قصيدة ذهبية⁽¹⁾



أوفِ بالعهد، إحترم القسمَ، مَجِّد الأبطال،
وتعلم من عباقره الأرض، واحترم أباك وأمك وأقاربك؛
أحب من البشر ذوي الفضيلة ومكارم الأخلاق،
تذكر أن لجسدك عليك حقاً، فلا تهمله،
أطعمه وأكرمه ونشطه في حدود المعقول.
إلزم الحياة البسيطة، حياة الطهارة، ولا
تسرع إلى النوم قبل أن تنجز واجباتك
اليومية.

الإنسان يختار طريق سلوكه بنفسه، من غير
أن يراعى، للأسف، مصالح من حوله،
وما أقل من يستطيع أن يفلت من قيود
الحياة وتقلباتها، وهذا ما يبيلب سلوك

(1) فيثاغور، القرن السادس قبل الميلاد.

كثير من النفوس.

تراهم يسرعون مثل العجلات، يعيشون

مهمومين مثقلين، يترنحون تحت أعباء الشرور؛

وترى الفساد كامناً في أعماق أحشائهم، يكدر

صفو حياتهم

أنصحك ألا تثير غضبهم، بل ابتعد عن الشقاق،

تتجنب شرورهم.

تجنب كذلك الأطعمة التي تمنعها الطبيعة،

حكّم عقلك، طهّر نفسك، تحرّر من الأذى!

فكّر في مستقبلك وفي مصيرك!

وليكن مرشدك هو الروح العليا،

وستنعم بالحياة إذا بلغت مجال الأثير الطاهر؛

وسيتحرر فكرك من أوهام الغيب، ومن الخوف من الفناء.

المتعة⁽¹⁾



أيها الشباب ذوقوا ملذات الحياة،
رددوا الأناشيد، أطلقوا الأنغام، تمتعوا مع الفتيات...!
قبل أن يرحل الشباب ويفوت الأوان.
إنه لا يكفي أن أجمع الأموال، وأنال المجد،
فالبهجة والمتعة تفوق المكاسب الأخرى.
للحُب حلاوته ومرارته، وروعته وقساوته،
والناس إما سعيد حقق رغباته،
أو شقي يجتهد ويشقى ولا يبلغ أهدافه.

* * * * *

(1) Théognis (النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد).

لذّة الانتقام⁽¹⁾



ليتني أنال حظي من ممتلكات عدوي،
وأقدم قسماً منها هدية لأصدقائي،
ليتني أشرب دماء الأعداء، وليت الآلهة
تساعدني على تحقيق رغبتني!
إمدحّ عدوك.. وعندما تتمكن منه،
إضربّه بقوة، ولا تسأل عن الأسباب التافهة.
إن قلب الرجل الذي يهان، يشعر بالمرارة،
وعندما ينتقم لنفسه، يكبر في عيون الناس.

(1) Théognis (النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد).

نحن والآلهة⁽¹⁾

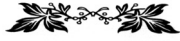


يظن بعض الناس أن للآلهة طبيعة تشبه طبيعتهم،
وأن لها أجساماً، وتصدر أصواتاً، وترتدي ملابس....،
فالرجل الأسود يتصور الإله على شاكلته، له أنف مفلطح
وبشرة سمراء، وشعر مجعد؛
والرجل البلغاري يتصور إله أزرق العينين، أشقر الشعر..
ولو كان للأسود والثيران أيدي تحسن الرسم،
لصورت الآلهة على أشكالها، ولكننا، عندئذ،
نشاهد ملايين الآلهة تشبه مختلف
أجناس المخلوقات.

* * * * *

(1) Xenophane (نهاية القرن السادس ق.م).

قصيدة غنائية⁽¹⁾



كان عليك يا قلبي أن تغتم اللحظات المواتية
لتقطف ثمار الشباب وتتعلم بالحب؛
وأنت يا أفروديت، إلهة الحب الحسنة،
تبغضين القلوب القاسية؛ وها هو ذا
قلبي السليم، هل يتعب ليزيد من متع الحب؟
أم يستسلم فيصبح عبداً للنساء القاسيات؟
ولكن قلبي، يا حبيبتي، وفي لا يتغير؛
وعندما يلاطف الدفء قطع الشمع التي شيدها النحل،
عندئذ يحن قلبي ويرق كلما شاهد الفتيات الجميلات،
وعندما يرى الرضيع نور الحياة، عندئذ
يسطع الجمال ويتعمق الحب.

(1) Pindare (518 - 438 ق.م).

جنة المؤمنين⁽¹⁾



تحت شمس تجعل الساعات ثقيلة وطويلة،

ولياالي زمنها سرمدي،

تجنب المؤمنين المخلصين سوء العذاب؛

عندئذ لا يذوقون شقاء السعي في الأرض ولا في البحار،

بل يقضون أيامهم دون ألم ولا شكوى،

أما الأشرار فلهم نار جهنم، وبئس المصير.

إن الذين قويت قلوبهم بالإيمان في الحياة الفانية،

وحافظوا على أرواحهم طاهرة، بريئة من الأذى،

سيمرون في الصراط المستقيم، حتى يصلوا

إلى قصر الزمن الخالد، وهناك على أرض الجزيرة السعيدة،

يطيب لهم نسيم البحر، وتتألاً حولهم زهور ذهبية،

(1) Pindare (518 - 438) قبل الميلاد.

بعضها ينمو فوق الأنهار، وبعضها على أشجار
بديعة مباركة. وترى المؤمنين يتمتعون،
وينعمون ، يصنعون من تلك الزهور أكاليل
وتيجاناً، يزخرفون بها مظاهرهم .

* * * * *

نشيد الإنسان⁽¹⁾



عجائب الدنيا كثيرة، وأعجبها «الإنسان»؛
إنه يجوب البحار، ويركب أمواجها،
يستخرج غلات الأرض بمحراثه،
ويصطاد طيور السماء والحيوانات الضارية،
ويجمع غلات البحار في شبابه الخطيرة،
ويستغل خيول البراري وثيران السهول المتوحشة،
ويربط النير حول أعناقها.

* * * * *

(1) Sophocles (سوفوكليز: القرن الخامس ق.م.).

تعلم اللغات، وأحكم الخطط والأفكار،

شيّد المدن ليحتمي تحت سقفها

من شدة البرد وعصف الرياح ومن الأمطار،

إنه المخلوق الذي لا تخفى مواهبه،

يخطط لمواجهة المفاجآت،

ولعلاج الأمراض القاتلة،

فلا يوقف مسيرته وطموحه إلا القبر.

* * * * *

يتجّه حيناً إلى فعل الخير، وينزع أحياناً نحو الشرّ،

وعندما يحكم المدن يخلط قوانينه الخاصة بقوانين الالهة،

إنه ليس جديراً بأن يحكم الأرض، يفسد فيها،

يفسد الطبيعة، ولا يراعي مبادئ العدل والحق.

وأنا لا أرغب في أن يدخل بيتي،

ولا أشاركه أفكاره الشريرة.

* * * * *

استيلاء الجيوش اليونانية⁽¹⁾ على مدينة طروادة



استولت الجيوش اليونانية على مدينة طروادة،
أسمع نوعين من الضجيج لا يتشابهان ،
مثل الزيت والخل لا يمتزجان : إنها أصوات
المنتصرين من جهة، ونواح المغلوبين والمنكوبين،
وما أبعد الفرق بين سلوك المنتصر، وبكاء الثكالى
وأنين الجرحى.

أرى جرحى على الأرض يعانقون جثث أقربائهم،
جثث آبائهم وأطفالهم مبعثرة لا حراك فيها .
جرحى يندبون سوء مصيرهم ، لا مسكن لهم ،
يبحثون عن لقمة الطعام، وكانوا بالأمس أسياداً
في بلادهم.

(1) إسكليس (525 - 456 ق . م).

لقد نهب المحتلون ما في بيوتهم،
بل احتلوا المنازل وأخرجوا سكانها إلى الشوارع،
تلك هي الحرب، حظ المنتصر، وسوء مصير المغلوب.
وإذا كانت الآلهة راضية عن الغزاة،
فماذا عن الإساءة إلى أرواح الموتى؟
وقد يكون ذلك عقاب يلازم المنتصرين،
فما زال طريق العودة إلى أوطانهم طويلاً.

* * * * *

أنشودة الحب⁽¹⁾



أيها الحب الذي لا يغلب في المعارك،
يا من ينام ليلاً على حدود الحسنوات اللينة الدافئة،
أيها المتجول في الفضاء وفوق أمواج البحار،
فوق الأدغال والجبال، لا ينجو من قبضتك أحد،
من يستسلم لك يصبح مندهشاً مذهولاً،

(1) سوفوكليز (القرن الخامس قبل الميلاد).

تحول الثريّ إلى الإفلاس، وتسفك الدماء،
أنت مصدر النزاعات بين الجيران والأقرباء،
تجعل رغبات المعشوقة تلمع في عيني المحب،
عندما يتلثث إلى السرير الذي يعانقها فيه.

غير أن سلطة الحب تتوافق مع قوانين الآلهة،
لأن الجمال الرياني ينتصر في السلم وفي المعارك.

* * * * *

الآلهة⁽¹⁾



يقول حكيم إن الآلهة هي الأرض ، والماء ،
والنار ، والنجوم .. ولكن معظم الناس
يرون الآلهة هي الذهب والفضة والثروة ..
لأن من يملكها ، يملك كل شيء،
تتحقق رغباته، يزوره الأصدقاء
وذوو السلطة، ويشهد معه الخدم ..

(1) Ménandre (القرن الرابع قبل الميلاد).

يكفيه أن يعرف أهدافه،

وأن يدفع بسخاء، لتصبح الآلهة

من أنصاره.

* * * * *

الزواج⁽¹⁾



إذا كنتَ حكيمًا، لا تتزوج يا صديقي،

فإن ذلك سيغيّر مجرى حياتك،

إسمع نصيحة مجرب!

فالبحار التي يجوبها الناس واسعة وعميقة،

وفي بحر ليبيا وبحر إيجه، لا ينجو سوى

ثلاثة مراكب من ثلاثين عندما تهب العواصف،

ولكن المراكب التي تبحر في بحار الزواج،

لا ينجو من أمواجها بحار واحد.

* * * * *

(1) Ménandre (القرن الرابع قبل الميلاد).

دور الشاعر⁽¹⁾



يا أهل أثينا،

يقول الشاعر أنه قدم لكم خدمات هامة،
فقد حذركم من أن تستغلکم الدعايات الأجنبية،
ومن أن تغرکم أقوال الدخلاء المتملقين؛
وكم جاءكم سفراء الدول الأجنبية،
يمدحونكم بأنكم شعب متوج بالورود،
وراحوا يمدحون حضارة أثينا المتألقة،
وما ذلك إلا لينالوا منكم ما يبتغون.
وتلك التحذيرات من حسنات الشاعر.
واليوم عندما يأتي سفراء الدول الأجنبية
ليدفعوا ما على بلادهم من ديون،
نراهم يتوددون إلى شعرائنا؛
ولكن الشاعر دائماً هو من كلمات العدل
والحق في بلاده.

(1) أرسطوفان (450 - 375 ق. م).

العدم⁽¹⁾



من أين أتيتُ؟ كيف أتيتُ؟ ولماذا أظهر يوماً،
إذا كنت سأفنى غداً؟ وإلى أين مسيرتي؟
وماذا أملك من أمري؟ خلقت من العدم،
وإلى العدم أعود.

ما قيمة الجنس الذي يُفنيه الموت؟

وما هو الموت؟

إذا اسقني يا صديقي خمراً لذيذاً!

إنه رفيق ممتع، إنه العلاج الذي ينسينا الهموم.

* * * * *

الروح⁽²⁾



من بين المخلوقات ، لا خلود إلا للروح. إنها ذرة من خالقها،

(1) لمجهول .

(2) Synésios (القرن الرابع قبل الميلاد).

مندمجة في جميع أنحاء الكون، إنها تحرك النجوم في السماوات
العلا، وهي تقود الجوقة التي تتراقص على أنغامها الملائكة.

ولكنها في الأرض ترزح تحت أعباء القيود، سقيت شراب
النسيان فابتعدت عن خالقها، وأحبت مقامها على الأرض الموحشة
مؤقتاً، ولكن مهما عشي بصرها، ما زال في عينيها شعاع إلهي منير.

* * * * *

فوق طاقة الإنسان⁽¹⁾



أيها الإنسان لا تطلب ما فوق طاقتك،

لا تتجاهل الموجود، لتطمح إلى ما لا يدركه بصرك،

أنت اليوم تملك عشرة آلاف فدان،

ولن يكون حظك منها غدا سوى حفرة مظلمة.

الحياة جوقة موسيقية كبيرة،

فيها من ينشدون ، ومن يقفون للمظهر فقط؛

ولكن السعادة الحقيقية من نصيب الثري الحكيم.

* * * * *

(1) Ménandre (القرن الرابع قبل الميلاد).



مقتطفات من الأدب الروماني

حول الشيخوخة وخلود الروح⁽¹⁾



لا أرى، يا سَكَبَيون، ويا ليليوس، لماذا أتردد في أن أحدثكما عن الموت وما وراءها، وقد بدأت أقرب منها، وأرى لها مشاهد واضحة. أظن أن أبويكما، اللذين كانا من أعزّ أصدقائي، ما زالوا على قيد الحياة، أعني حياة بعد الموت جديرة حقاً بأن تسمى «الحياة».

فما دمنا نعيش داخل سجن هذا الجسد، علينا أن ندفع ضريبة الحياة وأن نتحمل أعباءها. إن الروح وهي من طبيعة سماوية، بعد أن هبطت من الملكوت العليا، وجدت نفسها غارقة في وحل الأرض، رغم عنصرها المقدس وطبيعتها الخلودية. وأعتقد أن الآلهة زرعوا الأرواح في الأجساد البشرية ليخلقوا حراساً على وجه البسيطة يتأملون تناسق النظام السماوي، وبذلك تتمكن الآلهة من تقييد أساليب حياتهم، ولتجبرهم على التمسك بالمبادئ والتعاليم.

أوحى إليّ بهذا الاعتقاد بعض كبار الفلاسفة والحكماء، وعلمت أن بيثاغور، وفئته، وهم من أقرب الناس إلينا، كانوا يعتقدون بأن أرواحنا ليست سوى ذرات من الروح القدسية العليا التي تنعش أرجاء هذا الكون المترامي. وكذلك تعلمت شيئاً من الأفكار التي عرضها سقراط عن «خلود الروح». ومن المعروف أن مصادر الوحي نفسها، في معابد أبولون ودالفي، أعلنت بأن سقراط كان الأعلى منزلة بين الحكماء.

(1) شيشرون (106 - 43 قبل الميلاد)، اسم مشهور في الخطابة والأدب الروماني.

وأذكر بإيجاز رأيي وشعوري حول موضوع الخلود: إن عظم سرعة الفكر والخواطر، وعظم ذاكرة التبصر بالماضي والمستقبل، واتساع مجالات الفنون والعلوم والاختراعات، وجميع ما نشاهده في الحياة من الحوادث الرائعة المذهلة، تجعل من المستحيل أن تكون الروح التي تحوط بجميع هذه العجائب، شيئاً مؤقتاً فانياً.

فالروح في حركة دائمة، حركة ذاتية لا بداية لها، وهي بذلك لانهائية لأنها وحدة متكاملة لا تنفصل عن ذاتها. ثم إن للروح طبيعة بسيطة لا تتكون من أية عناصر متنافرة، فهي لا تخضع للتجزئة ولا لقانون الفناء. ثم إن هناك بيانات واضحة قاطعة تدل على أن الإنسان يأتي إلى هذه الحياة مجهزاً باستعدادات خاصة، عند ميلاده، ويولد بمعلومات أساسية لدرجة أنه يكتسب في السنوات الأولى معارف كثيرة تجعلنا نعتقد أنه تعلمها في عالم سابق لميلاده، وهو الآن إنما يجدد علمه بها.

وما كان الناس ليستمروا في تقديس عظماء الرجال بعد وفاتهم، لولا أن أرواحهم تواصل حياتها وتظل تذكرنا بهم وتحثنا على تخليد مآثرهم. فعندما تتحرر الروح من اتحادها مع الجسد، تصبح صرفة طاهرة حرة، ومفعمة بالحكمة السماوية. وعندما تحطم الموت مادة الجسد، تتبعثر عناصره وتعود إلى أصلها الذي جاءت منه. أما الروح فهي عنصر خفي لا تظهر للعيان عندما تسكن الجسد، ولا عندما تغادره. ولعل النوم يذكرنا بشيء من هذا. فعندما ينام الإنسان تظهر الروح بوضوح جوهرها القدسي. وفي حالة الاسترخاء هذه نتبصر

بتجليات ورؤى تنذرنا بما قد يحدث لنا في المستقبل، وهذا يساعدنا على إدراك ماذا سيكون عليه حالنا عندما تتحرر الروح من قيود الجسد نهائياً .

ولنبحث قليلاً في تاريخنا! لا أحد يستطيع أن يقنعني بأن عظماء روما وأبطالها وزعماءها وقوادها.. بذلوا تلك الجهود الجبارة وأنجزوا تلك الأعمال الخالدة، من غير أن يكون لديهم تبصر وإدراك مسبق بأن الأجيال القادمة ستخلد ذكراهم، ذكرى أرواحهم أينما حلت في ملكوت الآلهة. وإذا سمحتما، يا سَكبيون، ويا ليليوس، لعجوز مثلي بشيء من التفاخر، أقول: هل كنت أنهض بكل هذه الأعمال، وأتحمل جميع تلك الأعباء والمتاعب، وأبذل الجهود ليلاً ونهاراً، في زمن السلم والحرب، لو كنت متيقناً بأن شهرتي ومجدي ينتهيان بوفاتي؟ ألم يكن لي عندئذ من الأفضل أن ألزم منزلي وأقضي حياتي في هدوء واسترخاء؟

إذا كان الرجل الحكيم من أهل المعرفة والتبصر يستقبل الموت في جو من الهدوء والصفاء والاطمئنان، بينما نجد أن أشد الناس جهلاً وحماسة يستقبل الموت وهو على حال من الخوف والارتباك والهلع، ألا ترون أن الروح في الحالة الأولى ترى أنها تسافر إلى مصير أفضل ونحو مستقبل أسعد؛ بينما لا ترى روح الجاهل، ذات الرؤيا المحدودة، مثل ذلك المستقبل الممتع؟

إنني لا أبكي فراق حياتي هذه. وقد عشت بطريقة تجعلني أعتقد أنني لم أقذف في هذه الحياة عبثاً. وسأفارق هذه الدنيا كأني أغادر فندقاً، وليس منزلي؛ فالطبيعة منحتنا هذا المأوى المؤقت كمرحلة يتوقف فيها المسافر، ثم يواصل مسيرته.

هذا هو السبب، يا سَكبيون، ويا ليلِوس، الذي يجعلني لا أجد شيخوختي حملاً ثقيلاً، بل أراها مرحلة ممتعة. وإذا كنت مخطئاً بقولي إن الروح خالدة، فهذا خطأ فيه متعة وسلوان، وسأتمسك به ما دمت حياً. وإذا ظهر بعد وفاتي أنه لا يوجد إحساس ولا شعور ولا حياة ولا خلود للروح، كما زعم بعض الفلاسفة (وقد فارقوا الحياة قبلي)، فإنني في هذه الحالة لا أخشى أن يسخروا من اعتقادي بخلود الروح، لأنه عندئذ تسود حالة الفناء النهائي، ولا تبقى روح لتجاوز أو تتنقد.

وإذا كانت حياتنا تشبه المسرحية، فإن الشيخوخة هي المشهد الأخير؛ وينبغي لنا ألا نجعله مشهداً مملاً مُنْفِراً، خاصة إذا كنا قد حققنا أهدافنا الأساسية. هذا ما وددت أن أقوله لكما عن «الشيخوخة». أتمنى لكما حياة مديدة لكي تتأكدا من أرائي بتجاربكما الشخصية.

شيرون

رسالة إلى سكيفا⁽¹⁾



أعلم يا سكيفا أنك تعرف كيف تدبر أمور حياتك بطريقة جيدة؛
وأنت تعرف كيف تتصرف مع الأمراء والعظماء؛ ولكن اسمع رأي
صديق، وإن كنتُ ما زلت أطلب لنفسى المزيد من التجربة والمعرفة.
فانظر فيما سأقول، وقرر بنفسك ما إذا كان قولى يفيدك في شيء.

إذا كنت تحب الراحة والهدوء والنوم حتى مطلع الشمس، وكان
غبار العربات وضجيج الفنادق والمدن يزعجك، فاذهب إلى قرية هادئة
في جبال لاتيوم. فالمتعة لا تتحصر لدى الأثرياء فقط، والرجل الذي
عاش ومات مجهولاً لا يعني أن حياته كانت بئيسة شقية...

أما إذا كنت ترغب في أن تعيش في رخاء ورفاهية، فاقصد الرجل
الثري الذي تخدمه مقابل أن يرعى احتياجاتك ويسهر على راحتك.

قال الفيلسوف المتقشف ديوجين⁽²⁾: «لو اكتفى أرسطي⁽²⁾ باليقول،

(1) هوراس (65 - 08 ق.م).

(2) يقارن هوراس في هذه الرسالة بين نموذجين من أساليب الحياة وطلب المعيشة:
(A) أسلوب حياة الفيلسوف ديوجين المتقشف (القرن الخامس قبل الميلاد) الذي
كان يسخر من المظاهر والاعتبارات الاجتماعية، ويفضل عيشة الفقر
والتواضع، ويرفض رعاية الأثرياء والعظماء؛ وبين:
(B) أسلوب حياة الفيلسوف أرسطي (435 - 366 ق.م) الذي كان من تلاميذ
سقراط، وكان يرى أن المتعة من أهم القيم، والألم من أقلها قيمة؛ وأنه ينبغي
للإنسان ألا يحرم نفسه من الملذات، شريطة أن يعتمد على عقله ليتحكم في
رغباته. وكان أرسطي لا يرى حرجاً في الإتصال بالعظماء وخدمتهم إذا كان
ذلك يوفر له عيشة كريمة، على أن يحافظ على استقلاله. ومن أقواله
الشهيرة: أنا مالك، لا مملوك.

لما فكّر في معايشة الملوك». وردّ عليه هذا الأخير قائلاً: «لو عرف ديوجين، الذي ينتقني، كيف يعاشر الملوك، لاحتقر أكل البقول».

وأنت يا سكيفا، أيّ الرأيين تتبنّى؟ ولكن بما أنني أكبر منك سنّاً، فاستمع إليّ لماذا أفضل رأي أرسطيبي. كان في الواقع منزعجاً من الإنتقاد اللاذع الذي وجهه إليه ديوجين، فردّ عليه قائلاً: «إنما أعاشر الملوك، وقد أمثل دور المهرج لمصلحتي. وأنت إنما تفعل ما تفعل من أجل الجمهور. ولا شك أن أسلوب سلوكي أفضل بكثير من سلوكك ومن طريقة عيشك. فأنا أقدم خدماتي للملك، ومقابل ذلك أكسب معيشتي، وأركب الفرس... أما أنت فترضى بطعام زهيد، ولكنك تعتمد كذلك على من يقدمه لك».

ألا ترى، يا سكيفا، أن الأمور تجري لصالح أرسطيبي؟ المظهر، والمركز، والثروة. فقد كان ينظر إلى أعلى، ولكنه ظل ينسجم مع الحاضر. أما ديوجين، فعلى عكس ذلك، كان يتحمل أن يرتدي قطعة قماش بالية، ولا يرضى بتغيير ظروف عيشه البئيسة.

ولم يكن أرسطيبي ينتظر أن يوهب ثوباً من النسيج الأرجواني، بل كان يرتب هندامه ويذهب لزيارة الأماكن المختلفة. ومهما اختلفت ملابسه كان يظهر بمظهر محترم يليق بشخصيته.

أما ديوجين فكان يفرّ من الرداء الثمين فراره من الكلب والأفعى؛ وكان يفضل أن يتحمل برد الشتاء، إذا لم يجد ثوبه البالي. فليواصل إذا عيشه في حماقته.

لا شك أن من يبلغ مراتب القيادة العليا، ويسحب وراء عربته أسرى الحرب أمام جماهير الرومان، يكون قد وصل إلى عرش جوبيتر⁽¹⁾، ووصل إلى السماء. ولكن إرضاء العظماء وذوي السلطة والجاه ليس مهمة سهلة، بل إنه شرف عظيم. ومن يخشى الفشل لا يحقق شيئاً. أو ليس رجالاً من يحقق النجاح ويحيا عيشة كريمة راضية؟

فالفيلسوف ديوجين المتكشف لم يرغب في تحمل الأعباء، بل كان يراها ثقيلة على كاهله الهزيل، ولم يملك الشجاعة ليغير من أسلوب حياته وظروف معيشته. أمّا أرستيب فاجتهد ليبلغ الهدف المنشود. وهنا يصح القول: إما أن ينال حسن الجزاء والتقدير من يسعى ويجتهد، أو تكون الفضيلة كلمة رنانة، لا معنى لها.

إن الفرق كبير بين من يخدم العظماء، ويتلقى هداياهم بتواضع وعزة نفس، ومن يظل يشكو سوء حاله لمن يرعاه، ويلح في طلبه لينال منه المزيد. ولو كان الغراب يأكل ما يجد من طعام في هدوء ودون ضجيج، لما أحاطت به طيور أخرى لتشاركه طعامه.

* * * * *

(1) كبير آلهة الرومان.

رسالة إلى غيوس ماسيناس⁽¹⁾



... صدقت في قولك يا ماسيناس، لا يهم كثيراً مركز الأب،
وشهرة الأسرة، إذا ولد المرء حراً. واسمح لي أن أحدثك قليلاً عن
نفسي: أنا ابن الرجل الذي كان من الرقيق، ثم اجتهد ليشتري حريته.
وها أنا اليوم نديم ماسيناس؛ وقد يحسدني بعض الناس على هذه
الصدقة الغالية التي تفضلت بها عليّ.

وكم ترفع معاملتك السخية وأخلاقك الكريمة من
قدرك في نفسي. فقد أثبت أنك من ذوي الحكمة
الذين لا يصادقون الشخص لمجد أجداده أو شهرة
أسرته، بل تراعي كرم الخلق، وصفاء الضمير، وصدق
المودة...

وكم يسعدني أن أعترف، في هذه الرسالة، بفضل أبي عليّ، وأن
أقدم له أجمل آيات الشكر والتقدير.

(1) اشتهر غيوس ماسيناس برعايته لأهل العلم والأدب. وشمل برعايته الشعارين
فرجيل وهوراس، وتوثقت بينهم عرى الصداقة. وفي هذا المقال يشيد الشاعر
هوراس بسخاء الفارس ماسيناس وكرم أخلاقه؛ كما يثني هوراس بإخلاص عميق
على أبيه الذي بذل جهوداً كبيرة لتعليمه، رغم قلة ذات يده ورقة حاله. وهذه
مقتطفات من مقال طويل في كتاب عنوانه: Les satires, I, 6.

لقد بذل جهوداً كبيرة، وتحمل أعباء ثقيلة ليُرسلني

إلى روما ، ثم إلى أثينا لمواصلة تعليمي؛ رغم أن

وظيفته⁽¹⁾ لم توفر له حياة كريمة.

على أنني لو أعادني القدر إلى الزمن الماضي، وخيرني

في أن أختار لي من أشياء من الأسر، أو أنتقى

أبوين من ذوي الثروة والشهرة،

لما اخترت غير أبوي هذين.

إنني راض بوضعي، سعيد بحياتي المتواضعة،

أتجول بكل حرية من دون عبيد، ولا حرس، ولا عربات.

أذهب إلى السوق فأسأل عن أسعار الغلات والسلع،

وإلى الملاعب الشعبية، وفي المساء إلى ميدان

روما، فأستمع إلى أقوال العرافين.

وفي الليل أنام بنفس هادئة، خالية من الهموم والأعباء.

في صباح الغد، أنادي من يدلك جسدي بالزيت، ثم إلى الحمام...

ثم أكتب قليلاً، حتى يحين وقت الغداء فأتناول طعاماً

(1) كان أبوه يجمع الضرائب في سوق مبيعات المزاد العلني.

بسيطاً، وأستلقي بعد الظهر قليلاً.

هذه هي حياتي، حياة رجل تحرر من الشقاء

والطموح المضي؛ حياة راضية مرضية،

أفضل مما لو كان أبي، وجدتي، وعمي.. من وزراء

المالية، أو من ذوي المناصب العالية.

هوراس

* * * * *

من أحاديث الحكمة⁽¹⁾



من أسرار الحكمة ألا تترك الإعجاب والحيرة والذهول تسيطر على مشاعرك أمام مجرى الحوادث العظيمة؛ فلا تعجب لشيء، ولا تبالغ في بهجتك ولا في حزنك، ولا تفرط في بكائك ولا فرحك أمام تقلبات الزمان. ألا ترى أن الناس ينظرون إلى المظاهر الطبيعية العظيمة، مثل مسيرة الشمس، ولمعان النجوم، وتقلبات المناخ، وتبدل الفصول دون قلق ولا تعجب. وماذا عن خيرات الأرض، في البر والبحر، التي تزخر بها بلاد الهند، وجزيرة العرب، هل هي كنوز تافهة؟ وما رأيك في كل الهتافات والهدايا التي نتمتع بها من أصدقائنا في روما؟ فبأي قدر من الشعور نتلقاها ونتحدث عنها؟ فلنتبع سبيل الوسط والحكمة!

فإذا أنكرنا هذه الخيرات، أو أقبلنا عليها بلهفة شديدة، سنشعر في الحاليتين باكتئاب شديد. وعندما نعيش حوادث أفضل مما كنا نتوقع، أو أسوأ مما كنا نتوقع، لا يهم كثيراً، عندئذ، أن نفرط في البهجة أو في الحزن، أو نبالغ في الشعور بالرغبة والإعجاب أو في القلق والخوف؛ بل قد نصاب بالحيرة ونفقد التوازن عندما تسيطر تلك المشاعر على نفوسنا.

(1) هوراس : Epitre, I, 6.

فلنُسَمَّ الحكيمَ أحمقَ والعاذلَ ظالمًا، إذا كان كلُّ منهما يدفع
بالفضيلة إلى ما وراء حدودها. فاذهب إذا وافسح المجال لنفسك
لتفتتنَ بمشاهدِ الغرفِ الرخامية، والأدواتِ الفضية، والقطعِ الفنية،
دعها تفتتنَ بانعكاساتِ الألوانِ القرمزية، والأحجارِ الكريمة!... إن
الزمانَ سيخرج ما يختفي في باطن الأرض، وسيدفن ما يبهج ويلمع
فوق سطحها.

هوراس

رسالة إلى فوسكوس أرسطيوس⁽¹⁾



هوراس، صديق الريف، يحيي فوسكوس، صديق المدينة. أوكد لك أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يفرقتنا؛ فنحن فيما عداه أخوان، بل توأمان. إنني هنا، في الريف، أحياء وأشعر أنني سيد نفسي بمجرد أن أهجر ما تفتخرون به في المدينة؛ لا أبحث عن الحلويات، بل أكتفي بالخبز، وأفضله على العسل.

وإذا كانت القاعدة هي أن يعيش المرء في انسجام مع الطبيعة، وأن أول حاجة يهتم بها الإنسان عندما يريد أن يبني منزلاً هي أن يختار المكان المناسب، فهل تعرف مكاناً يكون فيه المرء سعيداً مرتاح البال أفضل من عيشه وسط الطبيعة؟ مكان يشعر فيه بالدفء حتى في فصل الشتاء؛ ويرطب فيه النسيم من حرارة الصيف؛ ويخفف من هموم المرء التي قد تقلق نومه.

وهل رخام جدران المدينة أكثر إنعاشاً للنفس من عطور الأزهار وألوانها؟ وهل المياه التي ترقد في الأنابيب المعدنية في أحياء المدينة أطيب مذاقاً من مياه الجداول الصافية الجارية الباردة؟ ألا يفتخر من بالمدينة عندما تكون له نافذة يطل منها على منظر من مشاهد الطبيعة؟

(1) هوراس (65 - 08 ق.م).

ألا ترى أنه إذا تعود المرء على حياة الرفاهية والترف، يشعر بالقلق والشقاء إذا حلّ به ضيق؟ وإذا سمح لنفسه بأن تفتتن بالمباهج، تعود عليها ولا يتخلى عنها إلا مرغماً؟ فتجنب مراتب العظمة والسمو، لأن الإنسان قد يكون أسعد من الملوك وأصدقائهم، وهو يعيش في دار متواضعة وسط الطبيعة.

كان قطيع من الأياليات⁽¹⁾ يعيش إلى جانب فصيل من الخيل في المراعي الطبيعية. وحصل عراق بين الحيوانين دام طويلاً، فأحست الخيل بضعفها ولجأت إلى الإنسان، ورضيت بالشكيمة. وهكذا مصير من يتخلى عن حريته خوفاً من الفقر يعيش عبداً طوال حياته. ومن لا يلائم بين رغباته وإمكانياته، مثله كمثل من يملك حذاء لا يلائم قدميه: إذا كان واسعاً، يتعثّر، وإذا كان ضيقاً يؤلمه.

كن حكيمًا، أيها الصديق أرسطيوس، عش راضيًا بقدرك! ولا تتردد في توبيخي إذا رأيتني أجتهد لجمع ثروة فوق ما أحتاج إليه. فالمال إما خادم أو سيّد؛ ومن الحكمة أن يقود الإنسان المال، لا أن يقود المال الإنسان.

* * * * *

(1) جمع أيل، حيوان لبون مجتر، قويّ البنية.

رسالة إلى لوسيليوس⁽¹⁾



عزيزي لوسيليوس ،

... أتمتع اليوم ببعض الهدوء في منزلي، بفضل مباراة رياضية تجري في ملعب مجاور. ورغم بعد الملعب أسمع ضجيجاً ينتشر في أرجاء الحي، فدفعتني هذا إلى التأمل قليلاً في ظروف المولعين بالرياضة.

فما أكثر من يتعاطون نشاطات رياضية لتقوية أجسامهم، وما أقل من يهتمون بنشاطات تنعش نفوسهم وتروض أفكارهم. وما أكثر من يتجمعون حول الملاعب الرياضية، رغم أن ذلك لا يجلب لهم فوائد مستديمة، وما أقل من يتجمعون حول الحلقات الثقافية، في المكتبات! فما أفقر الفكر والروح لدى أولئك الذين نعجب بنمو عضلاتهم واتساع مساحة أكتافهم!

ويتردد في نفسي السؤال: إذا كان التدريب المتواصل يقوي الجسد، ويجعله قادراً على تحمل الضربات، ويتحمل الحرارة الشديدة، وكثيراً من التعب والأذى... فكم هو سهل على الروح أن تنمي طاقاتها لكي تتحمل ضربات القدر وتقلبات الزمان، ولكي تصمد أمام مشاكل الحياة.

(1) سينيكا (نحو 01 قبل الميلاد - 65 ميلادية) الرسالة رقم 80.

والجسد يحتاج إلى أشياء كثيرة ليكتسب قوة العضلات والقدرة على التحمل والمقاومة؛ أما الروح فتأخذ من نبعها ما ينمي مواهبها ويقوي معنوياتها. من يمتهن الرياضة يحتاج إلى كثير من الغذاء والشراب والزيوت والتدليك.. وخاصة إلى تدريبات مكثفة متواصلة وإلى تجهيزات ملائمة. أما فضائل الروح والفكر فينالها المرء دون تجهيزات ولا تكاليف.

إن كل ما يحتاجه الإنسان ليكون من أهل الخير والحكمة والصلاح يكمن في ذاته: الرغبة والإرادة. وماذا يطمح إليه الإنسان أكثر من أن يتخلص من تلك «العبودية» التي تضطهد الناس وتقيد حريتهم؟ بل حتى العبيد الذين نشأوا في أسوأ ظروف الحياة يسعون إلى التخلص من ظروف حياتهم المرهقة. ألا نراهم يتعبون ويشقون ويكدحون ليجمعوا من المال ما يشترون به حريتهم؟

وأنت، ألا تتمنى أن تحرر نفسك؟ وقد جئت إلى هذا العالم حرّاً. أراك تنظر إلى خزينتك! كلا! فهذه الحرية لا تشتري بالمال. بل هي داخل نفسك، غير أنك لا تهتم بها.

ححر نفسك أولاً من الخوف من الموت، لأنه يقيدنا تحت نيره الثقيل؛ ثم حرّر نفسك من مخاوف الفقر. وإذا أردت أن تتأكد من أن الفقر ليس شراً كله، ما عليك إلا أن تقارن بين حياة الفقير وحياة الغنى: الفقير يتمتع بأبسط الأشياء، ويغتنم كل مناسبة للمزاح والضحك؛ وضحكه من أعماق أحشائه؛ وحتى مشاكله أقل وطأة وتأثيراً من مشاكل الغني، ولا تدوم طويلاً.

أما الأغنياء الذين نقول عنهم إنهم محظوظون، فابتهاجهم مصطنع، يكسو حياتهم قلق غامض، لا يجراون في كثير من الأحيان أن يعلنوا عما ينتابهم من هموم. وفي خضمّ الضجر، والتبرم، والمكدرات، والمقلقات التي تظلل حياتهم، نجدهم يمثلون دور الأسر المتألّفة السعيدة.

سينيكا

* * * * *

الإدمان على الخمر⁽¹⁾



يبذل الإنسان جهوداً كبيرة في زراعة أصناف العنب التي يصنع منها الخمر، كأن الطبيعة لم تمنحنا أطيب المشروبات الصحية: الماء. وما فائدة كل تلك التكاليف والجهود الضائعة؟ لنحصل على شراب يسلب الإنسان عقله وتفكيره السليم، ويوقعه في كثير من المشاكل الصحية والجرائم الاجتماعية.

ومن الحماقات أن بعض الناس يلجأون إلى تناول نوع من الأدوية والسموم تزيدهم عطشاً ليستغرقوا في تعاطي الخمر، ويظنون جهلاً أن هذه الخمور تبطل مفعول السموم. ومن الناس من يطيل جلوسه في الحر، أو داخل الحمام الساخن حتى يغشى عليه من العطش، ثم يخرج مرهقاً فيبتلع كميات كبيرة من الخمر، ثم يفرغون بطونهم عن طريق القيء، ليعيدوا الكرة ويشربوا من جديد.

وهناك عادات وأساليب وتدريبات استوردناها، نحن الرومان، من بلاد أخرى، يقال أنها تزيد عطش المدمن على الخمور. والأسوأ أن هناك جلسات تقام لإجراء مسابقات، فيجازي فيها من يشرب أكثر من غيره، وهذا لعمري عين الحمافة، إذا أصبحت حالات السكر والهلوسة والعريضة تشتري وتجازى بالجوائز والتصفيق. وكأن السكر في حد ذاته لا يقود إلى الفساد والإجرام!

(1) بلاتيني الأكبر (23 أو 24 - 79 ميلادية).

الخمير يكشف الأسرار، وكشف الأسرار يؤدي إلى السباب والعراك، وتتوالى المشاكل. ألا يكفي أن ينظر المرء إلى حالة السكارى الجسدية والنفسية؟ عيون ذابلة، وجوه مصفرة، ذاكرة مبليبة، رائحة كريهة، أيدي ترتجف، أرق طويل، صداع مزعج، أحلام مخيفة... فهل هذا هو ما يدعو بعض الناس «متعة، اغتنام فرص الحياة»؟ كلا إنها حماقة تقود للهلاك وتذهب بلذة الحياة وتقصّر العمر.

* * * * *

عبء الأرق⁽¹⁾



مالذنب الذي اقتترفته، يا إله الراحة والسكون؟
ما زلت في عزّ الشباب، فلمَ تحرمني من نعمة النوم؟
كل شيء حولي مظلم، هادئ، ساكن؛
الحيوانات الوحشية والأليفة؛ الطيور الداجنة والبرية،
حتى الأشجار تبدو نائمة هادئة.
ماء الجدول ينساب في هدوء، وأمواج البحر
على الشاطئ لجأت إلى الاستجمام.
للمرة السابعة يشاهد القمر عينيّ الساهرتين،
وللمرة السابعة تسمعني النجوم، في عليائها، أسأل قليلاً من النوم
وأشاهد الشروق يسطع من حولي،
من غير أن يستجاب دعائي.
إلهي! كيف أتحمل الحياة بهذه الحالة؟

(1) ب. ب. ستاتيوس (45 - 96) (Siles, V, 4).

حتى الحارس اليقظ يسرق لحظات نوم.

آه ! ما أطول ليالي!

الرجل السعيد في منزله يحلو له السهر مع أحبابه،

لا أسألك أيها النوم أن تطيل زيارتك،

كما يفعل من تثقل كاهله الهموم،

بل إنما أرجو منك لمسة خفيفة

بعصاك السحرية، أو على الأقل أن تطوف

حول فراشي، وتمر مرور الكرام.

الجنود والقانون⁽¹⁾



إن للجنود مزايا، أذكر لك بعضها:

لا يجراً مدني أن يعتدي على جندي

وإذا كان الجندي هو المعتدي،

فلا يجراً المدني أن يرفع ضده شكوى.

قد يذهب إلى الطبيب، يفحص وجهه المشوه،

وأسنانه المحطمة، وعينه المتورمة...

وما الفائدة، فالطبيب لا يضمن له شيئاً.

وإذا تجراً المدني ورفع شكواه،

لا يفيد القضاة بشيء، فالجندي يخضع

لقوانين الجنديّة، ويحاكم داخل الثكنة.

وقد يقول المرء: لعله من المفيد أن يحاكم

الجندي المعتدي مجلس الضباط الذين يخضع لأوامرهم؟

(1) جوفينال (نحو 60 - بعد 127 ميلادية).

ولعلمهم ينصفونني؟

ولكنك قد تجد الجيش كله ضدك، فالجندي يدعم زميله؛

وسيطالب جميع أصدقائه بتخفيف عقابه.

فكيف يواجه الجيش من كان ذو رجلين، إلا إذا كان عنيداً أو مجنوناً؛

وكيف يجراً على دخول ثكنة الجنود؟

فكفكف دموعك! ولا تتعب أسرتك وأصدقاءك.

وإذا نادى القاضي: أين الشهود؟

من يجراً أن يصيح: ها أنذا؟

وقد يسهل عليك أن تأتي بشاهد كاذب

ضد رجل من الشعب؛ ولكن كيف الحصول على شاهد ضدّ

مصالح الجيش وكرامته؟

* * * * *

مرحلة التقاعد (1)



لعل الأيام التي قضيتها لدى سبورينا كانت من أسعد أيام حياتي. وأرى أن أسلوب حياته، بعد تقاعده، جدير بأن يقلده المرء عندما يبلغ سنّ التقاعد. وهذا ما سأفعله إذا سمح لي القدر بأن أعيش إلى تلك المرحلة.

وكما يبهرني نظام النجوم والكواكب، يعجبني لدى بعض الناس انتظام أسلوب حياتهم. وقد نسمح ببعض الإهمال والتهاون لدى الشباب، أما بالنسبة للمسنين، فينبغي أن يلتزموا بأسلوب حياة منتظم، في ظروف راتقة هادئة وبسيطة.

يقوم السيد سبورينا بأنشطته اليومية بطريقة منتظمة، في الصباح يقضي فترة قصيرة في فراشه، ثم يطلب حذاءه ويمشي نحو خمس كيلو مترات. خلال هذه الجولة يشغل عضلاته وفكره، فهو يصحب معه بعض أصدقائه، تدور بينهم، أحياناً، أحاديث ثقافية ممتعة؛ ويصحب أحياناً من يقرأ له كتاباً أثناء جولته.

بعد ذلك يعود إلى منزله، ويجلس فترة مع الأصدقاء، يتناقشون في موضوعات شتى. ثم يركب عربته، ويصحب زوجته، أو يرافقه أحد أصدقائه، كما حدث معي مؤخراً. لقد كان لقاء ممتعاً، تخللته أحاديث ممتعة، في جو معطر بذكريات العهود الماضية الطيبة.

(1) بلايني الأصغر (61 - نحو 113).

وبعد أن يركب عربته لمسافة نحو اثني عشر كيلو متراً، يترجل ويمشي نحو كيلو متر، ثم يعود إلى منزله، للمطالعة أو الكتابة. لقد ألف أشعاراً غنائية ممتعة، فيها بهجة ونفحات أخلاقية رفيعة.

وعندما يقترب موعد الاستحمام، يتمرن على الكرة بقوة لمدة كافية، لأنه يرى أن بساطة العيش والنشاط الجسدي يؤجلان آثار الشيخوخة. بعد الاستحمام ينام قليلاً. وفي انتظار موعد العشاء، يتحاور مع الأصدقاء، أو يقرأ موضوعاً مسلياً، ويترك لهم أن يفعل كل منهم ما يرغب فيه. ثم يقدم العشاء في أواني فضية، أو برونزية أحياناً. بعد ذلك تتلو فترة استرخاء يستمعون خلالها للمغنيات أو المنشدين، فتكتمل متعة البدن بما ينعش الروح.

لقد تجاوز السيد سبورينا الثامنة والسبعين من العمر، وما زال يتمتع بجميع حواسه على أحسن حال، وما زال ينعم بقوته البدنية ونشاطاته اليومية، ولم يؤثر عليه مرور السنين إلا بما زاده حكمة وخبرة. ولذلك فقد عاهدت نفسي، أنه إذا امتد أجلي إلى سن التقاعد، أنني سأتابع أسلوب معيشة ونظام حياة مماثل لأسلوب حياة هذا الرجل العظيم.

بلايني الأصغر

الرسالة، 1، III

قتل يوليوس قيصر⁽¹⁾



... بلغ عدد المتآمرين على يوليوس قيصر نحو ستين شخصاً، وكان على رأسهم كايوس كاسيوس، ماركوس، ودسموس بروتوس. وتردد الجميع، في بادئ الأمر، في اختيار الفرصة المناسبة لاغتيال القيصر: أن يرموه من الجسر، عندما يذهب لدعوة القبائل للانتخابات، وتكون جماعة تنتظره تحت الجسر لتجهز على ما بقي منه. والفرصة الثانية أن يهجموا عليه عندما يمر بشارع يدعى *La voie sacrée* في روما؛ والثالثة عندما يدخل إلى المسرح؛ وأخيراً عندما دعى مجلس الشيوخ إلى الاجتماع، في يوم «عيدس»⁽²⁾ اتفق المتآمرون على أن هذه هي أفضل الفرص لتنفيذ مؤامرتهم.

وقد ظهرت، قبل حادثة قتله، آيات وإشارات وتنبؤات غريبة تشير إلى اقتراب مقتل يوليوس قيصر.

- فقبل ذلك ببضعة شهور، اكتشف مزارعون في مستعمرة *Capoue*⁽³⁾ صفيحة قديمة من البرونز، في الضريح الذي دفن فيه مؤسس المدينة القديمة، وكان مكتوباً على الصفيحة، باللغة اليونانية، الجملة التالية:

(1) للكاتب الروماني Caius Suetonius (نحو 70 - بعد 122).

(2) عيدس، اليوم الخامس عشر من شهر مارس من التقويم الروماني.

(3) مدينة في ولاية كامبانيا، بإيطاليا.

«عندما ترى هذه الصفيحة نور الشمس، سيقتل أحد أحفاد أسرة يول (يوليوس) بأيدي أصدقائه، ويؤخذ بثأره أثناء مذابح كبيرة تجتاح إيطاليا».

ولا تعتبر هذه الرواية مجرد خرافة، إذ أن أحد أصدقاء يوليوس قيصر، اسمه كورنيليوس، كان شاهد عيان عند اكتشاف الصفيحة.

- وهناك حادثة أخرى تشير إلى مكروه قد يحدث للقيصر، وهي ما نقل إليه من أن الخيول التي اجتاز بها نهر الروبيكون⁽¹⁾، وجعل بعد ذلك هذه الخيول خيولاً مقدسة، وتركها ترعى حرة دون حراسة، نقل إليه أن هذه الخيول أمتعت تماماً عن الرعي والغذاء، وراحت تذرف الدموع، وهذا بأيام قليلة قبل مقتله.

- وفي إشارة أخرى إلى هذه التنبؤات، يروى أن العراف سيورينا حذر القيصر من خطر قد يصيبه أثناء فترة «عيدس» المذكورة، وهي منتصف شهر مارس.

- وفي اليوم السابق لقتل يوليوس قيصر، حدثت واقعة أخرى تنذره بالخطر، فقد شوهد طائر يدخل مبنى مجلس الشيوخ يحمل غصناً من الغار، ولحقته طيور هجمت عليه ومزقته إرباً.

- وفي الليلة قبل وفاته، شاهد في منامه أنه يحلق فوق السحاب،

(1) Rubicon: نهير في شمال إيطاليا كان يشكل جزءاً من الحدود بين الجمهورية الرومانية والولايات التابعة لها. وقد اجتاز يوليوس قيصر هذا النهير عام 49 ق.م، فأشعل بهذا التحدي الحرب الأهلية التي جعلته في النهاية سيد روما المطلق.

وأحياناً يمسك بيد جوبيتر (كبير آلهة الرومان). ورأت زوجته، كالبورينا، في منامها، بأن سقف المنزل انهار، وأن زوجها أصيب بعدة طعنات بالخناجر.

ونظراً إلى هذه التنبؤات والمؤشرات، وإلى أن يوليوس قيصر شعر ببعض التعب، فإنه تردد في الذهاب إلى مجلس الشيوخ، وفكر في تأجيل هذه الزيارة. غير أن ديسيموس بروتوس نصحه ألا يخيب أمل أعضاء المجلس الذين تجمعوا في انتظاره.

خرج من منزله على الساعة الحادية عشرة؛ وفي طريقه إلى المجلس قدم له رجل ورقة يحذره فيها من مؤامرة تحاك ضده. وضع القيصر الورقة في جيبه ليطلع عليها في وقت آخر.

دخل قاعة مجلس الشيوخ، فأحاط به المتآمرون كأنهم يريدون أن يقدموا له ما يستحق من تحية واحترام. وتقدم نحوه توليوس، الذي كلف بالدور الأول، متظاهراً بأنه يريد أن يسأله عن شيء ما. فأشار إليه القيصر بأن يؤجل سؤاله. وأمسك توليوس توجهه⁽¹⁾ القيصر فوق كتفيه. فصاح به يوليوس: إنك تضغط عليّ.

وفي هذه اللحظة، طعنه كاسيوس⁽²⁾ بخنجره من الخلف في مستوى الرقبة، فأمسك القيصر بذراع كاسيوس وجرحه بخنجره؛ وحاول أن يقف، ولكن أقعدته طعنة أخرى. فتيقن أن الخناجر تحيط

(1) Toge : ثوب روماني فضفاض.

(2) كان بين المتآمرين رجلان يحمل كل منهما اسم كاسيوس، ولم يحدد المؤلف بدقة اسم الرجل الذي نزل على القيصر بالطعنة الأولى.

مقتطفات من الأدب الروماني —————

به من كل جانب. غطى رأسه بطرف التوجه، وأنزل الطرف الآخر على ساقيه ليسقط بكرامة ونصف جسده الأسفل مغطى.

أوقع به المتآمرون، وهو ملقى على الأرض، ثلاثاً وعشرين طعنة؛ ولم يتأوه إلا عند الطعنة الأولى ولم يتفوه بكلمة. على أن شهوداً ذكروا أنه قال باللغة اليونانية لماركوس بروتوس، عندما طعنه: «حتى أنت يا ولدي!».

وعندما فارق الحياة، فرّ جميع الحاضرين؛ وبقي يوليوس قيصر ملقى على الأرض، إلى أن جاء ثلاثة عبيد ونقلوه إلى منزله على محمل.

* * * * *



مقتطفات من الأدب الفرنسي

حول الثقة⁽¹⁾



توجد علاقة بين الثقة والإخلاص، غير أنهما يختلفان في أمور عديدة. الإخلاص أن يكون قلب المرء مفتوحاً فيظهر على حقيقته؛ فهو يعني إبراز المشاعر، والتعبير عنها بصدق وصراحة، ومجالات الإخلاص في القول والعمل واسعة.

أما الثقة فلا تسمح لنا بمثل هذه الحرية، لأن ضوابطها ضيقة، وتتطلب مزيداً من الحذر واليقظة والتحفّظ، لأن الأمر هنا لا يتعلق بشخصنا فحسب، ولأنه مرتبط بمصالح الآخرين. والثقة تستلزم مزيداً من الوعي والاحتراز حتى لا نفعّل ما يفيدنا من جهة، وقد يضرُّ بمصالح أصدقائنا من جهة أخرى، كأن نفرط في أسرارهم أو أموالهم من أجل أن ننال شيئاً على حسابهم.

من يضع ثقته فينا يُعلّي شأننا، ولكن لهذه الثقة ضريبة يجب أن نتحملها لنكون جديرين بها. فهي عهد نلتزم به لمن يثق بنا، وهي أمانة تسلم لضميرنا ليحافظ عليها، وهي تبعية نتحملها طوعاً. ولا أقصد بهذا الكلام أن أعقد الأمور، ولكن الثقة ضرورية جداً لاستمرار العلاقات بين الناس؛ فهي الرباط الذي يوثق صلات المعاشرة والتفاهم بين الناس وبين الأصدقاء، ويجعل المعاشرة صادقة ونزيهة.

(1) لاروشفوكو (1613 - 1680) من كتابه : الأمثال.

إننا كثيراً ما نعهد بما في قلوبنا من أسرار، أو بما في خزائنا من أمانات عزيزة علينا. وقد يدفعنا إلى فعلنا هذا مجرد الرغبة في الحديث للترويح عن النفس، أو الغرور، أو لجلب اهتمامهم نحونا، أو رغبة في تبادل الأسرار... وعندما نجد من نثق بصدقهم، ونتأكد من إخلاصهم وتقديرهم لنا، يكون من حقنا أن نعاملهم بإخلاص وصراحة، ولا ينبغي لنا أن نظهر لهم فقط الجوانب الإيجابية من تصرفاتنا، ونخفي عنهم أخطاءنا وسلبيات سلوكنا، لأن أنصاف الأسرار وإن كانت لا تضايق من يبوح بها، فهي لا ترضى من يطلع عليها؛ فكأننا نفضي للصديق بأخبار تربكه وتزيد في فضوله، وتدفعه إلى البحث عن الحقيقة كاملة منا أو من غيرنا. وعلى هذا يكون من المفيد لنا ألا نبدأ الكلام عن موضوع ونقطعه أو نتركه معلقاً في منتصف الطريق.

يتفق جميع الناس على أن الأسرار ملك لصاحبها، ويحرم إفشاؤها؛ ولكن قد يحدث أحياناً ألا يدرك المرء مدى أهمية السر المودع لديه، وعواقب إفشائه. وقد يغضب بعض الأصدقاء الفضوليين إذا علموا أنك تخفي عنهم بعض الأسرار، فتخضع لإلحاحهم خشية أن تفقد صداقتهم؛ وهذا امتحان شديد لأمانتك. وما عليك إلا أن تثبت على مبدئك، فلا تفشي سرّاً إئتمنت عليه، ولو أدى ذلك إلى فقدان صديق فضولي.

وقد يحتاج المرء إلى كثير من العزم والحذر ليوافقه طغيان بعض الأصدقاء، ممن يعتقدون أن لهم الحق في الاطلاع على جميع ما

مقتطفات من الأدب الفرنسي

يختلج في نفوسنا . وما علينا إلا أن نقتنعهم بالكلمة الطيبة بأن هناك أسراراً شخصية، وأخرى وديعة وأمانة ليس من حقنا أن نبوح بها . وقد يصبح من الصواب أن يضحى المرء بصديق فضولي ليحافظ على كرامته وواجبه نحو الآخرين .

* * * * *

حب الذات⁽¹⁾



حب الذات! إنه يشمل كثيراً من المتناقضات: فهو متصلّف عاصٍ، ومطيع مراوغ؛ مخلص صريح وخفي مكنون؛ رحيم لطيف وعدو ظالم؛ فيه الحياة وفيه الجرأة والحماقة؛ ميوله عديدة متنوعة تتلون باختلاف الأمزجة التي تحركه وتدفعه نحو المجد حيناً، ونحو الثراء طوراً، ونحو الملذات أحياناً.

إنه يتغير حسب تطور أعمارنا، وثرواتنا وتجاربنا وحظوظنا. ولا يهمله إذا كان فيه جميع المواصفات، أو واحدة منها فقط، لأنه يستطيع، عند الضرورة، أن يشغل نفسه بكثير منها، أو يركز على واحدة منها.

في حب الذات صفات متقلبة، منها ما ينشأ من التغييرات الخارجية، وما ينبع من مصادر داخلية وأمزجة شخصية. وهو لا يستقر على حال بسبب طيشه وأهوائه وغرامياته ومستجداته، وضجره واشمئزازه.

إنه متقلب في نزواته وأطواره ومزاجه، فنراه أحياناً يسعى جاهداً للحصول على أشياء لا تفيده في شيء، وقد تضرّ بمصالحه؛ ونجد تصرفاته غريبة أحياناً، فيجد متعته في أشد الأشياء تفاهة،

(1) لاروشفوكو (1613 - 1680) المثل رقم 563 ، من كتابه «الأمثال».

ويظهر إعجابه بأشد الأشياء حقارة؛ ويضيع وقته وجهده في أعمال سخيفة ومملة.

يوجد حبّ الذات في جميع الحياة، وينتفش في جميع الظروف وفي كل مكان؛ يتغذى بكل شيء ويعيش على كل شيء؛ إنه شعور غريب وقوي، يتلاءم مع الأشياء، ولكن ينتفش بدونها؛ ينتمي إلى الجهات التي تنفر منه، ويندمج في نواياهم؛ والغريب أنه قد ينفر من وجوده مع أناس، ولكنه يسعى لحتفه بيده.

وفي نهاية المطاف لا يهمله إلا ما يؤكّد وجوده. وما دام موجوداً، لا يهمله أن يكون عدو نفسه أو صديقها؛ ولا ينبغي أن نتعجب إذا لجأ أحياناً إلى أشد حالات التقشف، أو انضم فجأة إلى فئة قد تدفعه إلى الهاوية، لأنه عندما يدمر نفسه في بيئة ينتفش في ظروف أخرى.

وعندما نظن أنه تخلى عن متعه ونزواته، يفاجئنا بأنه يغير لعبته، مؤقتاً؛ وعندما نظن أننا تخلصنا منه، نكتشف أن فشله حقق له نجاحاً جديداً.

هذه هي مواصفات «حب الذات»: حياته نزوات وتقلبات. ولعلنا نجد له صورة مشابهة في البحر، فتكون حركة المدّ والجزر المتواصلة تعبيراً أميناً عن تواصل أفكار «حب الذات» المضطربة.

* * * * *

حول معاشرة الناس⁽¹⁾



هدفي في هذا الموضوع الحديث عن معاشرة الناس بصفة عامة، ولا يخص الموضوع الأصدقاء لما للصدّاقة من علاقات وثيقة وعميقة. ولا شكّ في أن جميع الناس يرغبون في إنشاء علاقات مع من حولهم، غير أن قليلاً منهم يسعون جادين لجعلها علاقات وثيقة ومستديمة. والواقع أن كل شخص ينظر إلى ما يمكن أن ينال من مزايا وامتّع من الطرف الآخر.

لا شك أن معاشرة الناس، وتنسيق العلاقات معهم من فنون الحياة الأساسية؛ ولا شك أن تبادل المصالح ينعشها ويقويها. ولا شك كذلك أن الروح الطيبة والفكر الرشيد والحس الاجتماعي، ومراعاة اعتبارات التقدير والتسامح والكرم في المعاملات.. مما يساعد على توطيد علاقات المعاشرة واستمراريتها.

ومن المفيد أن تكون هذه العلاقات مرنة ومريحة، ليحتفظ كل طرف بحريته في تكثيفها أو تأجيلها بدون تبعية ولا إلحاح. ومما يلاحظ على ما يحدث من زيارات ولقاءات في المعاشرة، أنها قد تكون ممتعة أحياناً ومملة حيناً؛ وقد تؤدي إلى انسجام فتتطور العلاقات، أو إلى تنافر فتتبعثر المجموعات؛ ومن المفيد ألا يحدث الفراق أيّ تغيير

(1) لاروشفوكو من كتابه : «الأمثال» .

في النفوس؛ وعلى الناس أن يدركوا أنهم كثيراً ما يزعجون غيرهم من غير أن يقصدوا الإساءة.

إن اللياقة والملاطفة ضروريتان لحسن المعاشرة، وعلى المرء أن يسعى لامتناع من يعاشر من غير أن يشعر أنه ملزم بذلك. وعندما يساير المرء مشاعر من يعاشر، ينبغي أن يظل منسجماً مع مشاعره وسلوكه. لأن مسايرة الآخرين لا ينبغي أن تخرج على حدود الأعراف والأخلاق والقوانين.

وليس من المفيد أن يعاشر المرء من كانت أخطاؤهم وسيئاتهم أكثر من حسناتهم. وإذا عاشر من يقبل عيوبه لا ينبغي أن يذكره بها في كل لحظة، بل يفسح له المجال ليصحح سيئاته بنفسه؛ فهذا يساعد على توثيق العلاقات بدلاً من أن يربكها.

ومن الضروري فيما يتم بين الناس من لقاءات ومعاملات أن يشعر كل طرف بالثقة والأمان والاطمئنان. ويتطلب الموضوع كثيراً من الحس السليم والروح الطيبة المرحة لإدخال بعض البهجة والطرافة والتجديد والتسلية والمتعة على الحياة، وإبعاد الضجر والكسل والاكتئاب. وهذه اللقاءات تشبه إلى حد ما الألحان الموسيقية التي تتبع من آلات موسيقية متنوعة فتنتج أنغاماً مختلفة لا يملها الناس.

ومن المفيد أن يهتم المرء بالقضايا التي تشغل أفكار من يعاشر، ولكن يفعل ذلك بالقدر المعقول، لكي لا يعتبرونه تدخلاً في أسرارهم. وقليل من الناس من يرغب في الإفصاح عن خفايا صدره إلا بمقدار؛

وقد يوجد أشخاص من ذوي الوعي الرشيد والانقياد الوديع من يتقبل الآراء، ويرضى بأن ينصح ويحذر.. ولكنه لا يتحمل جميع المضايقات التي يفرضها استمرار العلاقات.

وكما أنه على المرء أن يبقى على مسافة معقولة ليرى الأشياء بوضوح، كذلك الأمر بالنسبة لمعاشرة الناس. فلكل شخص آراء وتصرفات يرغب في أن ينظر إليه الناس من خلالها. وفي أحيان كثيرة يكون المرء على صواب إذا لم يرغب في أن تسلط عليه الأضواء عن قرب. وينبغي أن يؤخذ في الاعتبار أنه لا أحد يرضى بأن يكشف عنه الحجاب في جميع ما يتعلق بحياته الخاصة.

* * * * *

الأشياء ومواصفاتها⁽¹⁾



الصفات الحقيقية في أي شيء ، أو موضوع، أو كائن حي، لا يمكن أن تمحي بمجرد مقارنتها بصفات حقيقية مماثلة في أي شيء آخر، مهما اختلفت موضوعات المقارنة، وابتعد بعضها عن البعض الآخر. لا شك أن هناك أشياء أكبر أهمية وأوسع نطاقاً وأشد تعقيداً وتأثيراً، ولكن المواصفات الحقيقية في الأشياء الصغيرة تظل مساوية لمواصفات الأشياء الضخمة.

نجد على سبيل المثال أن فن الحرب أوسع نطاقاً وأعمق تأثيراً وخطورة من فن الشعر. غير أنه من الممكن المقارنة بين القائد في الحرب، والشاعر، إذا كان كل منهما يتقن مهنته. وكذلك تمكن المقارنة بين القاضي والرسام.. إلخ ولا يمنع هذه المقارنة تعارض الأهداف، فيمكن على سبيل المثال المقارنة بين القائدين الشهيرين، حنبعل وسكيبيو⁽²⁾ لأن مواصفاتهما ومواهبهما حقيقية، والمقارنة لا تجعل أحدهما يلغي وجود الآخر. وإليكم مثال آخر: يمكن للإسكندر المقدوني ويوليوس قيصر أن يهب كل منهما دولة بكاملها، ويمكن لأرملة أن تهب

(1) لاروشفوكو (1613 - 1680)، من كتابه «الأمثال» .

(2) سكيبيو الأفريقي (235 - 180 ق.م) من زعماء روما وأبطالها المشهورين، نقل الحرب إلى إفريقيا، وانتصر على البطل القرطاجي العظيم، حنبعل، في معركة زاما (بتونس حالياً) .

دينارا أو درهماً، ولكن مهما اختلفت قيمة الشيء الموهوب، تظل صفة الكرم موجودة في الجميع.

ولننظر إلى منزلين اختلفت مساحتهما بين كبير وصغير، فإذا كان لكل منهما الجمال والرونق والبيئة التي تليق بحجمه، فإنه لا يمكن لجمال أحد المنزلين أن يلغي جمال المنزل الآخر. وقد نشاهد نساء ذوات جمال ساحر ولكنه غير قياسي، ومع ذلك ينتصر على جمال نساء أخريات لهن جمال حقيقي. وقد لا يدوم ذلك النصر مدة طويلة، وهو لا يلغي جمال الأخريات. ثم موضوع الجمال يخضع لأذواق الناس إلى حد كبير؛ وربما يكفي أن تتغير البيئة والمشاهد والأضواء بين الليل والنهار، فتظهر الصفات الحقيقية في الملامح والألوان، وتبرز سمات الجمال الحقيقي، الذي لا يستطيع بدوره أن يلغي مواصفات الجمال الأول، وإن أحرز قصب السبق في النهاية.

* * * * *

أفكار⁽¹⁾



ما الذي يحقق الشهرة والتقدير للناس، وللأعمال، وللقوانين وللعظماء؟ إنها موهبة الخيال؛ وجميع ثروات الأرض لا تكفي في هذا المجال بدون هذه الموهبة...

لا تقل لي أن ذلك القاضي الذي تفرض شيخوخته الموقرة الاحترام على جميع السكان، إنما ينقاد للعقل الصرف، ويصدر أحكامه على الوقائع حسب طبيعتها ومعطياتها، دون أن يتوقف عند ظروف خلفية لا تؤثر إلا على خيال الضعفاء؟

أنظروا إلى هذا القاضي الموقر، وهو يلقي موعظة، إنه يلجأ إلى حماس الرجل الورع، ويدعم منطقته بحديث الرحمة والرفقة والإحسان، وبمظهر هندامه ونبرات صوته.. وهنا يستمع الجميع إلى حديثه باحترام وتقدير.

ولكن إذا ظهر هذا الواعظ وقد أعطته الطبيعة صوتاً أبح، وكانت ملامح وجهه غريبة، ومظهره غير منظم، فإنني أراهن على أنه سيفقد من جاذبيته، ومن اهتمام الناس بمواعظه.

ولنفرض أن فيلسوفاً وجد نفسه فوق لوحة، وكان تحتها هوة

(1) يرى باسكال (1623 - 1662) أن قوة خيال الإنسان من العوامل الأساسية التي تؤثر على تفكيره وتبلبل عقله، لأن الخيال، في نظره، منبع الخطأ والتزييف.

عميقة، واللوحة واسعة مكينة، وقال له عقله أنت في مأمّن، وأوحى له خياله بأنه غير آمن، فلا شك أن الغلبة تكون لهذا الأخير، لخياله؛ بل إن كثيراً من الناس يصيبهم الرعب فوق تلك اللوحة.

ولا أود هنا أن أسترسل في ذكر الظروف المماثلة، التي وإن كانت بسيطة، فإنها تبلبل عقل المرء وتثير مشاعره، كرؤية القطط أو الفئران (ليلاً)، أو الشعور الذي يحدثه المشي على قطعة فحم... بل إن اختلاف نبرات الصوت قد تخدع الرجل الحكيم، وتغير مجرى الخطاب.

أجل، الخيال يؤثر على المشاعر، وشعور الحب أو الكراهية قد يغير مجرى الحكم مواجهة... وكم من محام قبض مبالغ كبيرة، فأصبح يرى أن القضية التي يدافع عنها قضية عادلة. وكم من محام يتقن اللجوء إلى المبادرات المبتكرة، والسلوك الجريء، ويساعده الخيال على سبك الحوادث بطريقة ذكية وأسلوب بليغ، فيظهر أنه الأفضل في عين القاضي الذي ينخدع بالمظاهر. فيا له من عقل ممتع، ذلك العقل الذي تحركه رياح الخيال في كل اتجاه!

* * * * *

- عندما أشاهد الإنسان، هذا المخلوق الشقي الذي يعيش في بؤس وضلال، وهو ينظر إلى الكون العميق الصامت من حوله، يعيش في ظلام كأنه تائه لا يعرف من أين أتى به القدر إلى هذه الزاوية من الكون السحيق، وماذا يفعل هنا، وما مصيره بعد الموت، فإنني يستولى عليّ الفزع مثلما يحدث لرجل نقل وهو نائم إلى جزيرة نائية

مهجورة، ثم يستفيق وهو لا يعرف مكانه في العالم، ولا سبيل له للخروج من مكانه. وأتعجب كيف لا يبأس الإنسان عندما يجد نفسه تائهاً في ظروف قاسية كهذه.

أَنْظُرُ حَوْلِي فَأَشَاهِدُ كَثِيرًا مِنَ الْأَشْقِيَاءِ التَّائِهِينَ وَجَدُوا أَشْيَاءَ مَغْرِبِيَّةً أَعْجَبُوا بِهَا فَأَلْهَتَهُمْ، أَمَا أَنَا فَلَمْ تَثُرْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ إِعْجَابِي، بَلْ رَحْتُ أَفْكَرَ فِيمَا إِذَا تَرَكَ لَنَا الْإِلَهَ أَشْيَاءَ هَامَةً تَدُلُّ عَلَى حِكْمَتِهِ وَوُجُودِهِ.

- الناس لا يهتمون بالحاضر ، ويبدو لهم قدوم المستقبل بطيئاً، فينتظرونه بلهفة. وقد نحرض على استرجاع الماضي كأننا نحاول أن نبطئ ابتعاده عنا. وهذا ما يجعلنا نضيع في بحر الزمان الذي لا نملكه (الماضي والمستقبل)، ونهمل الحاضر الذي هو واقعنا وحياتنا.

ولعل السبب في هذا السلوك هو أن الحاضر يؤلِّمنا، فنحاول أن نخفيه أو نبعده عن ذاكرتنا؛ أما إذا كان بهيجاً ممتعاً فينقضي بسرعة، ونأسف على زواله. وعندما يستجمع المرء أفكاره يلاحظ أنها متجهة نحو الماضي أو المستقبل. وعندما ينشغل بالحاضر فهو يفعل ذلك ليستتير بوقائعه لمواجهة المستقبل.

فالماضي والحاضر ليسا نهاية في حد ذاتها بالنسبة لنا، بل نعد فيهما إمكانياتنا لنجعلهما منصة انطلاقنا نحو المستقبل. وعلى هذا فنحن لا نعيش حقيقة، بل نأمل أن نعيش، ونعد أنفسنا لمستقبل نأمل أن نستريح فيه ونتمتع. ولكن هل تتحقق الأمناني والآمال؟

- لا يعرف الإنسان الحقيقة عن طريق العقل وحده؛ بل كذلك بواسطة القلب (الإحساس والمشاعر) . فبهذه الطريقة نتعرف على المبادئ والمسلّمات الأساسية. ولا يضطلع العقل بدور في هذا الموضوع، لأن إدراك هذه المبادئ الأولية، كوجود الفضاء والحركة والزمن والعدد.. معرفة متأصلة أكثر من أيّ معرفة يستنتجها العقل.

والعقل يعتمد على هذه المعارف «الغريزية» ويبني عليها خطابه. فالمبادئ الأولية تأتي من الإحساس، والافتراضات تأتي بعدها بالاستنتاج. ومن غير المجدي أن يطلب العقل الدلائل من القلب على ما توصل إليه من معارف أولية، ليوافق عليها. كما أنه من السخرية أن يطلب القلب من العقل أن يجعله يشعر بجميع ما يستنتج من نظريات، ليتبناها.

ولعل هذا العجز في جانب العقل يجعله يشعر بالإهانة، لأنه يريد أن يحكم على كل شيء وفي كل أمر يهمه، كأنه هو وحده منبع جميع المعارف. ومن فضل الله أننا نصل إلى المعرفة كذلك عن طريق الغريزة والحواس والشعور. غير أن الطبيعة ضيّقت المجال، وجعلت الإنسان لا يتوصل إلى كثير من العلوم والمعارف إلا عن طريق العقل.

ولهذا نلاحظ أن الذين هداهم الله إلى الإيمان عن طريق مشاعر القلب هم السعداء حقاً لأنهم أشدّ اقتناعاً بعقيدتهم. أما الذين لم تقدّم قلوبهم إلى الإيمان، فلا بد من اللجوء إلى العقل لإقناعهم، في انتظار أن يهدي الله قلوبهم.

جميع الناس يبحثون عن السعادة، ويتبعون لبلوغها سبلاً مختلفة. بعضهم يمتهن الحرب، وكثيرون يفرون منها؛ والهدف واحد مهما اختلفت السبل والوسائل. والرغبة تدفع الإنسان وتوجهه نحو طموحات قد تكون فيها سعادته، وربما شقاؤه وهلاكه...

ونلاحظ في الحياة أن جميع الناس يشتكون: الأقياء، والضعفاء، العلماء والجهال، الأصحاء والمرضى، الشباب والشيوخ. والأمراء والنبلاء وعامة الناس، في كل زمان ومكان. وكان يفترض أن التجارب الطويلة التي مرّت بها البشرية تقنعنا بأننا عاجزون عن الوصول إلى الخير والفضيلة والسعادة بجهودنا الشخصية. فالحاضر لا يرضينا، والمستقبل ليس بين أيدينا، والتجارب تخادعنا، والزمان يقودنا من سيء إلى أسوأ، حتى الموت.

وهل يوحى لنا عجزنا اليوم بأن الإنسان كان في الزمن الماضي ينعم بسعادة حقيقية؟ وهل يجدي الإنسان أن يملأ ما يحيط به من فراغ روحي ومعنوي وأخلاقي بأشياء مادية؟ لقد أصبح هذا الفراغ هوة سحيقة لا يملأها إلا وحيٌّ خالد منزل من السماء، من عند الله. هذا هو الخير الأعظم، ومنذ أن أنكره الإنسان لم يجد في الكون ما يخلفه: فلا النجوم، ولا السماوات والمجرات، ولا الأرض بجبالها وبحارها، ولا الأوبئة والمجاعات، ولا حتى الحروب الطاحنة وما ينجم عنها من دمار وفساد، يخلف ذلك الخير الأسمى.

* * * * *

- ليس عارًا على الإنسان أن يموت بسبب الألم، ولكن العار أن يموت تحت عبء الملذات. فلماذا يمجد العقل الذي يذهب ضحية الألم؟ ولماذا ينسب العار إلى العقل الذي يتحطم تحت ضغط الملذات؟

إن الألم لا يغري الإنسان، وليس فيه ما يجذب الإنسان إليه. وقد يسير الإنسان طوعًا نحو الألم من أجل أن يسيطر على المواقف ويتحكم في الظروف. وفي هذه الحال نجد أن الإنسان يقضي على نفسه بنفسه.

أما الملذات فهي التي تغري الإنسان، وقد تطغى عليه فيقع في شباكها إلى أن تحطمه. وليس مجد الإنسان في تحمل الآلام، ولا في الانغماس في الملذات، بل في السيطرة على النفس، والسعي نحو الخير الأسمى.

* * * * *

أفكار⁽¹⁾



يبدو لي أن الإنسان مخلوق شقيّ بمزاجه وطبعه، وهذا ما يجعله كثير الضجر متبرما بالمزعجات والمقلقات. وهو من جهة أخرى رقيق المشاعر، مَزْهُوٌّ ومغتر بنفسه، لدرجة أن أقلّ حادث مثل لعبة الكرة أو البليار، يكفي لإدخال المتعة والمرح إلى نفسه.

فكيف لهذا الرجل الذي فقد ابنه الوحيد قبل شهور قليلة، وكان يعيش قضايا ونزاعات مقلقة، نجده اليوم لا يفكر في شيء مما حدث له؟ لا عجب في ذلك، فهو اليوم في الخلاء، يطارد ذلك الخنزير البري الذي تلاحقه كلابه، بحماس شديد.

فمهما اشتد الحزن على امرئ، إذا عرفنا كيف ندخل إلى نفسه قليلاً من المتعة، نستطيع أن نجعله مرحاً خلال فترة قصيرة. ونجد من جهة أخرى، أنه مهما كان المرء سعيداً، إذا لم يوفر لنفسه بعض المتع والتسلية، ولم يشغل نفسه ببعض المشاعر المبهجة، فإنه سرعان ما يستولى عليه الضجر والقلق والحزن والشقاء...

ومما يساعد كبار المسؤولين على تحمل أعباء مسؤولياتهم، ويرفع معنوياتهم، أنه يوجد حولهم عدد من الناس يُروِّحون عنهم، ويوفرون ظروف التسلية والمرح، ويساعدونهم على العيش في جوٍّ من البهجة والمتعة.

(1) باسكال (1623 - 1662).

ولكن لنتأمل ما يلي: يتولى رجل منصب وزير المالية، وآخر منصب رئيس مجلس النواب، وثالث منصب وزير الداخلية.. فنلاحظ أنهم يعيشون في ظروف تشغل كل وقتهم، إنها ضغوط المسؤولية، ويتوالى الناس عليهم طوال النهار، فلا يجدون ساعة يعودون فيها إلى حياتهم الشخصية، ويتأسفون لذلك. ولكن عندما يقالون من مناصبهم، وينتقلون إلى منازلهم ومزارعهم، يجدون من الخدم من يساعدهم، ويوفرون لهم احتياجاتهم. ومع كل هذا، نجد هؤلاء «العظماء» في ظروفهم الجديدة المريحة، يشعرون بالتعاسة وبأنهم مخذولون، لماذا؟ لأنهم لا يجدون حولهم أشخاصاً «يأخذون» وقتهم، ويمنعونهم من التفكير في أنفسهم.

* * * * *

- ليس الإنسان سوى قسبة، ولعله أضعف ما في الطبيعة؛ غير أنه قسبة مفكرة، فلا ينبغي للعالم أن يتآمر على بيئته لإفنائها؛ بل يكفي الضباب وقليل من الماء للقضاء عليه.

وحتى عندما تتسلح الطبيعة لتدمر الإنسان، يظل هذا المخلوق هو أنبل المخلوقات، لأنه يعلم أنه سيفنى يوماً ما، أما بقية العالم فلا تعلم ذلك.

- إذا كانت كرامتنا تتلخص في أننا مخلوقات تفكر، فينبغي لنا أن نحترم هذه الموهبة، وألا نشغل حياتنا فقط بالمكان الذي نشغله، والزمن الذي نعيشه؛ فمبدأ الفضيلة هو أن يُحسن المرء استغلال تفكيره.

* * * * *

الرواقية⁽¹⁾ :

«الرواقية» عبارة عن «مُلْحَةٌ روحية»، وهي تشبه جمهورية أفلاطون⁽²⁾. فالرواقيون يتظاهرون بأن المرء يمكن أن يبتسم في حالة الفقر؛ ولا يشعر بالمظالم ونكران المعروف؛ ولا يحزن إذا فقد الثروة والأحباء؛ وأنه يستقبل الموت بهدوء ورباطة جأش، وباللامبالاة كأنها حادث لا يبهج ولا يحزن؛ ويقولون بأن الشخص الذي يتبنى فلسفة الرواقية لا تؤثر فيه اللذة ولا الألم؛ وأنه يتحمل الحديد والنار على جزء من جسده من غير أن يتأوه أو تدمع عيناه.

والرواقيون يدعون حكيمًا هذا الإنسان الخيالي الذي يمثل «الفضيلة» ورباطة الجأش. فهم ينسبون للإنسان صورة مثالية من البطولات هو غير أهل لها، إنهم يطلبون منه المستحيل. فهذا الرجل الحكيم، في نظر فلسفة الرواقية، يرى نفسه فوق كل الحوادث، ومسيطرًا على كل الوقائع، متحملاً لجميع الآلام والمصائب من غير شكوى. وحتى إذا زلزلت الأرض، ووقعت عليها السماء، يظل هذا الحكيم الخيالي ثابتاً هادئاً فوق أنقاض العالم. بينما نشاهد في الواقع

(1) هذه مقتطفات من كتاب La Bruyère (1645 - 1696) الذي يحمل عنوان Les Caractères.

«الرواقية» نسبة إلى «الرواق» الذي كان يجتمع فيه أتباع الفيلسوف زينون، وهي فلسفة تقول بأن كل شيء في الطبيعة إنما يحدث بالعقل الكلي، ويقبل مفاعيل القدر طوعاً.

(2) يرى بعض الكتاب أن جلدَ الحكيم الرواقي ورباطة جأشه وتحمله للألم، ليس سوى عملية خيالية مصطنعة.

أن الإنسان يفقد صوابه، ويصرخ ويثور، وتنتفخ أوداجه، إذا انكسر له إناء ثمين، أو ضاع منه كلب عزيز عليه.

* * * * *

حول الحديث والمحاورة⁽¹⁾؛

- إن روح الحديث والمحاورة لا تعني أن يظهر المرء مدى علمه ومعرفته بالأشياء، بل تهدف كذلك إلى تشجيع الآخرين على الحديث. فإذا خرج شخص من اللقاء وهو راض عن نفسه، يكون كذلك راضياً عن حديثه معك. فالناس لا يسعون دائماً إلى الإعجاب بغيرهم، بل إنهم يسعون قبل كل شيء إلى أن يعجب بهم الآخرون. وهم لا يرغبون فقط في زيادة معرفتهم ومتعتهم، بل يودون كذلك أن يتذوق الآخرون حديثهم ويصفقوا لهم. وألذ أنواع المتعة والبهجة هو خلق الرضى والمرح في نفوس الآخرين.

- عادة التأكيد على جميع ما نتفوه به من أقوال باللجوء إلى أنواع القسم، عادة بغیضة عند الله وعند الناس. فالرجل الصادق يكفيه أن يقول «نعم» أو «لا» لإقرار كلامه، لأن خلفه سلوك يشهد له ويضفي الثقة على أقواله.

- لكل مقام مقال: فهناك الكلام العفوي البسيط، والكلام البليغ الخطير، والكلام المقتضب، والإسهاب، والكلام الغامض، والكلام المناسب وغير المناسب، وما يحتاج إلى التوكيد... ومن الكلام في غير مقامه أن يتباهى المرء، مثلاً، بأنه تناول وجبة عشاء عظيمة،

. La Bruyère (1)

أمام أشخاص لا يجدون لقمة يومهم؛ أو يتباهى آخر بجودة صحته أمام معاقين؛ أو بثروته ومكاسبه أمام من ليس لهم ثروة ولا منزل؛ وبصورة عامة أن يتباهى المرء بسعادته أمام البؤساء والأشقياء والمحرومين.

- إن المجاملة (أدب السلوك) توحى دائماً بالفضيلة والرضى والإنصاف والاعتراف بالجميل.. وهي على الأقل تكشف عن حسن خلق المرء في مظهره، ولعله كذلك في طويته. ومن الممكن أن نعرف روح المجاملة، ولكن يصعب تحديد ألوانها وأصنافها في الحياة العملية. فهي قد تتغير حسب العادات، والبلدان، والأزمنة، والأشخاص، وبالنسبة لجنس الإناث والذكور.

وهناك أمزجة وطبائع سريعة التأثر بسلوك المجاملات؛ وطبائع ونفوس أخرى لا تتأثر إلا بسلوك المواهب العظيمة والفضائل السامية. ولا شك في أن سلوك المجاملة يفسح المجال ويتيح الفرص أمام أصحاب الأهلية والجدارة. ولكن ينبغي للمرء أن يكون ذا مواهب بارزة كفيلة بأن تدعم ما يتصف به من سلوك اللياقة والمجاملة.

- أثناء الحديث، من الناس من يتكلمون باندفاع، سببه الغرور أو النزوات الأنانية، وقليلاً ما يتحدثون بلطافة وهدوء، ومراعاة للآخرين؛ ومنهم من يركز اهتمامه للردّ على كلام لم يستمع إليه بعناية؛ ومن يطرح آراءه ويشرح وجهات نظره دون إعطاء الفرصة للآخرين؛ وبهذه الطريقة يبتعد الجميع عن منهج الحقيقة، ويختلط الحديث، وتتداخل موضوعاته فلا يدرك أحد عن أية الحقائق يبحثون.

* * * * *

المال، البخل، الورثة⁽¹⁾ :

- لو كان تأليف الكتب وإنتاج الأفكار يتوقف على إرادة الأغنياء، لأدى ذلك إلى خسائر كبيرة للعلم والمعرفة؛ ولأصبح الأثرياء يتحكمون في مصير العلماء والأدباء والفلاسفة. وكما قيل الأغنياء يملكون الحاضر، أما المستقبل والذكر الحسن فهو لأهل الفضل والمعرفة.
- ألا نلاحظ أن الشاعر هوميروس (أو شكسبير) مثلاً ما زال خالداً ذكره، وسيظل كذلك؛ بينما لا يتذكر أحد أسماء ذوي الثروة، إلا من كان لهم فضل على العلم والأدب.
- عندما يكون الرجل شاباً يجمع المال لشيخوخته؛ وفي شيخوخته يوفر لوفاته؛ ثم يأتي الوارث فيدفع تكاليف الدفن وبيتلغ الباقي.
- ينفق البخيل في يوم واحد (يوم وفاته) ما لم ينفقه طوال حياته. وينفق الوارث في عام واحد ما لم يستطع جمعه طوال حياته.
- ما يسخو به المرء على حياته، ينزعه من ورثته؛ وما يوفره بعناء وشقاء هو حرمان لنفسه؛ فأين السلوك القويم؟
- سلوك من ينتظر أن يرث شخصاً، كله ملاطفة ومجاملة.. فالوارث يحيط الموروث بأساليب الرعاية والإطراء والطاعة والتقدير والاهتمام بشؤونه؛ ولا يتردد في حساب ما سيرث وقد يستعجل موت العجوز.

* * * * *

. La Bruyère (1)

الإنسان⁽¹⁾؛

- الرجل المتقلب ليس شخصاً واحداً، بل عدد من الأشخاص؛ تتعدد شخصياته بتعدد أمزجته وأذواقه. فهو اليوم غير ما كان بالأمس، وسيكون غداً غير ما هو اليوم. فهو بتقلب أمزجته يحل محل نفسه بشخصية جديدة؛ فلا تسألوا من أيّ طبع هو. قد يلقاكم اليوم، وكأنه قطعة من جليد، بينما كان بالأمس يلاطفكم ويثني عليكم.

- عندما نقول عن شخص متقلب، نرزق، متلون، شجيّ وكئيّب، وصعب المراس، أن هذا هو طبعه، لا يعني هذا أننا نعذره؛ فهذه المواصفات السلوكية نقائص قد يصعب تصحيحها. وينبغي للمرء أن يدرك بأنه لا يكفي أن يقال عنه أنه طيب القلب والنوايا، بل لا بد أن يثبت ذلك بأفعاله، بأن يكون صادقاً في معاملاته، وأن يحسن معاشرته الناس، ليّن الجانب، كريم الخلق.

ولا يطلب من النفوس التي تستغل ذكاءها ومهاراتها للمكر والتحايل، أن تكون لطيفة مرنة وطيبة، فهي تعرف هذه الصفات، ولكنها تستغلها لمخادعة النفوس البسيطة الساذجة. بل نطلب من ذوي القلوب الطيبة أن يستغلوا مهاراتهم في معاملة الناس بالمرونة والصدق والإحسان؛ ولعل أفعال هذه الفئة الصالحة تصلح ما تفسده فئة الأشرار، بما تنشره (الفئة الصالحة) من خير وصلاح وأمن وطمأنينة.

- يتساءل كثير من الناس: لماذا لا يتفاهم الناس بلغة واحدة؛ ولم لا يسعون للعيش في ظل عادات وقوانين وعقائد واحدة؛ ولم لا يؤلفون

. La Bruyère (1)

أمة كبيرة واحدة؟ ولكني عندما ألاحظ تعارض الأفكار، واختلاف المشاعر والأذواق، وتعدد المذاهب والأهداف، أتعجب كيف يستطيع سبعة أو ثمانية أشخاص أن يكونوا أسرة واحدة، ويعيشوا تحت سقف واحد.

- عاش فلان طوال حياته بخيلاً، كئيباً، مطيعاً، متذللاً، مجداً في عمله، وقد كان في طفولته مرحاً، واثقاً من نفسه، لين الجانب، شجاعاً، معتزاً بشبابه. فما الذي أحدث هذا التغيير في سلوكه؟ لاشك أن قساوة الحياة، وظروف المعيشة البئيسة، تؤثر على سلوك الإنسان. فهناك عوامل كثيرة خارج قدرة الإنسان تؤثر على مزاجه وتصرفاته، وتقلقه وتبلبل أفكاره، فيصبح، بمرور السنين غير الشخص الذي عرفناه في شبابه.

- الحياة قصيرة، ومع هذا فكثيراً ما يضيع المرء جزءاً كبيراً منها قيد التمنيات والآمال البعيدة؛ فيؤجل راحته ومتعته إلى أن يفاجأ بأنه قد فقد كثيراً من مقومات الحياة السعيدة: الشباب والصحة، والإرادة. وعندما يقرر أن يهتم بنفسه ويعطيها نصيبها من الحياة، يفاجئه العجز والمرض الذي يطفئ جذوته.

- يجد معظم الناس صعوبة في الاتفاق على الأعمال التجارية. فهم يختلفون على أدق المسائل، ويجادلون ويشاكسون، وقد يلجؤون إلى التحايل والمخادعة، ويضاعفون الحذر حتى لا يغشهم الآخرون. واني لأتعجب والحالة هذه، كيف يصل الناس إلى الاتفاق على عقود الزواج، والاتفاقيات والمعاهدات والتحالفات.

- إن من يدنسون سيرتنا بالوشاية والنميمة، أو يستولون على أملاكنا بالظلم والافتراء، يعلنون كراهيتهم لنا، غير أنهم لا يؤكدون بأفعالهم هذه أنهم فقدوا كل احترام لنا، ولا ييأسون من أن العلاقات قد تعود إلى مجراها يوماً ما؛ أما من يلجؤون إلى الاستهزاء بنا والسخرية منا، فقد أتوا منكرًا لا يفتخر، لأنهم هاجموا أهم معقل للإنسان هي كرامته. وإنها لإساءة شنيعة أن يلجأ شخص إلى تحقير الإنسان ليجعل منه أضحوكة، فهذا يحطم نفسه، ويقضي على أيّ فرصة للمصالحة.

- يبدو لي أن الناس لا يهتمون كثيراً بفضائل القلب اهتمامهم بمواهب الجسد؛ على أن المرء قد يقول عن نفسه إنه طيب القلب، وفِيّ، يعترف بالمعروف، ينصف الناس...، ولكنه لا يقول: أسناني جميلة، بشرتي ناعمة، قدي ممشوق.. ولكن هناك فضيلتان يعجب بهما الناس أشد الإعجاب: الشجاعة والكرم، لأنهما يجعلان المرء يضحى بأعز ما لديه: المال والنفوس.

- نلاقي في الحياة قليلاً من النفوس البليدة، وأقل منها النفوس المتفوقة السامية. ومعظم الناس يشغلون الفراغ الكبير بين الطائفتين، وهم من ذوي المواهب العادية؛ وهم الذين ينهضون بالمهام والأعباء الاجتماعية المختلفة: خدمات الدولة، الأعمال التجارية، التعليم، المهن والحرف المتنوعة، وجميع الخدمات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

- توفي فلان في شيخوخته، دون أن ينجز وصيته التي ظل يفكر فيها

سنتين طويلة. وسرعان ما حضر عدد من أقربائه ليتقاسموا الميراث. ولم يجد المتوفي أثناء شيخوخته من يسهر على راحته سوى زوجته الفتية التي وهبت نفسها لخدمته حتى آخر رمق في حياته. ولكنه نسي أن يوصي لها بما يضمن لها عيشة كريمة، ويغنيها عن البحث عن شيخ آخر ينفق عليها.

- قليل من المسنين يتذكرون أنهم كانوا يوماً ما فتياً تعذر عليهم أنذ أن يلتزموا بسلوك العفة والاعتدال. ولكن عندما يتخلى المسنون عن رغباتهم وملذاتهم لأسباب صحية، أو لأسباب اللياقة والأدب، نراهم ينتقدون مغامرات الشباب والأفعال التي كانوا يفتخرون بها أيام فتوتهم؛ وكأنهم يرون أن المتع والمباهج التي لم تعد تلائم سنهم، لا ينبغي أن تكون لغيرهم.

- ليس الخوف من الحاجة إلى المال هو الذي يجعل كبار السن بخلاء. لأن كثيراً منهم يملكون ثروات طائلة، فلا يمكن أن يعانون من الفقر في ظل ما يكتزون. وقد يبلغ بهم البخل أن يحرموا أنفسهم من متع الحياة حتى في شيخوختهم. فما أسعد الورثة!

وكذلك ليس سبب بخل كبار السن هو رغبتهم في أن يتركوا ميراثاً ضخماً، إذ كيف يحرم الرجل نفسه، ويضحي بملذاته رغبة في إرضاء الورثة. وقد نجد من المسنين من ليس لهم أولاد، ومع ذلك يبخلون على أنفسهم، ويكتزون الذهب والفضة.

ويبدو أن من أسباب البخل في تلك المرحلة من العمر ما يحوط

بالشيخوخة من مشاعر الخوف عامة، ومنها ما يعود إلى التقلبات النفسية والفيزيولوجية، إذ نلاحظ أنهم يميلون للشح بصورة طبيعية، كما كانوا يستسلمون للمتعة في مرحلة الشباب، وللطموح والتنافس في مرحلة سن الرجولة.

والواقع أن عادة البخل لا ترتبط فقط بمرحلة الشيخوخة، ولا بالشباب والصحة والكهولة. ولكن الإنسان في مرحلة الشيخوخة قد يشعر بالعزلة والضعف، وبالحاجة إلى المحبة والتقدير؛ واكتنازه لشيء ثمين يوفّر له الشعور بالأمان، ويحدث في نفسه شيئاً من الإنفعال الإيجابي، فيشعر بالقوة، تماماً مثلما يشغل المرء نفسه بهواية تلهيه وتدعم معنوياته.

- لا ينبغي للمرء أن تخيفه كلمة «فلسفة»، لأنه لا يوجد شخص ليس له فكرة أو سلوك ذو صبغة فلسفية، مهما كانت سطحية. فالفلسفة ترافق الحياة العملية والنظرية، ونجدها في سلوكياتهم في مختلف الأعمار، ومختلف الأماكن والأزمنة.

الفلسفة تعزينا عندما نفشل، أو لم نحقق ما ناله غيرنا من المال والمركز والسعادة؛ وتعزينا عندما نفقد شيئاً من صحتنا أو مالنا أو قوتنا أو رشاقتنا أو أهليتنا للحياة. إنها تعزينا في حالة الفقر والبؤس والمرض والشيخوخة؛ وترفع معنوياتنا عندما نواجه سلوك الحمقى والحاسدين؛ وتساعدنا على مواصلة الحياة في الظروف العصيبة، أو عندما يجد المرء نفسه كئيباً حزيناً، كأن يفقد رفيقة حياته...

- من الناس من يقضون سنوات طويلة يحاولون أن يحموا أنفسهم من أشخاص، ساعين لإيذاء آخرين؛ وفي نهاية المطاف تستنزف قواهم الحياة، فيندمون في مرحلة الشيخوخة لكونهم لم يقدموا خيراً، ولم يحضروا بئراً ولم يزرعوا شجرة.

- أعترف بأن مشاكل الحياة تتطلب وجود قوانين تفرض عقوبات مختلفة مثل السجن، وحجز العقارات، والغرامة المالية... وإني لأشعر بالصدمة لما أشاهد من أنواع العنف والوحشية والمكر والاحتيال التي يواجه بها الإنسان أخاه الإنسان رغم ما قد ينزل به من عقاب.

- نشاهد أشكالاً من الحيوانات «الوحشية»، رجالاً ونساءً، ينتشرون في المزارع والحقول، ملتصقين بالأرض، يقلبون تربتها بعزم وعناد. وعندما يقفون على أقدامهم نشاهد لهم وجوهاً بشرية، إنهم بشر حقاً.

وعندما يأتي الليل يلجأون إلى جحورهم حيث يعيشون على الخبز الأسود والجدور والماء. إنهم يوفرون على أناس آخرين متاعب حرث الأرض وزرعها وجني غلاتها. أفلا يستحقون أن يطعموا من هذه الغلات التي شقوا من أجل إنتاجها.

* * * * *

أيها الأغنياء...⁽¹⁾



أيها الأغنياء، أنتم الفقراء! أيها الفقراء، أنتم الأغنياء! أيها الأغنياء ما دمتم تكتزون أموالكم، ستحرمون من خيرات العهد الجديد⁽²⁾، ولا يبقى لكم منه إلا عبارة «واحسرتاه»! وإذا أردتم النجاة من صدمة الصاعقة، صاعقة اللعنات الآتية، فارموا بأنفسكم تحت جناح الفقراء! إتصلوا بهم، إعطفوا عليهم، وتصدقوا بأموالكم! وستجزون بأحسن مما تقدمون. إنكم تعطون من خيرات الدنيا، وتتالون من الخيرات والحسنات الروحية. شاركوا في رفع شقاء البؤساء والمعذبين والمحرومين، وسيجازيكم الله بأحسن ما لديهم من خيراتهم الروحية.

هذا ما أقوله بشأن مساعدة الفقراء. وبقي لي أن أكرّر على مسامعكم قول الرسول: «سعيد من يدرك احتياجات البؤساء والمعسرين». ولا يكفي، أيها المسيحيون، أن تفتحوا عيون أجسادكم على الفقراء، ولكن ينبغي أن تنظروا إليهم بعيون قلوبكم وعقولكم. لأن من ينظر إليهم بعين الجسد، لا يرى إلا مشاهد الأزدراء: ومن يشاهدهم بعيون الإيمان والقلب والعقل يشاهد فيهم صورة المسيح (عليه السلام)، ويشاهد فيهم مواطني ملكوت المسيح (عليه السلام)، يشاهد أبناء كنيسته الأوفياء، من ينشرون بركاته على الأرض، ومن سيرون وعوده تتحقق.

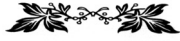
(1) ج. ب. بوسوي (1627 - 1704) من خطبة له حول «كرامة الفقراء».

(2) الأناجيل.

إخواني، إفتحوا عيون قلوبكم على «مدرسة بنات الرعاية الإلهية»! ساعدوها بخيراتكم وصدقاتكم! ولو أنني سألتكم صدقة لشخص بمفرده لسهل الأمر عليكم؛ ولكنني الآن أرفع صوتي باسم مدرسة ممتلئة بعدد كبير من الفتيات الفقيرات المهجورات المهملات. وهل أحتاج إلى تذكيركم بالخطر الذي يترصدهن إذا بقين مهملات يَجْبَنَ الشوارع؟ إن حياءهن وشرفهن سيتحطم، مثل المركب الصغير الذي يغرق عندما تصدمه أوَّلُ صخرة في عرض البحر.

إخواني، أرجو أن تزوروا هذه المدرسة، وتتعرفوا على احتياجات هؤلاء البنات، وإذا لم تصدم قلوبكم وتحرك عواطفكم تلك الظروف القاسية التي يعيش فيها، فإنني إخواني، لا أعرف أيّ ظروف أخرى يمكن أن تُدخل على قلوبكم مشاعر الرحمة والشفقة.

حول خصائص الشعب الروماني⁽¹⁾



يلاحظ أن بعض الشعوب لا ترضى بسلسلة نسبها الغامضة، وبمنشئها المتواضع، فتلجأ إلى الأساطير والحكايات الخرافية لترفع من شأن نسبها وتمجيد تاريخها. ومن طبع الناس الغرور فيسعون لتغطية نقائصهم. وهذا ما نجده في الغزاة والقواد ومؤسسي الدول، ممن يعملون لإثبات أمجادهم وإخفاء عيوبهم.

وهذا ما جعل بعض القدماء ينتمون إلى عدد من الآلهة، ويزعمون أنهم من ذريتهم، ويستمدون منهم الرعاية والحماية. وقد استغل كثير من القدماء حكايات خيالية وخدعاً ذكية أضفت على أشخاصهم قدسية، وجعلت الناس يخضعون لسلطانهم.

ولم يكن الرومان منزهين عن مثل هذا الغرور، فلم يكتفوا بالانتساب إلى فينوس (إلهة الحب والجمال) عن طريق الأمير الطروادي إنياس بن فينوس، بل جددوا انتسابهم إلى الآلهة بحكاية رمولوس الذي زعموا أنه ابن مارس إله الحرب⁽²⁾.

أما نوما (Numa) الذي خلف رومولوس فلم يكن له أي نسب مقدس من بني جنسه، لذلك يروى أنه اتبع أسلوب حياة قدسية وهبته

(1) Saint - Evremond (1613 - 1703).

(2) رومولوس المؤسس الأسطوري لمدينة روما (مع أخيه روموس). وقد جعل الرومان من رومولوس إلهاً بعد وفاته.

صلوات مباشرة مع الإلهة إيجيريا⁽¹⁾، وقد مكنته هذه العلاقة من توطيد سلطانه وشهرته.

وأخيراً، إذا صدقنا الأساطير والحكايات، يبدو وكأن همَّ الأقدار كان ينحصر في إنشاء مدينة روما، لدرجة أن عناية إلهية خاصة قررت أن تمنح ملوكها ميزات وسجايا ملائمة لتخليد شعب روما.

إنني أبغض مشاعر الإعجاب والغرور المبنية على حكايات وأحكام خاطئة. فهناك أشياء ووقائع كثيرة لدى الشعب الروماني تستحق التقدير والإعجاب، من غير أن نصدق تلك الأساطير التي تحاول أن تجعل منه شعباً متميزاً. والواقع أننا نقدم للشعب الروماني خدمة جليلة عندما ننزع من تاريخه اعتبارات الغرور المبنية على المظاهر والأخطاء التاريخية.

وهدفى هو أن أنجز تقييماً واقعياً للشعب الروماني، من غير أن أخضع للآراء الزائفة والحكايات التافهة التي تركها القدماء. وسأحاول ألا يكون عملي مملاً، وألا أشغل نفسي بكثير من التفاصيل، بل سأكتفي بالخصوصيات والحوادث الهامة التي تستحق أن يتذكرها الإنسان؛ وسأتحدث كذلك عن الروح المتميزة التي دفعت الشعب الروماني إلى الأمام خلال قرون طويلة.

(الفصل الأول)

* * * * *

(1) Egéria، الجنية التي يروى أنها كانت تمدّه بالنصائح.

حوار⁽¹⁾



.....

- أداريو: ماذا ؟ دون معرفة الإله الحقيقي؟ هل أنت تحلم؟ هل تظننا بدون عقيدة، بعد أن أقمت كل هذه المدة بيننا؟

1 - ألا تعلم أننا نعترف بخالق هذا الكون وندعوه «مبدع الحياة والروح العظمى»؟ ونعتقد بأننا نعيش في كون لا حدود له، ونؤمن بخلود الروح.

2 - ونعتقد بأن الروح العليا وهبتنا عقلاً نميز به بين الحق والباطل، وبين السماء والأرض، والهدف هو أن نتبع بدقة وأمان التعاليم الحقيقية للعدل والحكمة.

3 - ونعتقد أن طمأنينة الروح وسكينتها تسرّ الروح العليا، وفي المقابل يزعج هذه الروح السامية، مبدع الكون، أن تقلق أرواحنا وتشقى في هذه الحياة، خاصة وأن هذا الشقاء يتسبب فيه المفسدون من البشر.

(1) لويس دي لاهوتتان (1666 - 1715).

هذه نبذة من حوار بين المؤلف والرجل «المتوحش» أَدَارِيُو، وهي تمثل جواب الرجل «المتوحش» على المؤلف.

4 - ونعتقد أن الحياة ليست سوى حلم عابر، وأن الموت هو اليقظة الحقيقية. فبعد الموت تشاهد الروح الطبيعة وتدرک جوهر الأشياء المرئية والخفية.

5 - وأن قدرة روحنا لا تمتد إلى أبعد من مساحة كوكبنا هذا، لذلك ينبغي ألا نفسدها بسعينا وطموحنا إلى إدراك الأشياء الخفية والحوادث غير المحتملة.

هذه هي ، أخي العزيز، باختصار عقيدتنا التي نتمسك بها. ونحن نعتقد كذلك أننا، بعد الوفاة، سننتقل إلى عالم الأرواح. غير أننا لا نعتقد مثلكم بضرورة وجود إقامة صالحة للأرواح الطيبة، وإقامة سيئة للأرواح الشريرة؛ لأننا في عقيدتنا لا نعرف ما إذا كان ما يعتبره البشر شرا، هو شرٌّ كذلك بالنسبة لخالق الكون: الروح السامية.

وإذا كانت عقيدتكم تختلف عن عقيدتنا، فهذا لا يعني أننا لا دين لنا. ولعلكم تذكرون أنني زرت فرنسا وكندا.. ودرست عادات الإنكليز والفرنسيين وتعاليمهم الدينية. وعرفت أن اليسوعيين، على سبيل المثال، يقولون أنه من مجموع خمس أو ستمائة عقيدة على وجه البسيطة، لا توجد إلا واحدة صالحة هي عقيدتهم؛ وأنه من دونها لا ينجو مخلوق من عذاب جهنم، بل يساق الجميع إلى نار الجحيم خالدين فيها إلى الأبد. غير أن اليسوعيين لم يقدموا لي من البراهين ما يقنعني.

الطبع⁽¹⁾



الطبع هو ما دوّنته الطبيعة في نفوسنا ورسمته على سلوكنا. فهل يستطيع الإنسان أن يغيره؟ هذا سؤال كبير. إذا كان لي أنف كبير، وعينان كعيني القط، يكون بوسعي أن أخفيها بقناع. فهل أستطيع أن أفعل مثل ذلك بطبعي.

قد يحد الدين أو الأخلاق من صفة العنف الذي خلقتة الطبيعة في المخلوقات؛ غير أنهما لا يستطيعان أن يمحواه نهائياً. كبر السن يحد من عنف الطبع، وقد يصبح المسن مثل شجرة لا تنتج إلا قليلاً من الفاكهة السيئة، ولكن الشجرة تظل شجرة تفاح أو خوخ أو رمان. ولو استطاع الإنسان أن يغير طبعه وطبيعته لأصبح سيّد الطبيعة.

حاول أن تجعل من الكسول رجلاً متواصل النشاط، وأن تجعل صاحب الطبع الحادّ المندفع ذا طبع هادئ فاتر، وأن تعلم الموسيقى لمن لا موهبة له.. فإنك لا تنجح في ذلك إلا كمن يحاول أن يعيد البصر إلى شخص ولد أعمى. قد ننجح في تحسين ما وهبتنا الطبيعة، أو تخفيفه وتلطيفه، أو إخفائه، ولكننا لا نستطيع أن نمحوه نهائياً.

تقول للمزارع: إن القطعان الموجودة في مروجك كثيرة، وسينقص

(1) المقتطفات التالية للأديب والفيلسوف فولتير.

الكأ وتضعف الحيوانات، فلا يبالي بذلك. ولنفرض أن ذئبًا ظلت تهجم على القطيع فتناقص عددها، فإن حاله سيتحسن. وأنت مثل هذا المزارع، فقد تتغلب إحدى مشاعرك على غيرها فتظن أن حالك قد تحسن. أفلا يشبه معظمنا حال ذلك الضابط العجوز الذي لقي مجموعة من الضباط الشباب يتسامرون مع بعض الفتيات، فقال لهم: أيها الجنود، أهذا هو المثل الذي أوحيت به إليكم؟

* * * * *

حب الذات



كان رجل يتجول في ضواحي مدريد، يسأل الناس الإحسان؛ فقال له أحد المارة: ألا تخجل من سؤال الناس وأنت قادر على العمل؟ فأجابه المتسول: يا سيدي طلبتُ منك المساعدة، لا النصيحة. ثم أدار له ظهره محتفظاً بكرامته.

وكان أحد المبشرين يتجول في الهند، فشاهد درويشاً مكبلاً في السلاسل، عارياً مثل القرد، مستلقياً على بطنه، ورجل آخر يجلد به بحة أنه يتحمل ذنوب كل من يقدم له بضعة قروش. فقال أحد المارة: يا لها من تضحية بالنفس. فأجابه الدرويش: إنما أفعل هذا لمصلحتي؛ واعلم أنني أتحمل هذا الجلد في هذه الدنيا لأرده إليكم في الحياة المقبلة، عندما تصبحون خيولاً، وأنا الفارس الذي يمتطيكم.

والخلاصة أن من يقولون أن حبّ الذات هو أساس جميع مشاعرنا وتصرفاتنا على صواب، في أسبانيا، في الهند، وغيرهما من البلدان. وكما أننا لا نكتب شيئاً لنثبت لشخص أنه له وجهاً، كذلك لا حاجة لأن نبرهن لشخص أنه يحب ذاته. فحب الذات هو الوسيلة التي تساعدنا على البقاء؛ وهو مثل الوسيلة التي تساعد على استمرار الجنس. وهو شيء ضروري وممتع، ينبغي أن نخفيه ونحافظ عليه، ونحسن استغلاله.

حدود الفكر



هل تودّ أن تعرف كيف يطيع ذراعك ورجلك إرادتك؟ ولما لا يطيع
كبدك وقلبك إرادتك؟ هل تبحث عن معرفة كيف تتكون الأفكار داخل
دماغك؟ وداخل جسد ذلك الطفل في بطن أمه؟ كم يلزمك من الوقت
لتجيبني؟

ما هي المادة؟ لقد كتب أهل المعرفة عشرات الآلاف من الكتب
حول هذا الموضوع؛ واكتشفوا بعض خاصيات هذه «المادة»، ويعرفها
الأطفال كما تعرفها أنت.

ولكن ما جوهر هذه المادة؟ وما هو الشيء الذي نسميه «الروح»؟
والكلمة من أصل لاتيني تعني «النفس».

أُنظِرْ إلى حبة القمح التي أرميها في التراب، وقل لي كيف تصعد
فوق التراب، لتصبح قصبية، ثم تنتج سنبله؟ واخبرني كيف تنتج التربة
نفسها شجرة تحمل التفاح، وإلى جانبها شجرة تحمل القسطل؟ وهكذا
بوسعي أن أطرح عليك ألف سؤال وسؤال، ولا يكون بوسعك أن تجيبني
إلا بكلمتين: «لا أعرف».

ومع ذلك فأنت مثقف، حصلت على شهادات، ويدعوك الناس:
«يا أستاذ». ومثلك ذلك الوقح الذي اشترى وظيفة، وأصبح يحكم

الناس، أو يحكم بينهم، أو يحكم عليهم من غير أن يستمع إلى آرائهم! لقد كان شعار الأديب مونتيني «ماذا أعرف»، فليكن شعارك أنت «ما أعظم جهلي»!

زيف الفضائل



كتب الدوق لاروشفوكو مقالاته عن «حب الذات»، وكشف القناع عن حوافز الإنسان الحقيقية. وألف السيد إسبيري كتاباً عنوانه: «زيف الفضائل البشرية»، يقول فيه: لا توجد فضائل لدى الإنسان» ولكنه كان في نهاية كل فصل من كتابه، يشير إلى المحبة والإحسان في العقيدة المسيحية.

وحسب رأي السيد إسبيري، لم يوجد في التاريخ من يستحق أن يوصف بأنه من ذوي الفضل والخير والإحسان. وهو يرى أن هذه الفضائل لا توجد إلا لدى المسيحيين؛ ومن بين هؤلاء لا توجد إلا لدى الكاثوليك؛ ومن بين الكاثوليك يستثنى الفئات اليسوعية، لأنهم أعداء الجمعيات التقوية المعروفة باسم Les Oratoriens⁽¹⁾ وبالنتيجة يرى إسبيري أن تلك الفضائل لا توجد إلا لدى أعداء اليسوعيين.

ويقول إسبيري بأن «الحذر» ليس من صفات الفضيلة، وحجته في

(1) الجمعيات المسيحية التقوية التي أسسها القديس فليب نيري في روما، سنة 1575.

ذلك أن صفة الحذر كثيراً ما تستغل للمخادعة. وهذا كمن يقول بأن يوليوس قيصر لم يكن قائداً عظيماً لأنه انهزم في معركة ديراكيوم. ولو كان إسبيري فيلسوفاً لما بحث صفة الحذر على أنها فضيلة، بل بصفتها «موهبة». ألا نلاحظ من بين المجرمين من هم شديدي الحذر؛ وقد عرفت الكثير عنهم. فيالحماقة من يقول: «لا توجد الفضائل إلا في صفوفنا، وفي صفوف أصدقائنا».

ولكن، ما هي الفضيلة يا صديقي؟ هل هي فعل الخير، وكفى.

الحق والباطل



من زرع في نفوسنا الشعور بما هو حق وما هو باطل؟ الله الذي رزقنا الدماغ والقلب. ولكن متى يلهمك عقلك إلى ما هو خير وما هو شر؟ عندما يعلمنا بأن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة. والواقع أنه لا توجد معرفة فطرية بنفس منطق الحياة الذي لا يجعل الشجرة تخرج من الأرض بأوراقها وزهورها وثمارها.

إذا لا يوجد ما يخلق منذ نشأته الأولى مكتملاً، ناضجاً، متطوراً ولكن الله جعلنا نولد باستعدادات داخلية، تساعد مختلف الأعضاء على النمو تدريجياً. وكلما ازداد نموها تزداد خبرتنا وشعورنا بما ينبغي لجنسنا أن يعرفه من أجل المحافظة على استمرار الحياة.

فكيف يحدث هذا السر المتواصل؟ أخبروني يا سكان الجزر
النائية، ويا سكان إفريقييا، وكندا؛ وأنتم يا أفلاطون، وشيشرون،
وإبكتاتوس... هل تشعرون أنتم كذلك أنه من الأفضل أن تقدموا ما زاد
عن حاجتكم من طعام وقمح وأرز إلى الفقراء الذين يسألونكم
الإحسان بتواضع، من أن تقتلوهم، أو تفقأوا عيونهم؟ أليس واضحاً
لجميع سكان الأرض أن فعل الخير أفضل من فعل الشر؟ وأن الرحمة
والإحسان وحسن المعاملة أفضل من العنف والفساد والعدوان؟

قد تخلط مشاعرنا بين الخير والشر، والحق والباطل، فمن
يرشدنا عندئذ؟ ألا تساعدنا عقولنا على التمييز بين الصادق المهدب
الأمين، وبين الشرير المعتدي الأثيم؟ بوسعنا أن نرشد أنفسنا عندما
نهدأ ونتأمل ونتعلم، فنجد أن جميع من كتبوا عن واجباتنا، كتبوا
بعقولهم ومعارفهم وتجاربهم؛ وقالوا لنا الشيء نفسه. فقد تحدث
سقراط وأبيقور وكونفوشيوس وشيشرون ومارك أنطونين وغيرهم عن
الأخلاق بالطريقة نفسها. ذلك أن الأخلاق واحدة، لأنها تأتي من وحي
الإله. أما تعاليم العقائد فقد تختلف إذا تدخل فيها الإنسان.

ألا تروا أن السيد المسيح (عليه السلام) لم يعلمنا أية عقائد
ميتافيزيقية؛ ولم يدون أية صحف لاهوتية؛ ولم يقل «بأنه مشارك في
الجوهر أو في الطبيعة؛ ولا بأن له إرادتين أو طبيعتين مجتمعتين في
شخصه» بل ترك لرهبان الفرانسيسكان، ورهبان اليعقوبيين الذين
جاءوا بعده باثني عشر قرناً مهمة التناقش حول مبادئ عقائدية
مسيحية... ولم يقل المسيح أبداً بأن الزواج عملية ظاهرة لعلاقة غير

ظاهريّة؛ ولم يقل شيئاً عن الرعاية والمصاحبة؛ ولم ينشئ رهبانية؛ ولم يوص بمحاكم التفتيش؛ كما لم يوص بأيّ شيء مما نشاهد من البدع في أيامنا هذه.

لقد وهب الله للبشر موهبة معرفة الخير والشر، والحق والباطل في جميع الحقب التي سبقت المسيحية. والإله سبحانه لم يتغير، ولن يتغير، ولذلك فإن جوهر أرواحنا، وجوهر عقولنا، ومبادئ أخلاقنا تبقى كما هي على الدوام. وماذا تستفيد الفضيحة من الاختلافات اللاهوتية، ومن العقائد المبنية على هذه الاختلافات؛ ومن الاضطهادات المبنية على هذه العقائد المتضاربة؟

إن الرعب والوحشية أثارا الطبيعة، فثارت صارخة في وجه تلك الأعمال اللاإنسانية؛ وضد جميع تلك الاختراعات والبدع البربرية؛ وها هي اليوم تصيح: أيها البشر، كونوا قوامين بالحق، منصتين لصوت العدل؛ ولا تكونوا من السفسطين الذين يضطهدون غيرهم.

أذكركم بحكمة قديمة من حكم زرادشت تقول: «إذا لم تتيقنوا من عمل ما هو حق أم باطل، خير أم شرّ، فلا تقدموا عليه» إنها لحكمة رائعة ومبدأ حكيم.

* * * * *

حول الحرية



أ - هذه بطارية مدفعية تصعق آذاننا بطاقتها المدوية؛ فهل لك الحرية في أن تسمع دويها المزعج، أو لا تسمعه؟

ب - لا حرية لي في الأمر، ولا اختيار لي إلا أن أسمع هذا الدوي المزعج.

أ - وهل تريد أن يصيبك أحد هذه المدافع فيقتلك وزوجك وابنتك اللتين تسييران إلى جانبك؟

ب - يا له من سؤال! طبعاً لا أريد ذلك، ما دام عقلي يسكن دماغي.

أ - إذاً، فأنت لا تريد أن تسمع دوي المدافع، ولا تريد أن تموت، لا أنت ولا عائلتك بضربة مدفع. ولكن ليس لك الخيار في ألا تسمع دوي المدفع، ولا تستطيع أن تبقى في هذا المكان معرضاً للخطر؟

ب - أجل ، هذا صحيح.

أ - ولو كنت مقعداً، عاجزاً عن الحركة، لكنت مضطراً لسماع دوي المدفع، ولربما أصابتك قنبلة فقتلتك.

ب - وهذا كلام منطقي كذلك.

أ - فما حريتك في هذا الحادث إلا القدرة التي تمكنك من فعل ما تطلبه إرادتك في حالة ضرورة قصوى، هي الفرار من خطر المدفع.

ب - لقد حيّرتني. فليست حرية المرء إذا سوى القدرة على فعل ما يرغب في فعله؟

أ - فكر! وقدّر ما إذا كانت الحرية تعني شيئاً آخر غير ذلك.

ب - في هذه الحالة، فإن الكلب الذي أصطاد به يتمتع بنفس الحرية مثلي. فله الإرادة في أن يجري عندما يشاهد أرنباً، والقدرة على الجري إذا كانت ساقه خالية من الألم. فأنا لا أملك أكثر مما يملك كلبى؛ وأنت بهذا تجعلني في حالة الحيوانات!

أ - هذه هي منطقيات المساكين من السفسطائيين الذين علموك. فأنت تستاء لأنك حرّ مثل كلبك! لماذا؟ ألا تشبهه في عدد من الضروريات الأخرى؟ في الجوع والعطش والسهر والنوم والألم والحواس الخمسة؛ أم تود أن تشمّ بغير أنفك؟ ولماذا تريد أن تكون حرّيتك غير حرّيته؟

ب - ولكنني أتمتع بعقل يفكر، لا يوجد لدي كلبى.

أ - إذا حرّيتك أوسع من حرّيته ألف مرة، ولكن يظل شريكك في الحرية.

ب - أريد أن أتزوج.

أ - لماذا؟

ب - لأنني أحبّ فتاة مثقفة، لطيفة، ثرية، تحسن الغناء...

أ - هذه أسباب وجيهة. ألا ترى أنك لا تستطيع أن «تريد» من غير أسباب معقولة؟ إذا أنت «حرّ» لتتزوج، أعني أن لك القدرة للتوقيع على عقد الزواج.

ب - ماذا تقول؟ لا أستطيع أن «أريد» دون أن يكون لي سبب معقول؟ وما معنى المثل القائل: إرادتي هي سبب فعلي».

أ - هذا قول غير سليم، يا صديقي، لأنك عندئذ تجري نحو النتائج بدون مسببات.

ب - كأنك تقول لي مرة أخرى إنني لست حرّاً في تصرفاتي؟

أ - أنت لست حرّاً في إرادتك؛ ولكنك حرّ في أفعالك، أعني أنك حرّ في أن تفعل، أو لا تفعل، عندما تملك القدرة على ذلك.

ب - ولكن ما فائدة جميع الكتب التي قرأتها عن موضوع حرية تساوي الإمكان في الفعل وعدم الفعل؟

أ - تلك مجموعة حماقات: لا توجد حرية تساوي الإمكان في الفعل وعدم الفعل. إنها عبارة لا معنى لها؛ اخترعها أشخاص هم أنفسهم لم تكن لديهم تلك الحرية.

الحس المشترك



كانت عبارة "Sens Commun" لدى الرومان تعني ليس فقط «الحس المشترك»، بل كذلك «الإنسانية، والحساسية». وهي لدينا اليوم تفيد «الرشاد، الإحساس بالأشياء المشتركة بين الناس، الفهم السليم». ولكن من أين جاء معنى هذه العبارة؟

عرف الناس منذ القدم أنه لا شيء يصل إلى الفكر إلا عن طريق الحواس، ولذلك استعملوا كلمة «حس» لتعني التفكير المشترك بين الناس. ولكن نلاحظ أن بعض الناس يفكرون تفكيراً سليماً في قضايا معينة، ويكون تفكيرهم خاطئاً في أمور أخرى، فينحط إلى ما دون مستوى التفكير أو الحس العام. ولعل السبب هو أنهم في الحالة الأولى يقيسون الأمور ويحكمون عليها بحواسهم وعيونهم؛ وفي الحالة الأخرى يحكمون عليها بعيون الآخرين...

الفضيلة



ما هي الفضيلة؟ هل هي فعل الخير والإحسان للآخرين؟ وهل أستطيع أن أسمي «فضيلة» عملاً لا يقدم لي خيراً؟ أنا فقير، وأنت كريم؛ أنا في خطر، وأنت تنهض لمساعدتي، تراني بين أشخاص

يخدعونني فتتقذني؛ يهملني الناس، فتواسيني؛ أنا جاهل، فتعلمني؛ وهكذا أسميك رجلاً «فاضلاً» دون تردد. ولكن ماذا عن الفضائل الأساسية والعقائدية التي يبقى جُلُّها مكدساً في كتب المدارس؟

ماذا يهمني أن تكون معتدلاً في حياتك؟ فأنت بذلك تتبع مبادئ صحية تفيدك، أهنتك على ذلك. أنت رجل تقيّ وقلبك مفعم بالإيمان، أقدم لك مزيداً من التهاني: سيكتب لك الخلود. إن فضائلك العقائدية هبة من الله؛ وفضائلك الأساسية الأخرى تساعدك في سلوكك الخاص. ولكن هذه وتلك ليست فضائل بالنسبة لمن حولك من الناس. فالرجل الواعي يفعل الخير لنفسه؛ والرجل الفاضل يفعل الخير لغيره؛ وبين الإثنين فرق كبير. وقد صدق القديس بولس عندما قال: إن الإحسان يعلو على الإيمان».

فهل لا نتبنى إلا الفضائل التي تفيد الآخرين؟ ولماذا أتبنى الفضائل الأخرى؟ إننا نعيش في مجتمع؛ وعلى هذا لا يوصف مواطن بأنه فاضل إلا إذا فعل ما فيه خير المجتمع وصلاحه. فالرجل المنعزل قد يكون تقياً، عادلاً، قانعاً، يرتدي ثوب النساك؛ ويمكن أن تمنحه صفة «قديس»، ولكن لا تمنحه صفة «الفاضل»، إلا إذا أنجز عملاً خيراً يستفيد منه الآخرون. وما دام هذا الشخص منعزلاً، فهو ليس من أهل الخير والفضيلة، بل هو لا شيء بالنسبة للمجتمع.

إذا كان القديس برونو قد عمل على إحلال السلام داخل الأسر، وساعد الفقراء والبؤساء، فقد أصبح من أهل الفضيلة؛ وإذا كان قد صلى وصام وتعبد، فقد أصبح قديساً. فالفضيلة بين الناس هي تجارة

الأعمال الخيرية؛ ومن ليس له مشاركة في الأعمال الخيرية لا يدخل في حساب الفضيلة.

وقد تقولون: إذا عاش رجل منعزلاً، وكان جشعاً، سكيراً، يتعاطى جميع أشكال الفساد في خلوته، نقول عنه إنه شرير. فلما لا نقول عنه أنه «فاضل» إذا انعزل، واتصف بعكس المساوي المذكورة؟ وهذه فكرة لا توافق رأيي. فالأول شرير، إذا ثبتت عليه المساوي التي ذكرتموها، ولكنه لا يستحق العقاب لأن مفسده لا تلحق ضرراً بالمجتمع. ومن المحتمل جداً أنه إذا عاد إلى الاندماج في المجتمع أن تتضاعف عيوبه ومفسده. أما بالنسبة للرجل المنعزل، التقى المعتدل، القانع.. فمن المحتمل أن تقل صفاته الحميدة إذا عاد إلى الاندماج في المجتمع. لأنه من الملاحظ أن الصفات السيئة تتكاثر وتتمو إذا وجدت ضمن المجتمع؛ وعلى عكس ذلك أن الصفات الحميدة تتناقص داخل إطار المجتمع.

التعصب الأعمى



التعصب بالنسبة للخرافات والمعتقدات الزائفة، يشبه الهديان بالنسبة للحمى. فالشخص الذي يرى التخيلات والرؤى، وتستولى عليه نشوات الذهول والإفتتان، وشطحات الإنتشاء والوجد الحماسي، ومن يعتبر أحلامه حقائق، وتخيلاته تنبؤات.. يعتبر شخصاً طائشاً، غارقاً في الهديان والأوهام. أما الشخص الذي يدافع عن حماقاته وجنونه بالعنف والقتل، فهو متعصب أعمى.

وهناك فئة من المتعصبين ينفذون مهنة القتل بهدوء وتمهل، هم فئة القضاة الذين يحكمون بالموت على رجال لمجرد أنهم لم يتبنوا آراءهم ومذاهبهم. ومما يزيد في إجرام هؤلاء القضاة أنهم يصدرون أحكامهم بالموت وهم في حالة نفسية هادئة تمكنهم من أن يستمعوا إلى كلمة الحق والعدل.

عندما يستولى التعصب الأعمى على عقل شخص، ويفرخ في دماغه، يصبح في عداد المرضى نفسياً، ويصعب علاجه. وقد شاهدت بعض من يصابون بالتشنجات والانتفاضات والإختلاجات الجسدية والنفسية أثناء استغراقهم في الشعائر، ولاحظت كيف كانت حرارة اختلاجاتهم ترتفع تدريجياً: كانت عيونهم تحمرّ، وأوداجهم تنتفخ، وعضلاتهم ترتعش، وكان الحماس الشديد يشوه ملامح وجوههم كلما ازداد هيجانهم؛ وكانوا في تلك الحالة على استعداد لقتل أيّ شخص ينكر عليهم أفعالهم.

ولا يوجد إلا علاج واحد لداء التعصب الأعمى المعدي، وهو أن يسقي المريض بالتعصب (وأهله وأصدقائه وجيرانه ومن حوله) من معين الحكمة والفلسفة الروحية. فقد ثبت أنها تلطف من حدة العادات المتطرفة وتسدّ منافذ العنف والشرور.

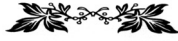
وتجدر الإشارة إلى أن القوانين والتعاليم العقائدية قد لا تكفي لعلاج النفوس المريضة بالتعصب. بل كثيراً ما تتحول هذه التعاليم إلى سموم تفتك بعقول من تبناها وتطرفوا في تفسيرها. وكان من المفروض أن تستغل تلك التعاليم الروحية لتكون غذاءً صحيحاً للعقل

البشري. ذلك أن الفئات المتطرفة المتعصبة لا تأخذ من تاريخ العقائد إلا الأمثلة السيئة، ولا تنظر إلا إلى الحوادث الدموية والأفكار المثيرة للفتنة. فهم يلجأون إلى تبرير أفعالهم بأمثلة مزيفة من العقائد نفسها التي تدينهم، وتستتكر تعصبهم.

ومما يجعل القوانين عاجزة أمام من يتدعون بالتعصب الأعمى أنهم يزعمون أن «روحاً قدسية» تسربت إلى عقولهم، وهي عندهم نوع من الإلهام الذي يعلو على القوانين، ويجعلون من حماسهم المتطرف القانون الوحيد الذي ينبغي أن يخضع له الناس. وما تقول لرجل يقول لك: أنا أفضل أن أطيع أوامر الله، بدلاً من أوامر البشر؛ وهو يعتقد جازماً أنه سينال رضى الله عندما يدمر الأعداء.

ويبدو أنه لا توجد إلا عقيدة واحدة لم تتسرب إليها الأفكار التعصبية، هي تعاليم الفلسفة الصينية؛ بل كانت تصف العلاج لهذه الأفكار المتطرفة، وتهدف إلى جعل النفوس مطمئنة هادئة راضية. والتعصب لا ينسجم مع الهدوء والاطمئنان. وإذا كانت عقيدتنا المقدسة (المسيحية) قد عانت في ظروف كثيرة من مساوئ التعصب والوحشية الجهنمية، فإن المسؤولية تقع على عاتق جنون معتققيها وحماقاتهم.

جميع الكائنات في تحول مستمر⁽¹⁾



جميع الكائنات في تحول مستمر، تتداخل وتتدفق ذراتها بعضها في البعض الآخر؛ وجميع الأجناس تتغير أشكالها، ولكنها تسير نحو هدف واحد. فكل حيوان هو تقريباً إنسان؛ وكل معدن هو تقريباً نبات؛ وكل نبات هو تقريباً حيوان؛ فلا يوجد شيء ثابت مستقر ومحدد في الطبيعة. فكل شيء هو تقريباً شيء آخر، أي شيء؛ فهو تقريباً تراب؛ تقريباً ماء؛ تقريباً هواء؛ تقريباً نار؛ تقريباً من هذه المملكة من ممالك الطبيعة، أو تلك المملكة الأخرى؛ من هذا العالم أو ذاك.

وبالنتيجة، لا توجد مادة أو عنصر هو من جوهر أو ماهية كائن محدد؛ فلا توجد أية نوعية خاصة من المادة لا يشارك فيها أي كائن آخر. فكيف تتحدثون، أيها الفلاسفة المساكين، عن الفردية؟!

ألا توافقون على أن كل شيء في الطبيعة مترابط، متداخل، ومتواصل، وأنه لا يوجد فراغ في السلسلة؟ فماذا تعنون بقولكم «الفرد والفردانية»؟ فلا توجد أفراد منعزلة، بل إنما هي فرد واحد كبير، هو الكل.

وفي هذا «الكل»، كما هو الحال في الآلة، في الحيوان.. يوجد جزء تسمونه كذا أو كذا..؛ وإنما عندما تطلقون اسم «فرد» على هذا

(1) دنييس ديدرو (1713 - 1784) : حلم دالمبير.

الجزء من الكل الكبير، إنما تتبعون مفهوماً خاطئاً، فكأنكم تطلقون اسم «فرد» على جناح طائر، أو على ريشة من جناحه.

وتواصلون الحديث، أيها الفلاسفة المساكين، عن الجوهر، والكنه، والماهية، والخاص، والفردية..؛ وأنت أيها الفيلسوف العظيم، أركيتاس⁽¹⁾، من تكون غير حفنة من تراب. وما هو الكائن؟ إنه خلاصة مجموعة من المستهدفات المتغيرة. وهل بوسعي أن أكون غير هدف يسير نحو هدف؟

والأجناس المختلفة؟ أليست هي الأخرى إلا مستهدفات تسير نحو نهاية متحولة مشتركة؟ والحياة؟ ما هي الحياة؟ مجموعة من الأفعال، وردودها؛ ففي الحياة أقومُ بأفعال ككتلة؛ وميتاً أقومُ بأفعال، وأخضع لتفاعلات جزئيات وذرات.. فأنا لا أموت، كلاً! لا أموت بمعنى الفناء، لا أنا، ولا أي كائن آخر؛ لأن الميلاد، والحياة ومغادرة الحياة.. ليس سوى تحول يطرأ على الأشكال.

وما يهم هذا الشكل أو ذاك؟ فكل شكل له من السعادة والشقاء ما يناسبه.. انطلاقاً من الفيل إلى اليرقة، ومن اليرقة إلى أصغر جزئية حساسة، أو ذرة، هي الجوهر المشترك بين جميع الكائنات؛ فلا يوجد عنصر، مادة.. في الطبيعة، لا يتمتع ولا يتألم، ولا يتجمع، ولا يتحلل، ولا يتفرق، ولا يتحول.

* * * * *

(1) Archytas، عالم وفيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، واشتهر بأعماله في الرياضات والهندسة.

أزمة الروح⁽¹⁾



ها نحن قد عرفنا الآن أن أوروبا المتحضرة معرضة للزوال هي الأخرى. وقد سمعنا كثيراً عن عوالم أندثرت بكاملها، وعن إمبراطوريات انقرضت برجالها ومعداتها، وغابت في أعماق القرون الغابرة بآلهاتها، وقوانينها، ومعاهدها، وعلومها النظرية والتطبيقية، وبقوامسها ونقادها، ونقاد نقادها...

نعلم أن سطح الأرض مغطى برماد المخلوقات؛ وأن هذا الرماد يعني شيئاً هاماً بالنسبة لنا. فنحن نشاهد، من خلال كثافة التاريخ، أشباح البواخر المشحونة بالأرواح والثروات والمعدات. لا نستطيع أن نعدّها؛ وهي حوادث على أيّ لم تكن تهمنا، وقد ابتلعتها البحار.

عيلام، نينوي، بابل، كانت دُولاً شهيرة، ثم اندثرت، ولم تكن تهمنا هي الأخرى. ولكن فرنسا، إنكلترا، روسيا... ستصبح كذلك أسماء، مجرد أسماء لدول شهيرة. وكذلك كانت «لوسيتانيا⁽²⁾» اسماً جميلاً. وها نحن نعرف الآن أن أعماق التاريخ تتسع للجميع؛ ونشعر أن الحضارة، مثل أيّ حياة أخرى، معرضة للاندثار.

وإن الدرس الخطير لأشد من ذلك بكثير، لأن جيلنا لم يتعلم من

(1) بول فاليري (1871 - 1945).

(2) سفينة أمريكية أغرقها الألمان سنة 1915.

تجاربه أن أجمل الأشياء، وأقدمها وأعظمها تنظيمًا وصناعة، جميعها معرضة للاندثار بطريق الصدفة، فجأة. ومع هذا فقد عاش جيلنا حوادث كارثية، وعاش مفارقات غريبة، وأنشأ منجزات عجيبة، وشاهد وقائع عنيفة تخيب الآمال.

وسأكتفي هنا بالإشارة إلى مثال واحد: إن المزايا العظيمة التي يتصف بها الشعب الألماني تسببت في شرور ومفاسد تفوق كثيراً ما تسببت فيه البطالة. ولقد شاهدنا بأعيننا كيف أن العمل المتقن، والتعليم الجدي، والتربية الرصينة.. جميعها استغلت لتحقيق أهداف رهيبة وشريرة.

وكل ما شاهدنا من أعمال مرعبة ما كانت لتتحقق لولا تلك المزايا و«الفضائل» التي تمتاز بها بعض الشعوب. فلا شك أن الأمر تطلب منهم كثيراً من العلوم والتكنولوجيا ليتمكنوا (يعني الألمان) من قتل ذلك العدد الرهيب من البشر، وتدمير جميع تلك المنشآت والمدن والخيرات في وقت قصير. وكذلك تطلب الأمر قدرًا كبيرًا من الأفكار والقيم الأخلاقية الخاصة.

أفلا يحق للبشر، والحال هذه، أن يثيروا كثيراً من الشكوك حول العلاقة بين العلم، والواجب، والحياة؟

* * * * *



مقتطفات من الأدب الألماني

حول الأسلوب⁽¹⁾



الأسلوب يكشف مزاج الفكر، وهو دليل أمين على خلق الكاتب. ومن يقلد أسلوب شخص آخر كأنه يضع قناعاً على وجهه. والقناع لا حياة فيه، لذلك فإن أقبح وجه خير من ارتداء القناع، مهما كان هذا القناع جميلاً. ومن يقلد غيره يكون كمن يلوى ملامح وجهه ليشبه وجه شخص آخر. وبالإضافة إلى ذلك فإن اللغة التي يكتب بها مؤلف ما هي إلا مزاج الشعب الذي ينتمي إليه، والفرق كبير بين لغة الإغريق ولغة سكان جزر الكاريبي، مثلاً.

ولنكون فكرة أولية عن قيمة إنتاج أي كاتب يكفي أن نعرف مزاجه الفكري، والذي يطلعنا على مزاجه هو الإهتمام بنوع أسلوبه في الكتابة. إذ أن أسلوب الرجل يكشف طبيعة تفكيره، فهو السائل الذي تُعجّن به محتويات تفكيره.

عدد من الكتاب لا يكتبون، بل لا يجروون على أن يكتبوا تماماً مثلما يفكرون، لأنهم يعتقدون أنهم لو فعلوا ذلك لظهرت كتاباتهم ساذجة متواضعة، أو سخيفة. فيعبرون عما يجول في تفكيرهم بجمل مطولة، تدور حول نفسها في مسالك ملتوية، ويزخرفون أسلوبهم

(1) للأديب الفيلسوف شوبنهور (1788 - 1860) وقد ورد ملخص لبعض فقرات هذا الموضوع في كتابي «حصاد الأيام».

ليوحوا للقارئ أن لهم أفكاراً هامة عميقة، وأن وراء هذا الأسلوب معاني ومعرفة أكثر مما تتحمل الألفاظ. وبعد أن يبذل هذا النوع من الكتاب البسطاء جهوداً في التصنيع والتقليد والحشو والإلتواء، ينجب الجبل فأراً.

ما أسهل أن يكتب الكاتب بأسلوب يصعب فهمه؛ وما أصعب أن يعبر الأديب عن أفكاره بالأسلوب السهل الممتنع، الأسلوب الذي يفهمه كل قارئ دون عناء. والمؤلف المثقف الذكي هو الذي يكشف أفكاره دون تكلف وتدبيح، وبهذا يصدق قول الشاعر الروماني هوراس: الحكمة أمّ الأسلوب الواضح ومنبعه.

من المؤلفين من يصح تشبيههم بالحداد الذي يجرب مائة نوع من المعادن علّه يعثر على معدن يحل محل الذهب، ولكن الذهب يظل فريداً من نوعه. وإنه لما يرفع شأن الأديب أن يقال عنه «ساذج» إذا كان هذا يعني أنه لا يخشى أن يظهر نفسه كما هي، على حقيقتها، وعلى طبيعتها. والكاتب الذي يتكلف، ولا يرسل نفسه على طبيعتها يقال عنه: يثير الاشمئزاز.

البساطة في التعبير من علامات النضج والصدق والعبقرية. فالأسلوب يأخذ جودته وجماله من الأفكار التي يعبر عنها. غير أن بعض الكتاب البسطاء يظنون أن أفكارهم ستصبح جيدة إذا أخرجت في أسلوب مزخرف معقد. والواقع أن الأسلوب ليس سوى ظل لأفكار المؤلف؛ فإذا كان الأسلوب غامضاً، ملتوياً، محشوفاً بالكلمات الطنانة.. فإن هذا يعني أن فكر الكاتب مبليلاً، متبلدٌ.

القاعدة الهامة الأولى التي تجعل الأسلوب جيداً هي أن يكون لدى الكاتب فكرة واضحة يريد التعبير عنها. ومن الكتاب من يتظاهر بأن له شيئاً يود أن يقوله، وليس في فكره شيء من ذلك. وهذا مما يجعل الأسلوب غامضاً، مشوشاً، متكلفاً، تتزاحم فيه الكلمات، أحياناً تبدو الجملة كأنها تحتل معنيين، والواقع أن الكاتب يحاول أن يخفي فقر أفكاره تحت خليط من العبارات أشبه بثرثرة يضيع القارئ في سيلها. أما المؤلف المثقف فيزخر فكره بالمعرفة والمعاني الخصبة، ويأتي أسلوبه سهلاً، تكاد تضيء المعاني من خلاله، وسرعان ما ينال ثقة القارئ، ويصح فيه قول الأديب الفرنسي بوالو:

«أفكاري جلية كأنها شمس الظهيرة

وأسلوبى يعبر بوضوح عما يختلج في نفسي».

إن الكاتب الذي يلجأ إلى الأسلوب الملتوي المتكلف يشبه الرجل الذي يرتدي ملابس خاصة لكي يتميز بها عن سواد الناس، فيعتبروه من الطبقة الخاصة.

ومن أحكام الأسلوب الجيد ألا يفكر الكاتب في شيئين في وقت واحد. غير أننا نجد كثيراً من الكتاب يقسمون الجملة الرئيسية إلى أجزاء صغيرة، ويدمجون داخل هذه الفتحات جملاً إعتراضية، من غير ضرورة لذلك، وبذلك يبلبلون فكر القارئ.

وهكذا تصبح تلك الجمل ملفقة مطولة، تتخللها الجمل الإعتراضية، والجمل بين قوسين، فتبدوا مثل الصناديق التي يدمج

بعضها داخل بعض، أو كديك ضخم محشو بالتفاح، وهذا الخليط يعرقل ذاكرة القارئ، ويشوش موهبة الإدراك والحكم على الموضوع.

ذلك لأن هذا النوع من الأسلوب الرديئ يقدم للقارئ أنصاف جمل مرصوفة بعضها إلى بعض، ويترك له مهمة ترتيبها وجمعها ليخترنها قطعة قطعة في مذكرته، كأنها قطع رسالة ممزقة، ثم بعد ذلك ترتبها الذاكرة في مجموعها ليستخرج المعنى المقصود.

وأفضل من ذلك أن يكتب المؤلف بطريقة المهندس المعماري الماهر الذي يعد مخطط المنزل أولاً بجميع تفاصيله، قبل أن يشرع في البناء. بل نلاحظ أن من الكتاب من يقلد لعبة الدومينو. فهم يرتبون بعض القطع وفقاً لخطة، وي طرحون قطعاً أخرى وفقاً لما يأتي به الحظ. وأثناء اللعبة لا تكون لهم إلا فكرة تقريبية عامة عن النتائج.

* * * * *

بعض أنواع الأدب⁽¹⁾



المسرحية أفضل فن يعكس حياة الإنسان. وهي تتضمن ثلاث مراحل. في المرحلة الأولى تحاول المسرحية أن تثير اهتمام الناس بموضوعها، وينشط الممثلون في تمثيل أدوارهم لجعلها مشابهة لأدوارنا في الحياة اليومية. وتتوالى الحوادث فيضاف إلى المسرحية بعض الظرف والمزاح، أحياناً، لتلطيف الجو المسرحي.

وفي المرحلة الثانية تركز المسرحية على العواطف، وتسعى لإبراز دور البطل والتعاطف معه. والمهم هنا أن يشارك الجمهور ويظهر اهتمامه بسير الحوادث وتعاطفه مع بطل المسرحية. وقد تسلك الحوادث مسلكاً يثير الشفقة أو الحزن، غير أن الحوادث تكون سلمية مرصية.

وتبلغ المسرحية ذروتها في المرحلة الثالثة، وهي أصعب المراحل. ففي هذه المرحلة تنزع المسرحية نحو الهدف المأسوي، وتشتد المواجهة مع مشاكل الحياة، وتظهر توتراتها وعواصفها. وقد يتجه الهدف إلى إبراز عدم جدوى الجهود التي يبذلها الإنسان. وتحاول المسرحية أن توجه الجمهور إلى ترك الصراع والرضى بحكم القدر، أو تعزف نغمات تحدث في نفوسنا صدى للمشاعر التي تهدف إليها المسرحية.

يقال «إن أصعب الأمور بدايتها»، أما في المسرحية فالأمر عكس ذلك، لأن الصعوبة تظهر في نهايتها، لأنه من السهل أن تخلط الأمور

(1) ملخص من مقال للأديب الفيلسوف شوبنهاور (1788 - 1860).

في البداية، ولكن يصعب بعد ذلك فك العقد وترتيب الحلول للوصول إلى نتيجة مرّضية سواء كانت سعيدة أو مأسوية، على أن تعكس ما يحدث في حياة الناس، وتكون في الوقت نفسه مفاجأة لم يتوقعها الجمهور.

التاريخ نوعان: التاريخ السياسي، وتاريخ الأدب والفنون. الأول تاريخ الإرادة، والثاني تاريخ الفكر. الأول يقص حوادث البلايا والكوارث والحروب، ويسجل أخبار الصراع والخداع والمجازر الجماعية؛ أما الثاني فيروي ساعات البهجة والسرور والهناء.

.... الحياة قصيرة، وهناك وحش مخيف نسميه النسيان ينتظر البشر فاغرا فكيه، ليبتلعهم فيختفون من غير رجعة. لذلك يسعى الإنسان إلى إنقاذ ما يمكن من الحوادث الهامة، ومن أخبار الشخصيات التي لعبت دوراً كبيراً على مسرح التاريخ.

ومن جانب آخر، يمكننا أن ننظر إلى التاريخ على أنه تكملة لعلم الحيوانات وتطورها. ولكن بينما يكفي في هذا الأخير أن نراقب تطور الأنواع، فإنه بالنسبة للإنسان ينبغي دراسة الأشخاص المهمين وتعليل تصرفاتهم..⁽¹⁾

تعتبر الصحافة أحد عقربي ساعة التاريخ؛ غير أن هذا «العقرب» ليس مجرد قطعة معدنية، وهي كثيراً ما تقع في الخطأ. وما

(1) لخصت فقرتين من هذا الموضوع في كتاب «حصاد الأيام».

يسمى في الصحافة «المقال الافتتاحي» هو جوقة مسرحية الحوادث الراهنة. وتعتبر المبالغة بجميع أشكالها من ضروريات الصحافة، تمامًا كما هي ضرورية في فنون الدراما، لأن هدف الصحافة هو أن تجعل الحوادث تصعد أو تتحدر إلى أقصى حد ممكن. ولهذا نلاحظ أن الصحفيين، بحكم طبيعة عملهم، يسارعون إلى إثارة المخاوف والآمال، لأن هذا يجعل القراء يهتمون بمتابعة ما يكتبون. فالصحافي في هذا المجال يشبه الجرو، كلما تحرك شيء حوله، يطلق نباحًا حادًا.

وما علينا إلا أن نضبط بعناية مقدار ما نؤليه من اهتمام لأبواق الخطر، لكي لا تعكر عصارة مَعِدَاتنا. ولنعرف أن الصحيفة (أو المجلة) هي في أحسن الأحوال مرآة مكبرة، وفي أغلب الحالات مجرد ظل على الجدران.

* * * * *

... القلم للتفكير مثل العصا للمشي، فالإنسان يمشي بسهولة أكبر عندما لا يركز على العصا، والمرء يفكر بسهولة أكبر عندما لا يستخدم القلم.. وليحوز الإنسان الخلود ينبغي أن يخلق عددًا من الإبداعات بحيث يتعذر على شخص بمفرده أن يحوط بها جميعها في ظرف محدود. ثم يخلق في كل جيل من يدرك محتوى بعض تلك الإبداعات، ويقدر قيمتها ومغزاها. وبهذه الصورة تتواصل سمعة ذلك الإنتاج الأدبي والفني على مر القرون، على الرغم من تغير اهتمامات الناس.

ويبلغ الأديب المبدع درجة التميز وصفة الاستمرارية عبر الأجيال لأن إنتاجه يعبر عن مشاعر إنسانية عامة، ولأنه ساهم في إثراء الفكر

البشري. ولو لم يكن فريداً في إبداعاته لما أدرك الناس لماذا لم تندثر آثاره مثل كثير من سكان المعمورة.

أما فيما يتعلق بالمطالعة، فليس باستطاعة الإنسان أن يحتفظ في ذاكرته بكل ما يقرأ، مثلما لا يقدر أن يحتفظ بجميع ما يأكل. فالنوع الأول يوفر له غذاء الفكر، والثاني غذاء الجسد. والملاحظ أن البدن يمثل فقط ما يطيب له من الطعام، والفكر يحتفظ بما يهمله ويفيده من المعلومات.

الحياة قصيرة، والوقت والطاقة محدودان، وعلى المرء أن يطالع الأهم فالمهم من أمهات الكتب. والتكرار يدعم المعرفة، فعلى المرء أن يقرأ الكتاب المهم مرتين، إن استطاع، لأن القراءة الثانية تعمق إدراكه للعلاقة بين مختلف أقسام الكتاب، ولأن الجزء الأول منه قد لا يستوعب مغزاه إلا بالاطلاع على القسم الأخير. ثم إن مزاج الإنسان قد لا يكون في الحالة النفسية ذاتها أثناء القراءة الأولى والثانية، وكثيراً ما تثير القراءة الثانية اهتمامات جديدة، وتلقي أضواء جديدة على الموضوع.

إن ما ينتجه الأديب من آثار فنية وأعمال أدبية هو خلاصة فكره. وحتى لو كان المؤلف من ذوي العبقرية المتواضعة فإن إنتاجه لا يخلو من مواد تثقيفية، لأنه لا ريب ثمرة مطالعته وتجاربه. وعندما ينال المرء قدرًا وافراً من الثقافة، ينزع إلى طلب المتعة، في معظم الحالات، من المطالعة أكثر مما يطلبها من مصاحبة الناس.

تناغم الحركة والحياة⁽¹⁾



ليس الربيع فصلاً ممتعاً لدى كثير من الناس، فقد كان يزعجني ويسبب لي متاعب جمّة. فالغبار من مصادره المتعددة يزعجني، وحقنات الأطباء لم تجد كثيراً. وكانت آلامي تزداد كما تنمو الأزهار والحشائش في المروج، وكانت معاناتي تستمر أثناء الليل. ومع ذلك، كانت الساعات القليلة التي أتمكن خلالها من الخروج والتجول تساعدني على كل شيء، فأندمج في سحر الربيع، وأعيش لحظات بهجة وإلهام، ولكنها لا تدوم طويلاً.

وفي مثل هذه اللحظات، إذا كان المرء قد تقدم به العمر، فإنه يشعر بأن كامل وجوده، بما فيه من متاعب ومباهج، وحب وصدقات وعلاقات، وكتب وموسيقى، وأسفار واكتشافات وأعمال، جميعها تمثل سلسلة طويلة تؤدي، في نهاية المطاف، إلى تجلي السرّ الإلهي في جميع المخلوقات.

ولعلنا نشعر بإعجاب أعمق وحماس أشد، في عهد الشباب، عندما نشاهد الأشجار المزهرة، والسحب تتجمع، ونبتهج بمراقبة الزوابع والأعاصير عن كثب، ولكن لكي يشعر المرء بسحر التجربة التي أرسم ملامحها، ينبغي أن يكون قد بلغ سناً متقدمة، وعاش تجارب

(1) ملخص من مقال للأديب: هيرمان هيس (1877 - 1962) من كتابه «ثناء على الشيخوخة».

شتى، وأن يكون قد بدأ يشعر بضعف في غرائزه الحيوية، وفي أعضائه ومفاصله...

كنت ذات يوم قريباً من الموقد، أقطع الحطب، كان النهار بارداً وهادئاً، لا ربح فيه. وفجأة هبّ نسيم دافئ، فبدأت آلاف الأوراق تتساقط. لقد صمدت مدة طويلة أمام برد الشتاء ورياحه، وأخيراً هدأت مقاومتها فراحت تتطاير مترنحة في هدوء، ثم تهوى نحو الأرض. أجل صمدت شهوراً، في جو قاس، ثم انهارت في لحظات أمام موجات نسيم خفيفة: لقد دقت ساعة نهايتها، فاستسلمت لمصيرها المحتوم.

فبماذا يوحي هذا المشهد المفاجئ المؤثر؟ هل هو الموت؟ موت أوراق الشجر، تتساقط دون مقاومة بعد أن أنجزت مهمتها؟ أم هي الحياة، حياة البراعم الفتية الجديدة قد انبعثت إرادتها في الحياة، فطفقت تسعى لاحتلال المكان الذي تحتاج؟ وهل مشهد هذه البراعم وهي تطمح إلى النور، مشهد مبهج أم محزن؟ أم هو رسالة إليّ تنذرني في شيخوختي بأنني ربما كنت أحتل مكاناً أصبح الشباب في حاجة إليه؟ أم هي دعوة إليّ بأن أكون مثل أوراق شجر الزان، فأصمد وأقاوم أطول مدة ممكنة؟

كان وراء ذلك المشهد سر الخالق والخلق معاً، انكشف أمام عيني، فكان يمثل حدثاً رائعاً، سر الحياة، فيه موسيقى تسر الأذان، وجمال يبهج النفوس، وإلهام يطمئن القلوب، ويجلب الرضى والسعادة. وكان ذلك المشهد رؤى تتجلى في معجزة، في سرّ وقور وجميل، مفعم بالعناية والرعاية، وفي الوقت نفسه كان ذلك المشهد يمثل رسالة تتضمن سرّاً محتوماً.

* * * * *

حول الشيخوخة⁽¹⁾



إن كل ما يجلب المودة ويعزز الثقة شيء محبوب. وعندما يتقدم المرء في السن يليق به أن يحتفظ بصفات الدعابة والظرف والبشاشة، وألا يأخذ جميع الأمور بجدية. بل يستحسن عندئذ أن يحول مشهد العالم إلى لوحة، وأن يراقب الحوادث كما لو كانت مشاهد السحب العابرة في سماء المساء.

إن التقدم في السن لا يعني فقط أن البدن يضعف فيزيولوجياً ويذبل تدريجياً، بل يظل للشيخوخة قيمها وسحرها وحكمتها. كان الناس يولون الشيخوخة احتراماً عميقاً، وأصبح الشباب في عهدنا يطلبونه لأنفسهم. ونحن لا نرغب في أن نحمل ضغينة على أحد، ولكن لا نريد كذلك أن يزعم البعض أن كبار السن لا قيمة لهم.

إن رجلاً في سن الستين أو السبعين من العمر هو رجل في صحة جيدة لا تقل عن صحة من هو في سن الأربعين أو الخمسين، شريطة

(1) العنوان في الترجمة الفرنسية: le Pathos وهو مقال للأديب الألماني هيرمان هيس (1877 - 1962) من كتابه «ثناء على الشيخوخة». وهذه الفقرات مقتبسة من المقال المذكور.

ألا يسعى لأن يظهر بمظهر الشباب، فيسعى إلى أهداف ويرغب في مطالب لا يستطيع بدنه أن يحققها.

عندما يبلغ المرء سن النضج، يشعر كأن شبابه يتجدد، وهذا هو شعوري في شيخوختي، ولكنه لا يعني كثيراً بالنسبة لي، لأن علاقتي بالحياة لم تتغير منذ عهد شبابي؛ بل كان ينتابني الشعور بأن مرحلتي النضج والشيخوخة هما من عالم المسرحيات الهزلية.

إن من يتقدم به السن، ويعير اهتماماً لهذا الحادث، قد يشعر باختفاء شيء من قواه الحيوية، ولكن على الرغم من ذلك يمكنه أن يلاحظ أن مجالات حياته تتوسع، وشبكة علاقاته تتضاعف؛ كما يلاحظ أنه ما دامت ذاكرته حية نشطة، لا يفوته شيء مما يحدث، ولا مما حدث في تجاربه الماضية.

في رحلة



كانت مدينة لوكارنو نقطة انطلاق موفقة لرحلتي هذه المرة. وما إن قضيت فيها بضعة أيام حتى شعرت بلذة السفر، وراحة البال، ومتعة الحرية. فقد ابتعدت عن المشاكل اليومية، وتخلصت (مؤقتاً) من أعباء الرسائل التي كانت تنهال عليّ يوميًا، ومما كانت تتطلب من وقت وجهد للردّ عليها؛ كما ارتحّت من تلك الاهتمامات والقضايا والمعاملات اليومية التي تشغل بال كاتب مثلي نال قليلاً من الشهرة.

ما أحلى بساطة الحياة وراحة البال، أشعر الآن كأنني طفل صغير، فجميع أفكاري وحواسي أصبحت لي وحدي. فلا جرائد، ولا مكالمات أو اتصالات مع المطابع والمكاتب، ولا نشرات أخبار، ولا رسائل مدح ولا انتقاد.. بل الهدوء وراحة البال والاسترخاء يسود حياتي هذه الأيام القليلة، فما أحلى الحياة البسيطة!

إنني أتمتع بهذه العزلة. وكم يسعدني لو أجد ظروفًا مواتية تجعل هذه العزلة تدوم طويلاً. ليتهيأ أعيش عيشة حذاء القرية، لكي لا أكون ضحية إسم مشهور، يلاحقني الناس لطلب نموذج من توقيعِي؛ ليتهيأ أبتعد عن الأجواء المكتظة، الملوثة الخانقة.

لجأت حيناً إلى نشر مقالاتي تحت اسم مستعار، لأبتعد قليلاً عن الاتصالات المرهقة، وأتخلص من أعباء الشهرة ومتطلباتها؛ وظللت

طيلة سنة أعبّر عن أفكارى وأحلامي في هدوء، بعيداً عن ضجيج الناس، غير أن شخصاً اكتشف أمرى، واستأنف بعض الصحفيين تعليقاتهم حول كتاباتى.

وبعد هذه التجربة فكرت في أن أكتب حول الموضوعات التي لا تهم إلا قليلاً من الناس؛ وقد ساعدني هذا المنهج على جعل حياتي أكثر هدوءاً.

هيرمان هاس 1925
(لوكارنو)

نهاية الصيف⁽¹⁾



... لاحظت كيف أن الغابة تتأقلم لمواجهة الخريف، كذلك الإنسان عندما تبلغ حياته مرحلة الانحدار، يسعى لحماية نفسه من الذبول والانهيار، يحمي نفسه من البرد الشديد، ومن متاعب الشيخوخة. قد يندمج بحماس جديد في أنشطة مفيدة أو مقلقة، فيتعلق بمظاهر الحياة وألوانها ومباهجها، وهو قلق أو متردد، تكسو ملامح وجهه ابتسامة سطحية، يحاول أن يبعد بها ما يدب إلى جسمه من علامات الضعف. ثم يشاهد شبح الموت يقترب منه، فيتشجع ويتعلم كيف يستقبله بهدوء ووقار.

وفي حدود الأربعين أو الخمسين من العمر، تبدأ الظواهر التي تفصل بين مرحلتي الشباب والشيخوخة تدب في هدوء إلى جسم الإنسان. ولكن لكل شخص ظروفه الصحية والبيئية التي تقوى أو تضعف شعوره بهذه التغيرات في طاقته وإمكانياته. ولكن في مرحلة الانتقال هذه، لا يصبح الأمر يتعلق بتكوين شخصية الإنسان أو استكمال مقوماتها؛ بل الأمر يتعلق بما يصيبه من ضعف وإنهاك وتدهور وبلى، ولو بصفة تدريجية.

وفي مرحلة ما بعد الشباب، تتغير بعض الاهتمامات والمشاعر،

(1) هيرمان هاس.

فنجد أن المشاهد المتواضعة الجميلة التي يَعْرِضُهَا أمامنا فصل الصيف، في مرحلته الأخيرة، تحرك مشاعرنا، مشاعر الأسف على فصل جميل ينتهي، ولعلنا نتجمل ونتفاءل، ونرسم على ملامحنا ابتسامة أمل وثقة بالمستقبل.

وفي هذه التحولات التي تكتسي فيها الطبيعة ألواناً خريفية داكنة، ويَتَحَوَّلُ أخضرار الأوراق إلى ألوان باهتة، يكون سعيداً من يجد أمامه عملاً يحبه، أو هواية يشغل بها وقته، ويجد أناساً يحبونه ويلتفون حوله، ويجد منزلاً هادئاً ووطناً كريماً يسعد بالعيش بين أحضانه.



مقتطفات من الأدب الأسباني

سـاـلـوك⁽¹⁾



ربّ نظرة أو لمسة غيرت ملامح بني جنسنا . عندما تتحرك يدي،
بصفة عفوية، وتحدث صدى شاردًا، وهي تبحث عن الدفء والحب،
وعن رفيقة الحياة، في هذا العالم الموحش، فماذا تكون نتيجة ذلك
السلوك؟ وأيّ لحن وصدى تحدّثه تلك الحركة؟

وكم من سلوك مرّ خفيفاً كحلم لطيف، وكم من إيماة وإشارة،
كانت أجدى من الكلمات. وما أبعد الفرق بين حركة اليد التي تفتح
الباب، وتلك التي تغلقه! والحركة التي تقدم الهدية، وتلك التي تسرق،
واليد التي توقد المصباح، والتي تطفئه! وقد تمتد لتزرع البذور، أو
لتزرع الشر، ولتحصد الغلال، أو لتبيد وتفسد في الأرض.

نحن، بني آدم، ما أكثر حركات أعضائنا وإشاراتنا وإيماءاتها،
ولكن ملامح وجوهنا قليلة البهجة..

ليتنى أستطيع أن أفعل شيئاً قبل أن تحين ساعة الوداع الأخير؛
عندئذ لا ريب يندم المرء على أشياء كثيرة، غير أن حركاته تجمدت،
ولات حين مناص.

وهل يأمل المرء أن يعثر على آثار قبلة على وجه تحجرت عظامه؟

* * * * *

(1) Claudio Rodriguez (1934 - 1999).

ضريح في تاركوينيا⁽¹⁾



أُنظر إليَّ أيُّها السيد، لقد عشتُ في مختلف بلدان العالم،
وألقيتُ في سجونها، وخبرت مضاجعها وأسرتَّها، وزرت بساتينها،
وأديرتَّها، وجبت بحارها، وفي كل بلد منها لم تحظ معاملاتي ولا نوايا
الحسنة، بقبول حسن.

كنت رئيس دير داخل جدران روما، وجندياً في ليالي كورفو
الساخنة، وطالما تمتعت بالعزف على الكمان، وتعلمون، يا سيدي، أن
فنيسيا تهتز بأنغام موسيقاها، وأن جزرها وقببها تتشوق وتتحمس
لسماعها.

لقد تواصلت رحلاتي من مدريد إلى موسكو، من غير جدوى،
وكانت ذئاب مكاتب الفاتيكان تلاحقني، وقطار من الألسنة المسمومة
يركض ورائي، بينما كل ما أسعى إليه هو أن أحافظ على سمعتي
وصراحتي وصفاء معاملاتي؛ وأن أستفيق مستبشراً كل صباح يوم
جديد، وأن أسجل فزعي وحزني أمام كل من يفقد حياته .

سيدي، سأبقى هنا في مكتبكم، في بوهيميا، وسأترجم مؤلفات
هوميروس، وأكتب مذكراتي، وأحلم بالسراي الزرقاء في إسطنبول.

* * * * *

(1) للأديب الأسباني Antonio Colinas (1946 _____) .

ملاحظة : الحديث هنا على لسان كازانوفيا (Casanova) وقد قبل وظيفة مسؤول
مكتبة في بوهيميا، عرضها عليه كونت فالدشتاين.

ليل آخر بعد الليل⁽¹⁾



توفى فيرجيل⁽²⁾، ولم يكن يعلم أن شخصاً في شمالي أسبانيا، سينقش على صخرة بيتا من شعره يُنشدُ حين انتظار الموت. إنه جندي وسط حطام المعركة، في صباح هادئ بارد وفي مكان تكسوه الثلوج، وأنفاس الخيول الجريحة وحطام الجثث المبعثرة :

«أيتها الآلهة، أي جنون جاء بي إلى هذه الجبال
لأموت منسياً؟! وأولئك الأشخاص الذين أحبهم، في
الجنوب، إنهم يتجولون على الحشائش الناعمة، أو
يسبحون في الشواطئ الدافئة تحت ضوء النجوم».

وراح هذا الجندي يحلم بالجنوب، والشاعر هو الآخر يحلم بجنوب
آخر أبعد، والاثنتان يحلمان بالحياة الماضية وهما في قبضة الموت:

«لا أريد أن أدفن تحت سماء من الوحل، وأن تذوب
ذكرياتي تحت هذه الجبال الموحشة. إلهي كم أبغض الحرب،
وأنا الآن أشعر بدمائي تنزف فوق هذه الثلوج».

ومال رأسه نحو كتفه، وتجمد على بصره وجه جريح آخر كان يقول:

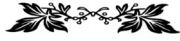
«أنقشوا على قبوري بيتاً من شعر فيرجيل».

* * * * *

(1) للكاتب الأسباني Antonio Colinas (1946 ____).

(2) فيرجيل شاعر روماني.

حول المتناقضات⁽¹⁾



- قضيت حياتي محاولاً التوفيق بين المتناقضات .

أقول لنفسي: لا يوجد فرق بين الخير والشر،

«نعم» تعني في الغالب «لا»؛ صديقي هو عدوي،

اللذة قد تضرّ حتى ينتج عنها الألم،

أيام الأعياد قد يشوبها الملل،

وكم شعرت بالبرد في شهر أغسطس،

وعانيت العطش وأنا قريب من النبع.

* * * * *

- ولكن الآن انتهى الأمر،

فلا أريد أن ترتدي البشاشة

قناع الدموع، ولا أن تجرح القبلات،

ولا أن يقال: الموت ينقذ الإنسان،

(1) للأديب الأسباني: ل. أ. دي كوينكا (ولد عام 1950).

ولا أن تتحول الشمس إلى ظلال،

ولا الصحراء إلى محيطات.

* * * * *

- لييتني أعود إلى الزمن الذي كانت

الأشياء فيه خالية من التعقيد،

لم يكن الحب فيه ممزوجاً بالحق،

وكانت الثلوج فيه تكتسي لونها الأبيض،

وكانت كلمتا «السلام والحرب» كلمة واحدة،

معناها واضح لا لبس فيه،

لم تكن لهما وجهان لفعل واحد موحش

أو ممل،

كفى، لا أريد أن يتصبب جبيني عرقاً

في أرض طائر البطريق.

* * * * *

شبكة الحياة .. والأمل⁽¹⁾



- الشرطي :

تقدموا، تقدموا أيها الإخوة،
من يعيش في الجنوب، سيجد عملاً في الشمال،
ومن يعيش في الشمال، سيجد عملاً في الجنوب.

- الأعمى :

أديم الجلوس أمام سيل الأقدام،
أشعر كأنني أصبحت نباتاً،
أرفع صوتي مستجدياً الإحسان
كأنني بائع اليانصيب.

- صاحبة القفة:

أتردد على السوق كل يوم،
أملأ قفتي، لتستمر الحياة في المنزل،
ولا أعلم الغاية من كل هذه المتاعب.

(1) للأديب الأسباني : جوزي م. فالفردي (1926 - 1996).

- صاحب الأدوات :

أنابيب مثقوبة تنتظرنني..
وقد بدأت تنتشر آلات الغسيل،
هديرها يسمع من منزل إلى آخر،
ولكنها تجعل ما في بطنها نظيفاً.

- صاحب الحانة :

من يأكل حلوياتي يجوع،
ومن يشرب جعتي يعطش.

- جوقة الزبائن :

ماذا عسانا نفعل؟
من المنزل إلى العمل ،
يجب أن ننسى قليلاً،
نشاهد مباريات كرة القدم،
لكي نحلم بقليل من متع الحياة.

- صاحب الأدوات :

عندما أملك دراجة نارية،

أحلم بامتلاك سيارة،
نذهب أيام الأحد إلى الشاطئ
مع الأطفال...
وبعد ذلك نسعى لنيل المزيد.

- صاحبة القفة:

سيكبر الأولاد... عندئذ
سنعرف من يحبنا حقاً.

- الأعمى :

الدماء تجري في عروقي بقوة،
سأخرج يوماً من هذا النفق،
سأشاهد الخلق، ويشاهدونني.

- صاحب الأدوات :

رغباتي تتراكم ، أتألم أحياناً،
فأشك في سرّ الحياة،
ولكنني سأواصل السعي،
وستزدهر الحياة.

- جوقة الزبائن :

الصباح هادئ، بريئ،
والعمل يجلب المتعة والبهجة،
قولوا لنا: لا شيء يستمر على حاله،
وسننتصر جميعاً.

- صاحب الحانة :

تمتعوا بالحياة ، عاملوها بلطف ورقة،
إجعلوها نظيفة وخفيفة،
مثل زوجاتكم ، بذلك تنقذونها .

- صاحبة القفة :

سيأتي يوم لا أملأ قفتي بمواد
العيش فقط، بل بالمكارم والأمجاد .

- صاحب الأدوات :

كم من سقف بنيت،
كم من عجلة جعلتها تدور،

أدهن الأجهزة بالزيت،

لكي يتعلق الناس بالحياة.

- جوقة الزبائن :

ماذا ستسقوننا؟ وبأيّ فرقة

ستدعمون جوقتنا؟ وما هي

الإنجازات الرياضية التي سيحققها

شبابنا.

* * * * *

بين الكذب والخيال⁽¹⁾



- التصق الصدأ بلساني فاخنتى المذاق، وتعطل الإحساس.
- لم أتقبل من القيم إلا ما هو مستحيل.
- ذلك المخلوق يشبه مركباً تكلس في مكان تراجعت فيه مياه النهر.
- أنصت إلى عظامي تسترخى وتستسلم على فراش الطمأنينة.
- سمعت الحشرات تفرّ، والظلال تتسحب، بينما كانت تندمج في ما بقي من جسدي.
- التزمت الصمت حتى اختفت الحقيقة من فكري، ومن المحيط، غير أنني لم أتحمل قدسية الصمت.
- لا أؤمن بالإبتهالات، دع الإبتهالات تؤمن بي.
- بدأ هياج الصيف يتسرب إلى قلبي، وبدأت يدي تتعب وتنزلق نحو التباطؤ.
- أشاهد وجوهاً ليس لها هيكل ولا ظل، تتجه نحوي، كأنها مجرد صورة في عيني، ومجرد صوت في أذني.

(1) للأديب Antonio Gamoneda (1931) (العنوان الأصلي: وصف الكذب).

- أستطيع أن أجد اللب في الفواكه المهمة، وأسمع الأنين في المستشفيات المهجورة.
- إن ازدهار لغتي يتجلى في كل ما أهمل ومرّ عليه زمن طويل.
- نبرات موسيقاه توضح كل الخسائر، ومع ذلك فهو يلاحقني.
- يتحدث عني كأنه ذبذبة طائر اختفى، وسيعود.
- يتحدث عني بشفتين تتجاوبان مع سلاسة رموش عينيه.

* * * * *

مازلت أؤمن بالحياة⁽¹⁾



ما زالت الحياة تغمرنني، مثلما كانت في السنين الخوالي، وفيها روعة عالم الخلود؛ أزهار الحدائق وألوانها البهيجة، تغريد الحمام وحركاته على الأرض وفي السماء، إنها روعة أحلام السنين الخوالي. والآن هل كلُّ البصر واستولى على الحب الضجر؟

وما آمل الحياة الآن؟ أن نعيش، أن نحيا ونحب، وقد بدأ القلب يشعر بالإرهاق. بل ما زال العالم من حولنا جميلاً، وما زالت ذكريات السنين الخوالي تنعشنا، وأحلام المستقبل مهما قصر أمدها، ما زالت تبعث في النفس المتعة والأنس والرضى.

ومهما بلغ فشلنا وطغت ذنوبنا، لا ينبغي أن ننبذ فكرة الخلود، وإن خامرنا الشك أحياناً بأنها خدعة قديمة. وإن القلب ليعلم أن في الحياة، وفي الأمل، وفي الإيمان، سلوانا، لأنه يعلم أن هذا العالم الفسيح لا يمكن أن يكون كله خالياً من حقيقة جميلة تحقق آمال البشرية.

* * * * *

(1) للأديب الأسباني Francisco Brines (1932). (_____)

عيد مسيحي⁽¹⁾



«لم أكن شيئاً ، ولست الآن شيئاً .

أما أنت ، يا من لا زلتَ على قيد الحياة،

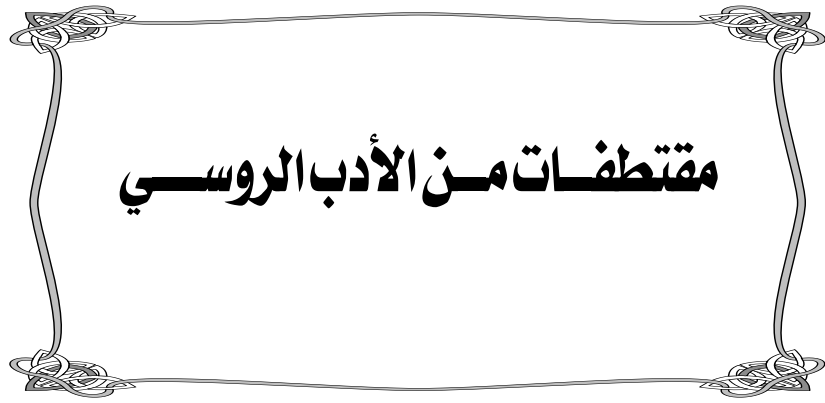
فاشرب وتمتع بحياتك ... ثم إلحقني».

أنت صديقي حقاً، أعرف أنك مجدٌّ في كلامك، لأنك كتبتَ هذه
العبارات في حياتك. وليس من حق أيِّ مخلوق أن يقول عن نصيحتك
أنها خير كلها أو شرَّ كلها .

وسأطلب أن يكتب على قبوري، تلك العبارات نفسها التي طلبت
أن تكتب على شاهد قبرك. إنها كلمات جاهزة، عندما يكون رماد
الجنة جاهزاً .

* * * * *

(1) للأديب الأسباني Francisco Brines (1932 ____).
(العيد المشار إليه هنا هو عيد الغطاس - وذكرى زيارة المنجمين المجوس إلى
الرضيع عيسى عليه السلام).



مقتطفات من الأدب الروسي

إلى أصحاب السلطة، إلى القضاة⁽¹⁾



ذات يوم خاطب القاضي العظيم في السماوات العليا،
آلهة الأرض، فقال:

إلى متى ستوفرون الحماية

للملحدين والمجرمين والمفسدين؟

واجبكم أن تحكموا بالعدل والقسطاس

رغم أنف المتجبرين،

يجب أن توفروا الحماية للأرامل والأيتام،

أن تدافعوا عن الضعفاء، وتحموا الأبرياء

من طغيان المتجبرين.

لم يستمع ذوو السلطة والقضاة

إلى كلمة الله، بل غشي أبصارهم

(1) للأديب الروسي Gabriel DerJavine (1743 - 1816).

ضباب كثيف، وظلت أعمالهم السيئة
تهزّ الأرض، وسيئاتهم تنتهك حرّمات
السمّوات.

* * * * *

أيها السلاطين، أيها القياصرة،
كنت أظنكم لا تغلبون، أقوياء لا تقهرون،
ولكني أكتشفت أن سلطانكم مؤقت زائل،
وها أنتم تتساقطون مثل أوراق الخريف الميتة.
أجل ستنزّلون إلى الحضيض، إلى القبور،
تماماً كما يدفن خدمكم وعبيدكم.

* * * * *

رسالة إلى شاعر⁽¹⁾



ما أجمل أن ينطق الشاعر بالحقيقة، وأن يخدم إخوانه،
وأن ينشر كلمة الرب...

وما أجمل أن يتحرر من كل انتماء، ومن كل ميثاق يقيده؛
ما أجمل أن يحرز لقب «الشاعر المنشد» بفضل أفعاله،
وبفضل الكلمة الطيبة الصادقة.

إنه يتجاهل المخاوف، ويحتقر الموت،
يؤجج المشاعر المقدسة؛ ولا يتحكم أحد
في عواطفه، لأنه وهب قلبه للفضيلة المقدسة...

* * * * *

على الشاعر أن يترك سمعة طاهرة لأجيال المستقبل،
عليه أن يحافظ على الشعلات الروحية الخالدة،
فلا يضل الأفكار، ولا يبعثر الطاقات، ولا يفسد

(1) للأديب الروسي Condrat Rilée (1826 - 1795).

الأرواح الطيبة.

لا ينحني لسلطان، ولا يضعف أمام

القوى، ولا يحمل قلمه المسكنة

والهوان .

* * * * *

النبي⁽¹⁾



بينما كنت أسير في سهل موحش،

وصلت إلى مفترق الطرق، حام فوق رأسي

ملاك ، فوضع أصابعه على عيني،

وشعرت أن حاسة سمعي استيقظت

لتسمع أصواتاً صادرة عن ذبذبات سماوية....

انتزع الملاك لساني الذي تعود على عبارات

الأنانية والغرور، وغرز في فمي سهماً،

ثم شق صدري ووضع في الفجوة جمرة.

وبينما كنت ملقى في ذلك المكان الموحش،

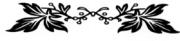
(1) Alexander Pouchkine (1799 - 1837).

سمعت صوتاً قدسياً يناديني:

قم أيها النبيُّ، فمَنْذ الآن ستسير
كلماتي قلبك، وستظل حيةً مشتعلة
تتير قلوب البشر.

* * * * *

الشيطان⁽¹⁾



فيما مضى كانت الأشياء تبدو لي جميلة:
الليل، تغريد الطيور، العيون الساحرة، الغابات...
وكانت مشاعر الحرية، الحب، الفن، المجد..
تؤجج دمائي، وتتعش روعي.
وفجأة، بين المتع والمباهج والآمال،
جاءني جنِّيُّ، وطلب أن يقابلني على انفراد.

* * * * *

وكم كانت لقاءاتنا محزنة، وكم جعل حياتي كئيبة،

(1) ألكسندر بوشكين (أديب روسي).

قائمة. أزال عن وجهي البشاشة،
جعل ابتساماتي خافتة ذابلة، ونظراتي شاحبة.
كانت عباراته اللاأخلاقية تنفث
سمومها في فؤادي،
كان يتحدى العناية الإلهية بأقوال
وقحة؛ وكان يرى الإلهام بغيضاً،
ويجعل الخير أوهاماً؛
كان يكره الحب، ويحتقر الحرية،
ولا يؤمن بالحق، ويصم أذنيه
عن ألحان الطبيعة ويزدري خيراتها.

ثلاثة منابع⁽¹⁾



في أعماق سهول الحياة الواسعة ،
شاهدت ثلاثة منابع، تتدفق مياهها

(1) للأديب بوشكين.

صافية مسرعة تأثرة:

نبع الشباب التائر المتحمس، تجري

مياهه قوية منتعشة طموحة:

ونبع إلهام كاستيليا⁽¹⁾، حيث ينغمس

الرجل المنفي إلى درجة الجنون؛

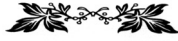
ونبع الأسرار الغامضة، وهو أحلاها

على القلوب، إنه نبع النسيان الذي يروى

عطش النفوس.

* * * * *

روح الإنسان الروسي⁽²⁾



إن روح الإنسان الروسي فظة، شرسة،

ولكنها أصيلة؛ إنها مثل الشعلة الخطيرة،

عنيفة، حادة، صريحة، صافية، متفائلة،

(1) أسطورة النبع الذي رمت فيه فتاة يونانية (كاستيليا) نفسها، فراراً من غضب الإله أبولو.

(2) Viatcheslav Ivanov (1866 - 1949).

مبتهجة أحياناً، وأحياناً كئيبة.

إنها مثل عقرب البوصلة،

ترى القطب الشمالي مهما اشتد الضباب؛

إنها تقود الإرادة أثناء الحياة،

دون خلل ولا اضطراب.

إنها مثل العقاب، يشاهد يبصره الثاقب

من وراء السحاب، ومن خلال الضباب،

ما في المروج والوديان، ولا ينخدع بالسراب.

* * * * *

شجر الكرز البري⁽¹⁾



سألتُ رياح السهول: أخبريني ماذا أفعل

ليعود إليّ عهد الشباب؟

فأجابت: كن خفيفاً مثلي، كن لطيفاً، كن بارعاً في الحياة!

(1) Viatcheslav Ivanov (1866 - 1949).

وسألتُ البحر العظيمُ أن يشرح

لي أسرار العالم، فقال:

كن مثلي رناناً، مرناً، وأحياناً صاخباً،

متلونا!

وسألتُ الشمس: أخبريني كيف

لي أن أكون مثلك، أضفي الدفء على المخلوقات؟

لم تجب الشمس، ولكن سمعت

صخب الإحتراق في جوفها.

* * * * *

إنني أجهل تلك الحكمة التي تزخرف

حياة الناس، ولا أقول في أشعاري

إلا ما كان مؤقتاً، زائلاً، لأنني أرى

أن اللحظة الحاضرة تضم عالماً مفعماً

بمظاهر وألعاب متغيرة.

فلا تلوموني، يا من تظنون أنكم أوتيتم الحكمة،

إنني أحمل في نفسي شعلة...

ولكنني أرى نفسي مثل السحاب،

لا يسمع حديثي إلا الحالمون.

* * * * *

الطبيعة في بلدي⁽¹⁾



على أبواب آسيا، في أعماق الغابات الموحشة،

حيث أشجار الأرز العتيقة تغمرها السحب،

وتتجمد قممها تحت الثلوج؛

هناك، حيث يتعثر الذئب في الثلوج،

ويلهث في طلب قوته، وحيث يتجمد

دم الطائر في السماء، أحياناً،

فيسقط على الأرض؛

وقد تقف على جدول، تجمدت طبقاته

(1) Nicolas Sabolotzki (1903 - 1958) أديب روسي.

العليا تحت ضغط البرد، ولكن تشاهد في أعماقه
بعض مياهه تتسكب ببطء. وهناك تهب
نسمات مثقلة بذرات بلورية متألئة،
تتشر نفحات الحياة.

وتشاهد الشمس تسطع محاطة بهالة حمراء،
والناس تحت نورها مبهجون،
فوق رؤوسهم قلانس في أشكال
مخروطية، وقد كسا لجاهم الصقيع،
تشاهدهم في الزلاجات ومركبات الجليد،
تتصاعد أنفاسهم كما يتصاعد الدخان
من المداخن على شكل أعمدة ملتوية
سابحة في الفضاء، وترى الثلج يتساقط
صافياً يتلألأ، ثم يقع على الأيدي كأنه فراشات
صغيرة أو زخارف زهرية خفيفة.

* * * * *

هناك يلبس الرجال جلود الضأن،

وترتدي النساء ملابس الفرو؛

وتتعم العين بمشاهدة كنوز أخرى

ظاهرة وخفية.

هناك على أبواب آسيا تقع بلادي،

مفروشة بزرابي ثلجية، بل تغمرها

الثلوج أحياناً كأنها تحميها وترعاها،

لتحافظ على جمالها وأصالتها.

* * * * *

الإيطالي⁽¹⁾



صليب أسود متواضع

كان يحمله شاب إيطالي حول عنقه،

أعيد إلى عائلته، فكان لهم رمز حدث مشؤوم.

* * * * *

ولكن، لماذا أيها الفتى النابوليتاني

غادرت شواطئ مدينتك الدافئة،

إلى تلك السهول النائبة الباردة؟

فقنابلنا لم تحلق فوق بلادك الجميلة،

وأنا لم أدنس أرض رفائيل،

ولم نطأ شواطئها الدافئة.

فأنا أعيش في مسقط رأسي،

(1) للأديب روسي Michel Svetlov (1903 - 1964).

فخور بنفسي وبقومي؛

وأقرأ تاريخ أجدادي،

لأنه لم يكتب بلغتكم الإيطالية.

ومن يحرت أرض روسيا ويزرعها؟

فهل جاء رجل من إيطاليا؟ أو من النمسا؟

لقد أرسلوك، أيها الجندي، إلى بلادي لتستعمرها،

وها هو صليبك المبارك يعود إلى أهلك،

ولكنهم لا يعرفون مكان قبرك.

إنك لم تعرف روسيا على حقيقتها،

ولكننا شاهدنا لثوجها، وضبابها،

وسمائها صوراً متجمدة على صفحات

عينيك.

* * * * *

منطق سارق⁽¹⁾



وقف فلاح ضعيف البنية، رث الثياب، حافي القدمين، تبدو على وجهه قساوة الحياة. قال له القاضي:

- السيد دنيس، إقترب! أجب على أسئلتى! في تاريخ السابع من جويلية (يوليو) الماضي، وجدك حارس السكك الحديدية تنزع حزقة من أحد المسامير اللولبية (برغى) التي تثبت قضبان السكك الحديدية، وهذه الحزقة التي انتزعتها. هل هذا صحيح؟

- صحيح؟ ماذا؟

- هل حدث الأمر كما أبلغ عنك الحارس؟

- أجل ، تماماً، كما قال.

- وما هدفك من نزع تلك القطع (الحزقات) اللولبية التي تُثبَّتُ قضبان السكك الحديدية؟

- لو لم أحتج إليها لما انتزعتها.

(1) عنوان هذه القصة القصيرة Malefactor ، وهي ملخصة من اللغة الإنكليزية.

- وما هي حاجتك إليها؟
- إننا، معشر الصيادين، نستعمل تلك الحزقات كثقل لإبقاء الصنارة في أعماق النهر.
- اسمع أيها الرجل، لا تكذب، ولا تتغابي.
- لم أكذب قط، يا جناب القاضي. وكيف يصيد المرء السمك بدون ربط ثقل معدني إلى الصنارة؟ فالأسماك الموجودة في نهرنا تسبح في أعماق النهر.
- ألم يكن في وسعك أن تستعمل مسمارًا عاديًا، رصاصة، أو قطعة معدنية أو غير ذلك؟
- المسمار لا يصلح للعملية، والقطع المعدنية ينبغي شراؤها. وأفضل وسيلة لإنزال الصنارة إلى أعماق النهر هي تلك الحزقة لأنها ثقيلة، وفيها ثقب يسهل ربطها.
- ألا ترى أيها الغبيّ ما عاقبة فعلك عندما تنزع الحزقات من اللولب الذي يثبت القضبان الحديدية؟ يمكن للقطار أن يخرج عن السكة، وتكون قد تسببت في قتل الأبرياء؟!
- أجل يا جناب القاضي، نحن ندرك ذلك الخطر. لذلك فنحن لا ننزع جميع الحزقات، بل نترك بعضها في أماكنها. ولكن قل لي، يا

مقتطفات من الأدب الروسي

سيدي لماذا لا تجلبون إلى نهرنا أنواع السمك التي تسبح بالقرب من
سطح النهر لنتمكن من صيدها دون استعمال الثقل المعدني لإنزال
الصنارات إلى أعماق النهر؟⁽¹⁾

* * * * *

(1) المؤلف: Anton Chekhov ، ولد عام 1860 في قرية Taganrog ، على ضفاف بحر
أزوف. توفى سنة 1904. اشتهر بقصصه القصيرة.

سلسلة عالم الثقافة

8

سلسلة
عالم
الثقافة

8



بغته
الأزرق بن علو

قلائد الذهب
في الحكمة والآداب

كلمات تنعش الحياة

الإنسان والقلق

الشعر والحياة

حصاد الأيام

ادب - فلسفة - تاريخ

الرحلة

(أساطير - تاريخ - ادب - حكايات)

نفضات من الأدب العالمي

منارات

في رحاب الأدب العالمي



نبذة عن المؤلف

ولد الأزرق بن علو في الجزائر،

وحصل على:

■ ليسانس في العلوم الاجتماعية من جامعة بلفراد (1961).

■ ماجستير في العلاقات الدولية من الجامعة الأمريكية بواشنطن (1966).

■ عضو البعثة الدبلوماسية الجزائرية في واشنطن (1964 - 1971).

■ مراسل جريدة الشعب الجزائرية في واشنطن (1972 - 1975).

■ موظف بمنظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة في روما منذ (1979).

■ من مؤلفاته :

◆ نفضات من الأدب العالمي .

◆ الشعر والحياة.

◆ كلمات تنعش الحياة.

◆ الإنسان والقلق .

◆ حصاد الأيام (ادب . فلسفة . تاريخ) .

◆ الرحلة (أساطير - تاريخ - ادب - حكايات) .

◆ منارات في رحاب الأدب العالمي .

دار قباء الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة



• ١٦ عمارات العبور شارع صلاح سالم - الدور الثالث - مدينة نصر - القاهرة

• تليفاكس : ٢٢ / ٣٣٦٢١٣٦٥ • محمول : ٠١٢٣١٧١٧٤٤ - ٠١٢٣١٧١٧٢٢ - ٠١٢٣١٤٠٣١٥